نومرو ١

تاريخ يميني

T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

٤٥٢٦

قد وقف هذا الكتاب المستطاب حضرة سلطاننا الأعظم السلطان المعظم
خليفة الله في العالم السلطان بن السلطان الغازي محمود خان
ادام الله دولته واحسانه الى اخر الزمان وقفا صحيحا شرعيا
لمن طالع وانا الفقير الحاج احمد شيخ زاده الملك القدير
درويش مصطفى المفتش باوقاف الحرمين
الشريفين
غفر لهما

Fatih 4525

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر بآياته الباطن بذاته القريب برحمته البعيد
بعزته الكريم بآلائه العظيم بكبريائه القادر بلا مانع القاهر
فلا ينازع والعزيز فلا يضام والمنيع فلا يرام والملك الذي له الاقضية
والاحكام الذي تفرد بالبقاء وتوحد بالعز والسناء وتسمى باحاسن
الاسماء ودل على قدرته بخلق الارض والسماء كان ولا مكان ولا زمان ولا ملك
ولا دنيا ولا انسان [illegible] المعدوم ابداعا واحدث ما لم يكن انشاء واختراعا
جل تعالى فما خلق من حذا صورة ولا ابتدع ما شيه واقتفاء رسم
ومثال والافتقار الى نظر من قياس واستدلال في كل ما ابدع وصنع ونظر
وقدر دليل على انه الواحد بلا شريك ووزير والقادر بلا ظهير ونصير
والحي الذي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير رفع السما عبرة للنظار
وعلة للظلم والانوار وسببا للغيوم والامطار وحبوة للمحول
والقفار ومعاشا للوحوش والاطيار ووضع الارض مهادا للابدان
وقرارا للحيوان وفرشا للجنوب والمضاجع وبساطا للمكاسب
والمنافع وذلولا لطلاب الرزق وارباب البضائع واشخص الجبال
اوتادا راسية واعلاما بادية وعيونا جارية وارحاما لاجنة
الاعلاق حاوية وجعل البحار مغايض لفضول الانهار ومقار السيول
الامطار ومراكب لرفاق التجار ومضارب لمصالح الامصار ومناهج
وروابط وتحوي من الدر والمرجان نباتا وتنبع من الملح الاجاج عذبا
فراتا وتقذف للآكلين لحما طريا وتحمل للابسين جواهر وحليا
ولتعلقه تمام علمه من انجبهم من خلقه واثرهم بالهامه

ودبرهم باوامره واحكامه وكان اعلم بهم من ملائكته حيث قالوا أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم
ما لا تعلمون واقام عليهم مهيمنا من لدنه يهديهم الرشاد ويحذرهم الفساد
ويرجيهم الثواب وينذرهم العقاب ولم يقتصر على ما اقامه به من الحجة
واوضحه من المحجة حتى ابتعث الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين بالمعجزات
الباهرة والدلالات الزاهرة والبينات المتظاهرة داعين الى توحيده
ومنادين بتسبيحه وتمجيده فازاح بهم العلة وازال الشبهة وافاد سكون
النفوس ونفى خلاج الشكوك ولم يستخلف من شاء من خليقته موسومين بسنن الانبيا
ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة والائمة حتى انتهت نوبة الخلق الى
زمن النبي المصطفى الابطحي المرتضى صلى الله عليه وآله فارسله بالحق
بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وجعل امته به
افضل الامم وكلمتهم اعدل الكلم وملتهم اوسط الملل وقبلتهم اسنى القبل
وسنتهم اقوم السنن وكتابهم اشرف الكتب ووعدهم ان يكونوا يوم العدل والقضا
على الفصل شهدا اذ ظهر الجحود ونكر الواحد المعبود قال الله سبحانه وهو اصدق
القائلين واحكم الحاكمين وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا فنسخت بشريعته الشرائع وبصنيعته الصنائع
وبدليله الادلة وببدره الاقمار والاهلة واتت نبوته مسداة بالخلاص
ملجمة بالاخلاص معلمة بالتمام مطردة بالدوام على تعاقب الليالي والايام
لم يفرط فيها من شيء يقتضي تعليما ويستدعي روية والهاما قال الله تعالى جده
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فاطلق
على الدين لفظة الكمال لاستقامته على غاية الاعتدال وانتفائه عن عوارض النقص

والاختلال الى ان قبضه الله جل ذكره مشكور السعي والاثر ممدوح النصر
والظفر مرضي السمع والبصر محمود العيان والخبر فاستخلف في امته
الثقلين اللذين هما امان الاقدام ان تزل والاحلام ان تضل والقلوب
ان تعرض للشكوك لمن تعرض فمن تمسك بهما فقد امن العثار وربح
اليسار ومن تنكب عنهما فقد اساء الاختيار وركب الخسار وارتدف
الادبار اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما
كانوا مهتدين فصلى الله عليه وعلى آله ما انبلج الليل عن الصباح واقترن
العز باطراف الرماح ونادى المنادي بحي على الفلاح صلاة تكافي
حسن بلائه وتضاهي سابق عنايته وتقضي فرض طاعته وتقتضي فضل
شفاعته وسلم تسليما وبعد فان الدين والملك توأمان فالدين اس والملك
حارس وما لا حارس له فضائع وما لا اس له فمهدوم والسلطان ظل الله
تعالى في ارضه وخليفته على خلقه وامينه على رعاية حقه به تتم
السياسة وعليه تستقيم الخاصة والعامة وبهيبته ترتفع الحوادث
والفتن وبايالته تنحسم المخاوف والمحن ولولاه لاختل النظام وتساوى
الخاص والعام وشمل الهرج والمرج وعم الاضطراب والهيج واشرابت
النفوس لما في طباعها من التباغي والتباين والتفاضل والتغابن
حتى يشغلهم ذلك عما يصلحهم معاشا ومعادا او يعمهم اودهم يوما وغدا
والى هذا المعنى يلتفت قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يزع
السلطان اكثر مما يزع القرآن اذ كان اكثر الناس يرون ظاهر
السياسات فيردعهم خوف المعاقبة وحذار المؤاخذة عن تنكب الجدد
والعدول عن السمت المقتصد ومن لنا بمن يستقري آي كتاب الله

تعالى بفكره ويتدبرها بعقله ويجعل لنفسه منها اماما يهديه الى
الاصلح ويثنيه عن الاقبح فيكون مؤدب نفسه ومقوم ذاته ورائض
اخلاقه وعاداته ومعنى حديث عمر منتزع من قوله عز وجل لانتم
اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فوضوح السيف
للعامة ومجموع القرآن للخاصة وان كان الجميع في معانيه مشتركا وباوامره
ونواهيه مشتبكا غير ان العامي يرى السيف فيرتدع والخاصي يرى
الحق فيتبع فشتان ما بين مدبر ومسخر بغيره ومؤدب ومهذب بنور
ربه وقد كان يختلج في صدري معنى قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه
باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله
قوي عزيز لجمعه بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر ظاهرها من
المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط عن جوار المشاكلة والمجانسة
وسالت عنه عدة من اعيان العلماء بالتفسير والمشهورين من بينهم بالتذكير
فلم احصل منهم على جواب يزيح العلة ويشفي الصدور وينقع الغلة
حتى اعملت التفكر وانعمت التدبر فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور
الاحكام الدينية يبين سبل المراشد ويفصل جمل الفرائض ويتضمن
مصالح الابدان والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود وقد حظر
فيه التعادي والتظالم والتباغي والتخاصم وامر بالتناصف والتعادل
في اقسام الارزاق المخرجة لهم من رجع السماء وصدع الارض ليكون ما يصل
منها الى اهل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب
واحتاجوا في استدامة حياتهم باقواتهم مع النصفة المندوب اليها الى استعمال

وقال الله سبحانه وتعالى ... الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
لان الكتاب يهدي الناس الى مصالح دينهم والميزان يهديهم الى مصالح دنياهم

آلة العدل يقع بها التعامل ويعم معها التساوي والتعادل فالهمهم الله اتخاذ
الآلة التي هي الميزان فيما ياخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته فيتهالكوا فيهلكوا
به اذ لم يكن ينتظم لهم عيش مع شيوع ظلم البعض منهم للبعض ويدل على هذا المعنى
قوله عز وجل والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى جعل السماء علة للارزاق واقوات
من انواع الحبوب والنبات فكان ما يخرج منها من اغذية العباد
ومن اقوات حيواناتهم مضطرا الى ان يكون اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف
ولم يكن يتم ذلك الا بهذه الآلة المذكورة فنبه الله على موقع الفائدة فيه والحاجة
به بتكرير ذكره ومعانيه فكان ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان ثم انه
من المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة
للتعامل بالسوية انما يحفظ العامة على اتباعهما ويضطر العالم الى التزام
احكامهما بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من جحد وعند ونزع عن
صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته وجذوة عقابه
وعذبة عذابه بهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله تعالى بالباس
الشديد فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب متدانية الجنوب
محكمة المطالع مقومة المبادي والمقاطع فظهر بهذا التاويل معنى
الآية وبان ان السلطان خليفة الله في خلقه وامينه على رعاية حقه
بما قلده من سيفه ووكله واحق الولاة بان يكون شريفا نبيها عند الله
كريما وجيها من كانت عنايته بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام والمسلمين
اوفر واوفى ومجاهدته لاعداء الله المارقين عن شرائعه المادين عن
حدوده وفرائضه بنفسه وماله ورهطه ورجاله اشرح للصدور واشفى

وقد علم ابناء البدو والحضر وانشاء المدر والوبر من حيث مد الصباح
جناحيه الى ان ضمهما للوقوع في افق الغروب ان راية الاسلام لم تظل
على سلطان احسن دينا واصدق يقينا واوسع علما وارجح حلما واسلم سيرة
واخلص سريرة واتم وفا واعم سخا واوفر حيا واغنى غنا واعظم قدرا
وافخم ذكرا وامد باعا واشد امتناعا واجل جلالة واكمل عدة والة وارفع مكانا
وسلطانا واطوع انصارا واعوانا واروع سيفا وسنانا واحمى للاسلام وذويه
وانفى للشرك ومنتحليه واعدى للباطل ومن يليه اكنافا ووراءه وطباعا
واستيفاء من الامير السيد الملك المؤيد يمين الدولة وامين الملة ابي القاسم محمود
بن ناصر الدين ابي منصور سبكتكين اطال الله بقاه ملك الشرق بجنبيه
والصدر من العالم ويديه لانتظام الاقليم الرابع بما يليه من ثالث الاقاليم
وخامسها في حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة وولاياتها العريضة
في قبضة ملكه ومصير امرايها وذوي الالقاب الملوكية من عظمايها
تحت حمايته وحياطته واستذرايهم من افات الزمان بظل ولايته ورعايته
واذعان ملوك الارض لعلو كلمته وارتياعهم من فائض هيبته واحتراسهم
على تقاذف الديار وتحاجز الانجاد والاغوار من بوادي نكيرته واستخفا
الهند والروم تحت جيوبها عند ذكره واستشعارهم هيبة الرعب من مهب الريح من ارضه
وقد كان ادام الله دولته منذ لفظه المهد وجفاه الضرع وانحلت عن
لسانه عقدة الكلام واستغنى بالاشارة عن الافهام مشغول اللسان
بالذكر والقران مشغوف النفس بالسيف والسنان ممدود الهمة الى معالي
الامور معقود الامنية بسياسة الجمهور لعبه مع الاتراب جد وجد
مستكبا بالمال لا بالايام حتى تقتله خبرا وتخبره لما تخبر حتى يبلغه قشرا

وكان الامير الماضي انار الله برهانه يرى الدنيا بعينه ويسمع باذنه

وينطق بلسانه ويستحلي مذاق العيش به ويستطيب روح الهوا بقربه ويستفتح

مغاليق الامور بيمنه ويستنجح عواقب الخطوب باسمه ولم يزل يبحث سجره

ونجره الى ان استنزلته رتبة البلوغ وبصيرة الادراك عن حجره

ولم ينفك يتدرج بين الطاعة وكراماته وولاياته واقطاعاته من رتبة الى

اخرى اعلى منها مكانا وارفع شانا الى ان ولي قيادة الجيوش والعساكر

بخراسان وهي الرتبة التي طالما تناجز عليها كباش الرجال وتروم

الابطال فلم يخطها الا العدد اليسير الذين سار ذكرهم في الافاق وتسامع

بهم رجالات خراسان والعراق بسداد ارائهم وانكسار مهابتهم

دناهو ونجمه هذا على طراة سنه ونضارة غصنه وعنفوان امره وريعان شبابه

فقاد الجيوش لخمس عشرة حجة وللدنيا اذ ذاك في اشغال

تلتهب بنارها وسمت به همم الملوك وسورة الابطال

وهلم جرا الى ان ملك خراسان باسرها وزابلستان عن اخرها وبلاد

نيمروز وجبال الغور على حصانتها ودروب السند واشباهها

وغزا الملتان فاجتاحها وتوغل الهند عودا على بدء فكاثر جراحها واذل

لقاحها وحاش مغانيها ورباعها وانتج صياصيها وقلاعها واقام على

بيوت الاصنام مساجد الاسلام وعن مشاهد البهتان معاهد التوحيد

والايمان فصارت الابطال تهدد في بطالاتها باقلعه وتفزع باقباله

وراياته واعلامه فظل اثنا بالهم وحيا لهم وكماتهم وابطالهم كما قال الاشجع السلمي

وعلى عدو ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا هدا سلت عليه سيوفك الاحلام

وحاز الله له من البسطة في العلم والحلم والهيبة في الاسم والجسم والطعم

باجايش الاعلى في وقايع يعجز صبر النفوس على امثالها وتكاد الارض

تمور من اهوالها ما لم يسمع بمثله خبر لاحد من الملوك الاعز اساطير

الاولين اريد بها التهويل والتطويل والتعجب والتعريب دون الحقيقة

التي يشهد بها العيان ويقوم عليها البيان والبرهان فلو نشرت صحائف

الدول الاسلامية وايام الملة الحنيفية لكانت دولته غرة تلك الدول

ومساعيه فيها طراز تلك الحلل الاخر لم يقترن احد من سلف الملوك من غر

الماثر وزهر المناقب والمفاخر ما اقتناه هو بنفسه وابيه واثاره

ومساعيه ولما جاز الله له كرائم الخصال ووقاه طبع المكايد فعلى

الكمال سياسة ازرت باردشير في زمانه والمنصور في سلطانه وهيبة

خفقت لها جنادب الليالي النايمة وخمرت عليها عيون الاراقم العارمة

وعدلا ضم من الضدين حتى النار الى الما والفار الى الذباب الطلس والشاء

وكفت الانياب شبا الاطراف والقرون صلابة الاجواف وكانت ايامه

مشغولة بمر السياسة عن ثمر الدراسة وبفرض السيادة عن نفل

الاستفادة لطف الله تعالى له باولاد كالنجوم الزواهر بل الليوث الخوادر

بل السيوف البواتر بل العقبان الكواسر لم ترمق الالحاظ اشخاصا

توازيهم فخامة وجلالا ووسامة وجمالا وسعادة واقبالا وسماحة

وافضالا وعلوما واادابا ولفظا وكتابا وحفظا وحسابا واخلاقا

مرة وعلما جمع الله له تمام السعادة وقصر عليه ادوات السيادة

قوله ايام الملة الحنيفية اراد ايضا ايام دول الاسلام ولايام تذكر ويراد بها الايام التي استمرت بحادثة [illegible] قال الله [illegible]
وذكرهم بايام الله اي بنعمائه كما يقال الايام العرب لذي قار والكلاب والغار واراد بها سابات المسلمين [illegible] البنوة الى ايام محمد [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله طبع المكايد [illegible]
[illegible] اردشير بابك ملك من ملوك العجم [illegible] السياسة ولجاد الاباله [illegible]
[illegible]
[illegible]
المنصور وهو ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس [illegible] السفاح اول
خليفة [illegible]
[illegible]
[illegible]

قوله لطف الله باولاد اي وهب له بلطائفه [illegible] اولادا كالنجوم [illegible]
بل الليوث الخوادر المستترة في خدر الغاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وتيمن الشيخ الجليل شمس الكفاة ابا القاسم احمد بن الحسن لوزارته وتدبير
امور مملكته ممن ذخره الله لزمان صادف فترة من احرار الرجال
وابناء الفعال فلم يطبع مثله على غراره ولم يصبغ شرواه في مضماره سجاحة
شيم ورجاحة كرم وسماحة كف ونصاحة قلم وهمة ترى الدنيا هباءة منثورة
بين اخواتها النائرة بل نقطة موهومة من نقط الدائرة وغدت سدته
ميقاتا للفضل واهليه وسوقا للادب ومنتحليه تجلب اليها بضائع
الفضائل من منظوم ومنثور ومختوم ومنشور وقد صنف طبقات الادباء
والكتاب تصانيف في ذكر ايامهم وتصاريف احوال الزمان بهم بحسب
توليهم في البيان وسهمتهم من بلاغة الخاطر والبنان حتى ان ابا اسحاق
ابراهيم بن هلال الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في اخبار
الديلم موشى بجواهر الفاظه الساحرة ومغشى على معانيه الزاهرة
بحل عقد البيان بما قدره وبيض وجه البلاغة بما سوده وان تكن دولة تقتضي
اثبات محاسنها بالتخليد وتقييد ماثرها بالتابيد فهذه هي التي تقتضي
الادباء ان تخلدوا وتقربوا مباليها كلامهم وتجلوا بتحرير مساعيها اقلامهم
ولو ادركها الماضون من ارباب التصانيف لوجدوا الوكانت الفاظهم عن غررها
معزولة والى ذكر محاسنها منقولة ولحدثتهم انفسهم بان يحتذوا اعتذار ابي نواس بقوله

اذا نحن اثنينا عليك بصالح ... فانت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة ... لغيرك انسانا فانت الذي نعني

وقد كنت اقدر ان بعض صنائع هذه الدولة ممن له حظ في الصناعة وتوجه في
طرق العبارة يرتاح لتقييد اخبارها وجمع كتاب في تصاريف احوالها واطوارها
من لدن قيام الامير الماضي انار الله برهانه اميرا الى ان انجلى الامير

ابا علي محمد بن محمد بن ابراهيم بن سيمجور عن خراسان كبيرًا وحصّله من بعد
في يد أسيرًا دون أمورها سياسة وتدبيرًا وما تقدّر له في اثناء ذلك كله
من إغاثة الرضي ابي القاسم نوح بن منصور رحمة الله عليه ونصرته
واستجابة ما لطف لديه من دعوته والمدافعة عن بيته وخطبته واستنقاذ
ما فصل عن ذؤبان الترك من ولايته وكفّهم بترغيبه وترهيبه عن إزالة حشمته
واستباحة ما سلم عليهم من نعمته محافظة على حقوق سلفه الى حال
ما صنعوا الصنائع وأودعوا الودائع ونشروا العوارف والرغائب وأنفقوا
الاموال والحرائب حتى كنزوا المحامد وعرفوا الحرمات أتلدها
وحفظوا على البيوتات أستارها وقضوا لنفوس المنقطعين أوطارها
الى ان ورث السلطان المؤيد يمين الدولة وأمين الملة مكانه خلفه في
ترتيب الامور وتدبير الجمهور وتألف الاخوة والاقارب واستمالة
القلوب ببذل الرغائب الى ان استقل به سرير الملك مطاعًا وتتابع
ولاة الاطراف الى بيعته سراعًا فوجدتهم قد عوّلوا في كتابتها على ما
سار في اكناف الحضرة من اشعار الفارسية لازدحام شعرائها على
بابه الرفيع بقصائدهم التي قد غبّروا بها ديباجة الرودكي وصنعة
الخسروي والدقيقي ولعمري انها كانت شافية ومزوّرة الاسجاع
واتباع اتيه لكنها دواخن خراسان لا تعرف عن ديارها رجالًا
ولا تألف غير اقطارها مجالًا فاقتضاني حكم ما اسلفته في هذا البيت
الرفيع من خدمة يعرفها ايام الامير الماضي قدس الله روحه من بركة
اصطناع ونعمة ثم ما رسمه لي الامير الاجل السيد ابو جعفر محمد بن ...
الدولة وامين الملة ان امتّع اهل العراق بكتاب في هذا الباب عربي اللسان

كتابي البيان تتخذونه سميرا على السهر وانيسا في المقام والسفر وتعرفون
به عجائب آيات الله تعالى في تبدل الأبدال وتقلب الأمور من حال الى حال مبتدئا
بذكر الامير الماضي كرم الله مآبه من حيث انشأت نبعته وتفرعت
دوحته الى ان استعان به الامير ابو القاسم نوح بن منصور برد الله مضجعه
في تلافي دولته والانتقام له من ابي علي بن سيمجور حين نزع يده من طاعته
واستجره لحفظ مسلته عن دار اقامته لكفاية ما دهاه من امره وامر من
طابقهم من الترك على جفوته واطمعهم برسائله ووسائله في تورد مملكته وما
جرى على يده من الفتوح المأثورة والمقامات المشهورة ومتبعا ذلك بما لحقه
من وقائع السلطان يمين الدولة وامين الملة في الهند والترك والخلج وما
اتيح له فيها من النصر والفلج وما يتصل بها من اخبارهم واخبار ولاة الاطراف في
جواره والله ولي المعونة على درك المنشود واصابة الغرض المقصود
بمنه وفضله وكرمه وطوله

ذكر الامير الماضي ابي منصور سبكتكين واحواله

قد كان ذلك الامير قدس الله روحه في جبلته ابي النفس حمي الانف جري
القلب قوي البطش كريم الخيم رضي الشيم كبير الهمة كثير الحلم تبين ذلك
كله في خصاله وخلاله ومتصرفات عزائمه واحواله وحكى لي ابو الحسين جعفر
بن محمد الخازن انه كان ورد بخارى ايام الامير السديد منصور بن نوح في
جملة ابي اسحاق بن البتكين صاحب جيوش خراسان وهو اذ ذاك حاجبه الكبير
ووجه الخزين وعليه مدار اموره وبيده مناظم شؤونه وعرفه اركان
تلك الدولة بشهامته وغنائه وصرامته ومضائه وتوسموا فيه الارتفاع
الى اليفاع فحين صرف ابو اسحاق الى غزنة واليا عليها وسادا مسد
ابيه بها انصرف هو بانصرافه على جملته في زعامة رجاله ومراعاة ما ورا

بابه فلم يلبث ابو اسحاق بعد معاودته اياها ان قضى نحبه وودع عمره ولم
يبق من قرابته وبطانته من يصلح لمحله ومكانته واضطر الجند الذين هم من
مواليه وموالي ابيه الى من يتولى زعامتهم ويتكفل بحسن الايالة خاصتهم
وعامتهم فلم ينفكوا مختلفين في الاختيار وساخطين غب الاختبار
الى ان اجمعت كلمتهم على تأميره واتفقت آراؤهم على الرضا بتدبيره
والاذعان لحكم تقدمه وتأخيره فاستوثقوا بأيمانهم طائعين وحالفوه بايمانهم
متابعين فولي امورهم برأي صليب وحزم عجيب واهتمام شديد وقيام بصالحهم
جميل ولم يركض بهم على اطراف الهند غازيا يجاهد اعداء الله الكفرة بها
ومفتتحا قلاعها ومستخلصا ديارها ورباعها ومحكما سيوفه في اهلها ممن
لم يسلم وشهد وقاتل من اشرك وجحد حتى بيته وبين عساكر الهند حين عتوا وارموا
وتضافروا على مدافعته واستكفاف عادية حروب لبسوا فيها جلد النمر وارث
نارها تارث المتذمر وعض معاناتها على جذم النصر وجافى الجنب عن الضجعة
واقنع النفس بالطوى والخمصة وانضى تحته مراكب الحمية وحث اصحابه ورفقاءه
على اللقاء الاثنيه او راحة المنية كانما عناه عمرو بن الاطنابة الانصاري بقوله

ابت لي عفتي وابى بلائي ... واخذي الحمد بالثمن الربيح
واقحامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي او تستريحي

وحكى رحمه الله في عرض ما كان يذكره من مواقفه ومقاماته وآثاره في
العدو ونكاياته اني واقفتهم في بعض وقائعهم بهؤلاء الرفقاء نحن في العدد اليسير
وهم في الجم الغفير وطالت بنا وبهم ممارسة الحروب حتى افنى الناس
الزاد وعجزوا عن الامتيار والاستمداد ولم يكن اكلنا الا السيوف القواضب

وورثا الأمهات والسباسب نصر خوا الى بلادهم وسألوني حيلة
الثبات على ما عراهم نحرقهم انّي كنت استصحبتها على سبيل الاستظهار
ضنّاً من السويق وهو الآن قسمة بيني وبينكم عدلاً سواءً الى ما بلغ قدر الكفاية
الى ان يمنّ الله تعالى بالفرج ويكشف هذا الضيق والحرج فكنت اجدح لهم ايّاماً
عَلَه لكل منهم اوّلاً ولي من بعدهم آخراً قعباً صغيراً نجتزي به طول
النهار والليل ونحن على ذلك من معالجة المكروه ومكابدة المحذور وملاقاة
السيوف والسهام بنحر الوجوه والصدور الى ان وهب الله النصر
واهب الظفر واحاق سوء العذاب بمن كفر وولّوا الادبار من قتيل مرمّل
وجريح مزمّل وعقير مرهق واسير بالقدّ موثق وسمعته يذكر ما كان من
حسن تدبيره وثقل مرّه عند افضاء الامر اليه واقتصار الامارة عليه وراحة
حاله عن التوسّع في الانفاق والتبرّع في البذل والاطلاق وانّه كان كاحد رفقائه
في الجاه والمال واحتاج مع ذلك الى ان يأخذ بمؤونة الزعامة عليهم من نفقاته
الراتبة فكان يدّخر منها ما يفي بضيافتهم في الاسبوع دفعة او دفعتين ولم يزل
على هذه الجملة الى ان اتّسعت حاله فزادهم بحسب الزيادة الى ان استكمل
اسباب السيادة فكان كما قيل: نفس عصام سوّدت عصاما
وعلّمته الكرّ والاقداما وصيّرته ملكاً هماما
ولم يلبث ان اتّسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت ارض خزانته
واشفقت النفوس من هيبته وتعلّقت الاطماع بمعونته وكان من احدى
فتوحه ناحية بست وسبب ذلك ان بايتوز كان قد غلبها على طغان
احد امرائها كان بها غصباً واجلاه عنها حرباً وتمنّيا فلجأ طغان الى الامير
الماضي مستظهراً به ومستنفراً اياه عليه بمال يضمنه وولد يرهنه وطاعة

يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند الحاجة يلتزمها فلبّى نداءه وحقّق بفضله
رجاءه وناهض خصمه بمعظم جيوشه حتى اناخ بباب بست وبرز بايتوز
الى معسكره فتناوشا القتال كأشدّ ما يكون نفحاً بالصفاح ومشقاً بالرماح
واثخاناً بالجراح فلما اضطرب الفريقان والتقت حلقتا البطان حمل الامير
الماضي من قلب عسكره حملة كشفتهم عن مقامهم واغصّت شوارع البلد بهم وداركت
عليهم الحملات من كل اوب حتى جلوا عنها مفلولين وتفرّقوا في متون الهضاب وبطون
الاودية والشعاب مخذولين واستقرّ طغان بها شاكراً احسانه ومُوجباً
تحقيق ما اوجب على نفسه من ضمانه وبذل به رهنه ولسانه وهو يتعلّل في ذلك تسويفاً
بين وعد واخلاف وتزجية بين وفاق وخلاف حتى اذا حان حين الاداء طالبه الامير
بالوفاء واغلظ له في الاقتضاء لما رآه من فرط الاباء والالتواء ونما على صحراء
خاصّة بينهما وانبائهما فحدته نحيزة الطبع بالمنع ولم يرض بالقول حتى انتضى
سيفه وضرب يد الامير ضربة اوسعت جرحها فلما تبيّن غلامه ضرب بيده الى
سيفه وهي تشخب بما ضرب كتفه ضربة انتصفت له منه وطلبه باخرى
فحجز عنها اختلاط الفريقين واهاب الامير بثقاته وغلمانه داعياً الى مطارح الغواة
وحطمهم وتبيّض تلك النواحي من سوادهم فلم يبلغ النهار الاوسط الا وبست له صافية
واطرافها من ذوي الخلاف خالية وبشعار دولته حالية وامتدّ بايتوز
وطغان الى نواحي كرمان وسجستان ولم يحلّ منهما بان يلتفت وراءه فضلا
عن ان يتمنّى لقاءه وكان من جملة ما استفاده ذلك الامير من صفايا الفتح ابو الفتح
علي بن محمد البستي الكاتب صاحب التجنيس رحمه الله فانه كان كاتباً لبايتوز
فلما استمرت به الكشفة اعيته صحبته فتخلّف عنه ودخل الامير اليه فاستخدمه

ومنّاه واغتمّه لما كان قبل معتمد الله اذ كان يجلّ جاه مثله في آلته وكفايته
ومعرفته وهدايته وحنكته ودرايته وحدّث شيخنا ابو الفتح رحمه الله
قال لما استخدمني الامير الماضي واحلّني محلّ الثقة الامين عنده في مهمّات شأنه
واسرار دواوينه وكان بلي تور بعد حينًا وحسّادي يلوون السنتهم
بالقدح فيّ والجرح لموضع الثقة لي لمّا اشفقت لقرب العهد
بالاختيار من ان يعلق بقلبه شيء من تلك الاقوال ويقرطس غرض القبول
بعض تلك النبال فحضرته ذات يوم وقلت له ان همّة مثلي من ارباب
الصناعة لا ترتقي الى اكثر ممّا رآني الامير اهلاً له من اختصاصه واستخلاصه
وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمّات اسراره غير ان حداثة عهدي بخدمة من كنت
به موسومًا واهتمام الامير بنقض ما بقي من شغله يقتضيانني ان استأذنه في
الاعتزال الى بعض اطراف مملكته ريثما يستقرّ له هذا الامر في نصابه فيكون ما
آتيه من هذه الخدمة اسلم من التهمة واقرب الى السداد وابعد من كيد الحسّاد
فارتاح لما سمعه ووقع من الاحماد موقعه فاشار الى ناحية الرخج وحكّمني
في ارضها اتبوّأ منها حيث شئت الى ان يأتيني الاستدعاء فتوجّهت نحوها فارغ
البال رافه العيش والحال سليم اللسان والقلم بعيد القدم من مخاضات التهم
قال وكنت اصبحت ذات ليلة وذلك في فصل الربيع اروم منزلاً امامي فلما اضحيت
نزلت فصلّيت وسبّحت ودعوت وقمت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي
على قرية ذات يمنة محفوفة بالخضر مغمومة بالنور والزهر وامامها
ارض كانها مفروشة ببساط من الزبرجد مكلّل بالدرّ والمرجان مرصّع
بال[illegible] والعقيان تنساب بينها انهار كبطون الحيّات في صفائها الحياة

ودلّ نفحني من نسيم هواها عرف المسك السحيق والعنبر الفتيق فاستطبت المكان وتصوّرت
منه الجنان ورغبت الى كتاب احبّ كنت استصحبته لاخذ الفال على المقام او الارتحال
ففتحته فدلّ صدر من الصفحة عن بيت شعر وهو واذا انتهيت الى السلامة في مداك فلا تجاوز
فقلت هذا والله الوحي الناطق والفال الصادق وتقدّمت بعطف عنان الهوى اليها وغنيت
سنة اشهر بها في انعم عيش وارخاه واهنا شرب وامراه الى ان اتاني كتاب الامير
استدعاني الى حضرته بتبجيل وتامين وترتيب وترحيب فنهضت اليها وحظيت بما
حظيت به منها الى يومي هذا وكان اختياره ذلك اجمل ما اسلكه ذلك الامير
على رايه ورزانته ودرجة به الى محله وكانته وصار من بعد ينظم باقلامه
منثور الآثار عن حسامه وينسخ بعباراته وشايع قريحته ومقاماته وهلم
جرا الى زمان السلطان يمين الدولة وامين الملة فقد كتب له عدة فتوح الجان
وزحزحه القضا عن خدمته ونبذ الى ديار الترك من غير قصده وارادته فانا
بها غريبا دهرا لم يحل من مساعفة الزمان نصيبا ولما استتبت للامير تلك النواحي واستقر
على شعار دعوته الاقاصي والاداني وصفت له اشرابها ودرّت عليه اخلافها
استخلف عليها من اختاره من ثقاته وخواصه وكانت بلاد قصدار قد تعبت
بمرور اسنته وتمرد عليه واليها لحصانة اطرافها ونواحيها وخشونة مصاعدها
ومنها ولها وظن ان بعد الشقة وحزونة المضرب وضيقة المدخل ووعورة
المتغلغل مانعته من الظهور عليه وقاطعته دون الوصول اليه فلم يرعه الا صبحة
الغارة واخذات الخيول عليه كالخط في الاستدارة وقد طوى اليه تلك الطرق العاصية والقلل
العاصية المتناصية في ركضه لم يلبث جنبه فيها قرارا ولا جفنه غرارا ولا خلة جماما
الا لماما فهجم عليه في ربعه بنفسه وصحبه فلم يرعه ولم يرع اخذ المقصدين له عجلان يسير بها القوم بزاي
فكان صباحه كما قيل اذا خرس الفحل وسط الجحور وصاح الكلاب وعق الوالد

قوله جماما جمام الخيل الفرس لا
يغني لستدراجها من للجم يعني الجمع
كانها تجمع وتجم باستراحتها ما
انتزف بالجري من علالتها ه
قوله المقصب قصب الشاة تقصيبا
اذا قطعها عضوا عضوا والمقصب
مبالغة في القضب وهو القطع ه
قوله فكان صباحه كما قيل اي
غارته في وقت الصبح ولاختصاصه
هذا الوقت قد يسمى باسمه فيقال لغيرها
الصباح من العادة وانما اختص
بالصباح لان الغالب ان المغير
يسري الليل ليخفى على المقصود واتيان
ومنه قوله تعالى فالمغيرات صبحا ه
قوله وسط الجحور الجحور جمع جحر
وهي الحكة اي دنى من الحيك ه
قوله عق الوالد جاز ان يكون
مرفوعا بالفاعل ومنصوبا بالمفعول
لان العقوق يستعمل في الوالد كما يستعمل
في الولد والمعنى استد الوجب
من الحي بلا يقدر الفحل الحصان
الصهيل لكونهم اولها كيلا يوذيهم
بمناقضة الركض يعلل انها غيب

ثم رأى ان من عليه ويرجع اليه ما كان بينه فاطلقه تطولاً وامتنانًا واعاده
الى مكانه انعامًا واحسانًا ووافقه على مال يعجله وآخر في كل سنة يحمله فعمرت
باسمه تلك المنابر واشترك في العلم بحاله الوارد والصادر والغائب والحاضر
ولم يزل بعد ذلك يدرك الركض على اطراف الهند غازيًا ومجاهدًا حتى افتتح قلاعًا
كانت مرتفعة في جبالها طامعة بأتوالها ممتنعة برجالها وحصلها كلها
في يده ونظم خراسانها في سلك ملكه ولم يزل يتوغل تلك الحدود حتى افتتح بلادًا
لم يسكنها قبل الا كافر ولم يطأها للاسلام خف ولا حافر وحين علم جيبال
الهند ما دهاه ممن يطوي مسافة ملكه ويقبض من اطراف ولايته ويلحق
الهون والخسار بمن يحامي عن حوزته اخذه المقيم المقعد وتملكه المزعج المكمد ورأى
الارض قد ضاقت عليه بما رحبت فثار بنفسه وعشيرته واعيان جيوشه
وكاكرته وما خف من ثقال فيلته يريد الانتقام منه بوطء عرصة الاسلام
واستباحة حليته الحرام يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون وسار كما هو حتى جاوز لمغان دانيا من ولاية الامير
دون الوادي بصولة الشاكر الى قوته وحوله وقد باض الشيطان في راسه وفرخ وشوى
السوداء في دماغه وطبخ وهو يظن الظنون ويعلق بحساب الحسبان ما لا يكون ولما
سمع الامير بوروده وتغلبه استعد لمناهضته وجمع اولياءه على محاربته واستجاش من
مطوعة الاسلام من وجب استجاشتهم لمناصبته وكف باسه ومعرته وبرز من غزنة
متوجهًا نحوه وقد استحصفت نيته في الجهاد وقويت حميته للاسلام ابنيه ووافقه بين
البلجتين برجال كقطع الليل او دفع السيل ومعه السلطان يمين الدولة وامين الملة كالليث
الخادر والعقاب الكاسر والموت الكاشر لا يؤم صعبًا الا ذلله ولا يروم معقلًا
الا حله ولا يزحم منكبًا الا حطمه ولا يساول قرنًا الا اراق دمه ونشبت الحرب بينهم

اياما ولاء وادبرت عليهم كؤوس الطعن والضرب ملاء حتى سكر الفريقان من
سورة الطعان وبقرب تلك المعارك مما يلي الكفار عقبة تعرف بعقبة غورك
يخفض عنها طرف العقاب ويتعثر دونها جيش السحاب ذات مهاو
ومشارف ومثان ومعاطف وفي بعض اوهادها شريعة ماء كالشريعة الحنيفية
في الطهارة لا تقبل قذرًا ولا تحمل غشًا ولا غشوًا فان القي شيء من القاذورات فيه
اكفهرت له السماء واختلفت النكباء واظلمت الشواهق والاعماق وغصت بالزمهرير
الآفاق حتى يرى الموت الاحمر عيانًا والعذاب الاكبر حقيقة وبيانًا فتقدم الامير
بالقائها ضربًا من النجاسات تمهرًا فقامت القيامة على الكفرة الفجرة
وتوالت عليهم الصواعق والقوارع واحاطت بهم الرياح الزعازع ومدت السماء عليهم سرادق
البرد والخصر واثارت زوابع الاعصار والقتر حتى عميت عليهم المذاهب
والمهارب وانسدت نحوهم المسارى والمسارب فاستسلموا لفرط الهول واهل الوجل
وشهدوا بان قد شاهدوا الموت قبل حلول الاجل وارسل جيبال يطلب الصلح ويستكف
الحرب على مال يؤديه وحكم للامير في فيلته ومملكته يمضيه فهم الامير بالاجابة
الى ملتمسه اشفاقًا على اوليائه او لصواب عزله في رايه فنهره السلطان يمين الدولة
وامين الملة اوليكل الرسل عن ارادة ان يكون تفصل الحرب الا عنوة وقهرًا حمية للاسلام
والمسلمين وثقة بالله رب العالمين فانصرفوا بما عرفوا من صرم الحال وضيق المجال
واضطر جيبال لما اعياه من الحيلة في امره الى اعادتهم في طلب المكافة خاشعًا
والتماس الموادعة طائعًا ضارعًا وكانت زبدة كلامه انكم قد عرفتم حمية الهند
واستهانتهم بالموت اذا طرقهم طارق محذور وحزبهم حازب مكروه فان
يكن امتناعكم عن الصلح طمعًا في الغنيمة والفيء والفيلة والسبي فما هو الا اصرى
عزم ممتطيه في استهلاك الاموال وسمل الافيال وعرض الغلمان على النيران

ومشى الرجال بعضهم الى بعض باطراف الحراب وظبات السيوف ثم شاكهم وما بقي من
جماد ورماح ومواش وزفاف فلما سمع ذلك الامير من كلامه واحس
مصدوقه ما همّ به عند يأسه من مرامه رأى حفظ الدين وليائه في موادعته
واستنزاله عن ماله وعدته ارجح من تخليته وما اختاره من التقاطع بالسيوف
والتهافت في الوقود فوافق الامير السيد يمين الدولة وامين الملة على كف يد
الازهاق عنه على الف الف درهم شاهية وخمسين راسا من الفيلة ضمنها
نقدا وعلى عدة بلاد وقلاع في سرة مملكته كان اشترط عليه ان يسلمها الى من
يتسلمها من جهته بعد ان بعث اليه رهاين من عشيرته واعزته على الوفا
بما ضمنه والانجاز لما بذله وقبض المال والفيلة نقدا ووافقه على البلاد المذكورة
رسلا وارسل معه بمسلمة وحاجته دليلين يعدلان به عن المعسف ويقفان به
على القصد في المنصرف وبعث معه بعدة من ثقاته ليتسلم الاماكن المشروطة منه
فلما ادغل المسير ورأى انه قد خفف عنه الطلب واستنجى به اللسنة حرثه
خبث الضمير بالاخلاف واركسه عجز الرأي في استيناف الخلاف واعتقل من
كان في صحبته بالاعمال منهم من عشيرته وتدرأ الامير بان الذي بلغه من اسره
ان جاز برحه خلاف وباطل التيه لحاصل الى ان تناصرت به الانباء فبرح الخفا
وانكشف الغطا وعلم ان الله تعالى قد طبع على قلبه وحال بينه وبين رشده اعجوبه وبال
امره فبجو عليه بمال الكفر وشحذ غرار عزيمته لغزو بلاده وتخليصها عن خبث ثمنه
ونساده ونهض في الكماة من غلمانه والحماة من رفقائه واعوانه متوكلا على الله تعالى
ومجلسه ومتنجزا في النصر وعده وصار حتى اقتحم بهم ديار الهند فلم يبرز له بارز
الا سنن اعراض جيبال وحوشيه الا وسعهم طحنا واستلحمهم ضربا وطعنا وقصد لمغان وهي
كورة بجبانة اطراف وغزارة الاخلاف مشهورة فافتتحها عنوة واثبتوا رجالهم

11

بقضها على الكفار نارا وهدم بيوت الاصنام واقام فيها شعار الاسلام ومضى
عنها قدما يفتتح البلاد ويقتل الانجاس الاوغاد حتى اخل المشركين وشفى
صدور قوم مؤمنين ولما ارمى على الغاية في النكاية واربى على قدر الامكان في
الاثخان وبرحت يده وايدي اوليائه بما غمر اليد والجلد من كرائم الاموال
وغنائم تلك البلاد عطف الاعنة وراءه كريم الظفر حميد الورد والصدر وتطايرت
كتبه الى الآفاق بذكر ما فتح الله للاسلام على يده فاشترك الناس خاصة
وعامة في الارتياح له والانشراح لموقعه والشكر لله على ما اتاحه فيه من صنعه
ولما رأى جيبال ما قد دهاه جزاء عما نقضه من عهده ونكثه من مراير
عقده ورأى وجوه رجاله جزر السيوف القواطع وطعم النسور والخوامع سقط
في يده وقت في عضده ونالته منه الندامة وقامت عليه القيامة وبقي زمانا
على حاله مبهوتا لا يدري الرأي في ظهر ادباره او في وجه اقباله ثم حركته
الانفة لاستيناف المناجزة طلبا للثار وطمعا في الانتصار ففكر ودبر واقبل
وادبر ثم عزم وقدر ونادى بحشر وثار في ماية الف او يزيد وزن وبلغ
الامير خبره فقابل اقباله بالاستقبال وحرض المؤمنين على القتال وسار
بقلب منشرح وامل منفسح حتى اذا انتبت الخطى بين الفريقين فرع الامير ثنية
مشرفة على سواد الكفرة فاذا النمل محشورا والجراد مبثوثا فراعه منهم ما
يروع الذباب من سوام الغنم والليوث الجياع من هوامي النعم وحث اولياء
الله على الكفرة القلف فاجابوه سراعا بقلوب محشوة بالدين مملوة من صدق
اليقين وتقدم اليهم بان يتناوبوا الحملات عليهم في كل حملة خمسمائة غلام بالدبابيس
الحاطمة والقراكيبنات الهاشمة حتى اذا ابلوا عذرهم في الجهاد خلفهم من اضرابهم
من ينوب منابهم رضا وهضا وطعنا وطحنا ففعلوا ما امر واخذوا ما رسم

فلم تزل هذه حالهم حتى استغاث الملاعين من حر الوطيس ووقع الدبابيس وسموا بان
يخلوها جملة وتزحزح الاقدام وتقشع الجيش اللهام فصدت بها تداعت الصفوف
وغربلت العوامل الا السيوف واختلفت الضربات من واحدة تقط الهام واخرى تقد الاجسام
وثارت عجاجة غبرا ستر العيون عن الاشباح فلم تعرف الصفاح من الرماح
ولا الرجال من الاذيال ولا الابرار من الفجار ثم انجلت عن هزيمة انجاس اراجس
واسلامهم عددهم وعتادهم واسلحتهم وازوادهم وخيلهم وكراعهم وقد غصت البيدا
بجيف قتلاهم من جريح بحد الحسام وطريح من هول ذلك المقام سنة الله في الذين
خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولوت الهند بعد ذلك اذنابها على رؤسها ورضوا
بان يسلموا من حجر الطلب في اقاصي ديارهم ويتكنوا في شعارهم بمنابت اشجارهم
وصفت تلك النواحي لذلك الامير ودرت عليه اخلاف الاموال وانحلت له عقد
الجبايات وحصل له من وجوه الغنايم وغيرها مايتا راس من الفيلة الحربية
وكثف سواد جيوشه ودانت له الافغانية والخلج فمتى شا استثار منهم الالوف في خدمته
وامتهن منهم الارواح والنفوس في نصرته والقيام بفرض طاعته وعند ذلك
اوجب اغاثة امير ابي القاسم نوح بن منصور والي خراسان واعانته على جيوش الترك الذين
اجلوه عن دار ملكه بخارا واخرجوه عن وطنه بها حتى فرق جمعهم واضطرهم الى الانهزام
وراهم كرما لم ينشط له غيره من اوليا تلك الدولة وانشا ملك النعمة لاجرم ان الله تعالى جازاه
على جمالة وذكره وقصر عليه سناه وقدره وجعل كعبه سببا لانتساق الملك اليه ولولده
وتوطيه لبقا العز في عقبه وذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم

ذكر الاسباب التي اطمعت الترك في ولاية امير ابي القاسم نوح بن منصور وتوسط

واجلابه عن بيته وخطته لما كان اشتغل الملك سنة خمس وستين وثلثمايه واجتمع اوليا
وحشمه على بيعته بدرات عظيمة اطلقت وعشريات فرقت حتى تبدد شمل الاموال

التي كان وزرا السامانية من قبل يكدحون لها ويدابون كابي الفضل البلعمي
وابي جعفر العتبي ومن كان نصب منصبهما في الوزارة وتدبير المملكة وكان ابو الحسن محمد بن
ابراهيم بن سيمجور اذ ذاك صاحب الجيش بنيسابور فتلطف له في الرضا به وعقد البيعة له
على صغر وحداثة سنه وضوعفت له الصلات المطلقة لامثاله من اركان الدولة حتى
لانت عريكته وتمت سجيته وفوضت الوزارة الى ابي الحسين العتبي فقام على ميعة
شبابه بالامر قيام الحدب الشفيق وكفله بمناصحته كفالة المويد بالنصر والتوفيق
حتى استقامت بحسن تدبيره الامور وانشرحت الصدور وانسدت الثغور واستطار
هيبة تلك الدولة شرقا وغربا وبعدا وقربا وكان الامير عضد الدولة وتاج الملة
على جلالة قدره ونباهة ذكره ومناعة جانبه وخشونة جلبه يتوخى رضاه فيما
يحتكم عليه به من المطالب التي تختص بولايته وربما اخذته العزة باللجاج فيتذكر
ما وراه من الادوا المعضلة والامور المستفحلة فيسرح قرونه ويلين صعبه وحرونه
حدثني احمد الخوارزمي وكان من جملة خاصته مندوبا للحمل في موسم كل عام
الى بيت الله الحرام ومجاوريه وسكان مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وذويه
وتفريقها فيهم ووضعها مواضعها منهم قال دخلت عليه ذات يوم منحدرا
من خراسان فسالني على رسمه عن حال ذلك الشيخ في سلامته واستقامة الامور
في ضمن كفالته ثم قال هات ما استدعاه واعرض ما بدا له فعرضت عليه تذكرة كان سلمها
الي بتفصيل ما رسم لي حمله من ديار العراق في جملتها الف ثوب مستعملة مطرزة
الاطراز باسم الامير السيد الملك المويد المنصور ولي النعم ابي القاسم نوح بن
منصور مولى امير المومنين وخمسمايه ثوب مطرزة باسم الشيخ الجليل السيد ابي الحسين
عبيد الله بن احمد ومثلها معلمة باسم الحاجب الجليل ابي العباس تاش فلما تاملت
به علما دخلته نخوة الملك واخذته حمية الحرد وطار به الغضب كل مطار فالقى

واستفزته ابهة العز

الى في الجواب أن ابن العتبي لو اغتنم سلامة ما يليه وتفرد بالله سرفيه
كان أولى به وأعود عليه وعلى صاحبه مما يسومني مثل هذه الاحكام وأمثاله غير
أني أجل سوالحل جنجون قبل عود كل من وحمل مرابط الجحافل ومراكز القنا والقنابل
نقمت من مكاني يتجاذل القوى خوفا من سطوته وباسه وأخذت لحجر رجلي
تهيبا وارتياعا الى أن ركبت على الرسم وانصرفت الى المناخ فلما أزف
ارتحال الحجيج أتاني رسوله فبادرت اليه وأحسنت خدمة المجلس من يديه
فزادني على المعهود بشرا وخصيبا وبرا وترحيبا وقال قد أمرنا في معنى التذكرة
بما استدعاه ذلك الشيخ كراهة لاستيحاشه وخلافا على خلاف رفاقه
فتنجز الجملة لبواني عن فراغ الصناع منه وحصول المراد به قال فاستعملت
ذلك كله على الطرز المذكورة وحملتها في صحبتي الى بخارا مشفوعة بسائر
ما رسم لي تحصيله وتنجيزه وقد أكثر الشعراء من أهل العصر في وصف محاسن
الشيخ أبي الحسين العتبي رحمه الله ولا سيما أبو طالب المأموني فانه
سير في مدحه قصائد غير مردودة منها قوله من قصيدة يمدحه بها وهي

هذي عزائم عتبي تفرق ما بين الجماجم والاعناق ان عتبا
ديمة من أعين الدهر لو رزقت من صدره لم تسعها الارض مضطربا
اذا انتضى للندى او للردى قلما أجرى به سحبا او جحفلا لجبا

وقوله فيه من أخرى

يتحى الصعيد صعادا والندى ندبا اذا تقلد للغزو او نطبا
كتائب منصوره مكيه الى السيف فيما ان يرى القلم منصبغا
يوما لعتبي عزم موثق حزم يحلي خلافة البيضي ضلعا
اذا أمر الشيخ الجليل سيوفها هوت تجدل في الدارعين وركعا
تعود بعارضه الخلافة أيضا بأبيض من أبناء عتبة أروعا ومن ذلك قول اللحام فيه

الشيخ أكبر من مدحي وإكباري / لكن أجلي به ذكر الشيخ أشعاري
وأعتب الدهر اذ عاتبته بفتى / من آل عتبة نفاع وضرار
يحيى المكارم في لا وفي نعم / فالناس في جنة منه وفي نار
كأنما جاره في كل نائبة / جار الأراقم في أيام ذي قار

ومن ذلك قول أبي الحسن العلوي الوصي الهمداني

كأنما الدهر تاج وهو درته / والملك والملك كف وهو خاتمه
والبر والبحر والأعلام أجمعها / والخلق والفلك الدوار خادمه

وتقلد أبو العباس تاش الحجبة الكبيرة فولي أمور الباب وزعامة الحجاب
والسفارة بين أولياء السلطان وحشمه في تنجز حاجاتهم واستطلاع أطماعهم
في عشر نياتهم واستزادة مراتبهم وولاياتهم حتى تخلقت النفوس بمحبته
وتعلقت الأهواء بزعامته وفتح أبو الحسين عليه أبواب الفوائد والإصابات
حتى كثر وفره وظهر أمره واشتد بالاستظهار ظهره وكان أبو العباس تاش
جملة فتيان أبي جعفر العتبي ملك يمينه أهداه الى الأمير السديد أبي صالح
لمخايله على نفسه الكيسة وذكائه ورضى شمائله وانجابه فاستتم أبو الحسين
الصنيعة عنده بالرغبة منه والتنويه به والإشالة بضبعه ورباعه وتدريجه الى
المحل الذي توسمه في تربيته واطلاعه وجرى أمر ذلك الباب شاغلا بهما على
التصالح وترافدهما على ارتهان المصالح على أحسن الوجوه هيبة وجمالا وأدهيبة
واستيفاء وجلالا ونفاذ الأوامر مبنيا وشمالا واستخص أبو الحسين فائقا الخاصة لطول
خدمته الأمير السديد وحظوته عنده واختصاصه بعاته واشتراكه في صحابته
فكان شريكهما في التدبير وصيانة هيبة السرير وأقر أمر الجيش بخراسان
على أبي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور فتفرد كل منهم بحماية الملك وسد الثغور وسياسة
الجمهور فخمدت النواجم الشرور الى أن بدت كامنها تتفتق وحبوبها تتحرق وكان

من ذلك امر سجستان وتفسيره ان خلف بن احمد كان استنصر الامير السديد على طاهر
بن الحسين قريبه وخليفته على اعمالها بعد انكفائه من حج بيت الله الحرام وذلك
في شهور سنة اربع وخمسين وثلثمايه لتمكنه كان من الولاية واستظهاره بالمال
والالة واستمالته قلوب الاجناد والرعايا من اهل تلك الخطة فاحسن نصرته
ومعونته وكفاه كلفته ومؤنته وامده بما استمده من كماة الجيوش لرده الى نيته
وتقرير مملكته في يده فانحاز طاهر حين احس بالمدد وكثرة العدد الى اسفزار
حتى قر خلف قراره ووضع عنه اصاره وصرف عن ظهر الاستغنا اعوانه
وانصاره ثم كر عليه كرة اجلته عن داره وطرحته الى باذغيس فيمن نادى
بشعاره فعاد وحضرة الامير السديد مستصرخا اياه وضارعا الى غوثه فيما
دهاه فاحسن لقياه واكرم مثواه واجاد تقويته وانجاده وكثف بالخيول سواده
ورده بهم الى سجستان فلم تقع صولة النهاض حتى مضى طاهر لسبيله وانتصاب ابنه الحسين عنه في
منصبه ووراثته في الخلاف مذهبه فناصب خلف فيها مناصباله الحرب غاديا
ورائحا وما صباحا ومساء حتى كثر القتلى بين الفريقين وطالت يد الانتصاف على اصحاب
الحسين فعندها كتب الى بخارى متنصلا عن سمة الخلاف ومتلطفا في الاستقالة والاستعطاف
ومظهرا للطاعة في زيارة الحضرة ومباشرة تراب الخدمة متى صادف رخا
من ضيق الخناق وفكا من شدة الوثاق فاحسن ذلك الامير اجابته
وقابل بالقبول انابته وسهل الى ورود الحضرة سبيله وحقق بالاحسان والافضال تاميله
واستقرت امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه وطارت فيها
اوامره واحكامه وانبسطت بالعز يده وباعه وتموجت بذخاير الاموال
رباعه وبقاعه وانقطعت عن بخارى مواد خدمته وطاعته واعفاه بمال موافقته
ومقابلته حق الاصطناع بواجبه وانضاف الى ذلك استهانته بالاوامر الصادرة

اليه في حينه على ثباته ودعاه الى ما يجمع صلاح يومه وغده فخرج عند ذلك الحسن
بن طاهر لمناهضته في جمرات خراسان ومشاهير رجالها ومساعير ابطالها فحاصره
في قلعة ارك وحارب عليه الحرب زمانا طويلا فلم يغن فتيلا ولم يجد الى الافتتاح سبيلا
ورحل ابو الحسين العتبي يزيد عددا على عدد وصفا الى صف وكان جملة القواد بها
كنباش وكناش اخوة الحسن بن ملك واضرابهم من ابناء تلك الدولة ووجوه انشائها
ورجوهم سيما لما طال هناك ثواؤهم وتصور على المراد غناؤهم لمناعة الحصار وحصانة
سوره وشدة اغلاقه وسدوده واعيا الخندق المحيط به على الفارس ان يخبره ركضا وعلى
الراجل ان يقطعه خوضا ولارصاد خلف ايامهم بفنون الحيل تعل استئنافا بالفرض والحسبان لهبانا
للبياب واطلاعا من مامون الجهات وقد نابا خرب الى افاعي عن افواه المجانيق والعرادات
حتى فضط وابدلك الى الارتحال والتنقل في المضارب والمحال يتقوامنا كل قرابة سبع سنين
على هذه الجملة حتى فنيت الرجال ونزفت الاموال وذهبت الكراع وعطبت المطايا
والركاب فكانت هذه من اوايل الوهن على تلك الدولة ومن هنالك وهي العقد وانبثق السكر
واتسع الفتق واتسع الخرق ولكل امر امد ولكل امة اجل ولكل ولاية نهاية يمحو الله ما يشا
ويثبت وعنده ام الكتاب وتذاكر اركان تلك الدولة فيما بين هذه الحال لزوم صاحب
الجيش ابي الحسن فكانه من نيسابور كلا على صاحبه لا ينهض خفا ولا يجبر وهنا ولا يفتح
سدا ولا يحسم داء ولا يغني في مصالح الدولة بدلا وتفاضلوا بينهم ما كان الامير السديد يضطغنه
عليه لالتزامه بالمكان وقعوده عن نصرة السلطان وتوافرهم على صرفه والاستبدال
به وكتب اليه في الصرف وقلد ابو العباس تاش ما كان يليه من الامر فلما ورد الرسول عليه
وادى ما تحمله على رؤوس الاشهاد ابت عليه الحمية خطة الهوان ولقنته الانفة
كلمة العصيان وطارت نعرة الخلاف في راسه فادعى الامر لنفسه اتكالا على فرط
قوته وباسه واعتزازا باولاده واعضاده واستظهارا بجيوشه واجناده ثم بيت التدبير

وحمول الرأي و... فلم يرض بأن تتناقل الألسنة ذكر استعصائه على فخر الدولة
وتناهي مدته في الخدمة وتصور ما يتبع الخلاف من ركوب المصاعب التي تسلب النفوس
جمامها والعيون منامها والأموال المذخورة نظامها الحامية من التعرض لكروه النوائب
والتفكك بمحذور العواقب فرأى أن قبول الضيم على السلامة من لواحق الآفات أقرب إلى الصواب
وأبعد عن المعاب ودعا الرسول فاستقاله عثرة ما قاله وعرض صدق الطاعة مشفوعاً
بفرط الخشوع والضراعة وقال إنما أنا نبعة غرسها السلطان بيده وسقاها بماء كرمه
فله المشيئة في استبقائها للأثمار واجتثاثها وإلقائها على النار وصرفه على
جملة الطاعة ولين المقادة والبدار إلى حيث يجلي إليه من ديار المملكة وتلطف
لتسكين من كان يتغلغل في ذروته من أهل بيته وأوليائه بتسويله وإغوائه فعلم من
استشف ببصيرته أستار الغائب وأنفق عمره في تجارات التجارب ونهض إلى
قهستان منتظراً ما يستأنف به أمره ويتقرر عليه تدبيره إلى أن نهيه به في نحو
خلف بن أحمد لاعتضال دائه وتحير العساكر لطول أيام حصاره فبادر إلى سجستان
ودينه ومن خلف بن أحمد موده وانساب على الأيام موكده فافتتح الرأي عليه بالنزول
للحسين بن طاهر عن محصنه والانتقال إلى غيره من معاقله ليتشبث هو ومن كان من
قبل محدقاً به من أولياء ملك الدولة إلى الانصراف عن جنابه بعلة الانتياح وطاب(?)
الفلج فإذا أخلا وجهه له ثنى العنان إليه متنصفاً منه ومُمضياً حكمه فيه فقبل
مشورته وفارق أرك إلى حصار الطاق حتى دخلها أبو الحسن بن سيمجور وصلى
الجمعة بها مقيماً رسم الخطبة للأمير الرضي وطالعه بذكر ما فتح الله على يده
وسناه من نتاج ذلك الأمر بجده وجهده ورتب الحسين بها أميراً وقرر أعمالها عليه
تقريراً وانصرف هو وراءه وسنورد ذكر ما جرى من أمره بعد في موضع مثله إن شاء الله

ذكر حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب في انتقال السالارية إليه

ثم سير أبو العباس تاش من بخارا إلى نيسابور على قيادة الجيوش وزعامة العساكر وتدبير
القاصي والداني من أمور الممالك وتصل جناحه بفائق الخاصة ونصر بن طي(?) الشرابي
وبني مالك على فخامة أخطارهم وجلالة أقدارهم وسير تحت رايته أعيان الأولياء والحشم
بعد أن بحث علته فيما شاء واقترح من الأموال والأسلحة والعتاد والجلد فوردها
للنصف من شعبان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة في آلة راعت الأبصار وهيئة أعجبت
النظار وهيبة شحنت الجوانب والأقطار فدبر الأمور بصرامته ونظم المنثور بفرط
جرامته وألف الجمهور برفق سياسته وزعامته ووافق تلك الأيام انقطاع شمس
المعالي قابوس بن وشمكير وفخر الدولة أبي الحسن علي بن بويه إلى نيسابور عن
حرب جرت بين مؤيد الدولة بويه وبينهما وسببها أن عضد الدولة أبا شجاع كان
تصدى لفخر الدولة وهو أخوه لإجلائه عن ولايته التي كان أبوه ركن الدولة أوصى بها له
وعقد الوثيقة على كل منهما به على الجملة التي أشار إليها أبو إسحاق الصابي في كتابه
المعروف بالتاجي ودس إلى عسكره من استمالهم عنه وأغراهم فلما أحس به وتهوأ(?) ذلك
بهمدان وتراءت الخطى فيما خف معظم جيوشه إلى عضد الدولة مستأمنين ولووا
أعقاب الخذل هاربين فلما استوحش(?) لإسلامهم إياه وكفرانهم نعماه وبالأمس ما قد رأى ابن عمه
بختيار كيف قطع رحمه وأراق دمه خالفهم إلى طريق الديلم هائماً على وجهه وناجياً
بحشاشة نفسه ومتقياً بركوب شعابها المضطربة وآجامها الأشبة حاذرة من
مس الطلب وركض الأكراد والجرب وتوغل تلك البلاد طاوياً مسافتها إلى جرجان حتى لم(?)
بشمس المعالي قابوس لاجئاً إليه ومستأمناً إياه فآمنه وآواه ومهد له ذراه وأعطاه
فوق ما عناه وأشركه فيما ملكت يداه حتى حمل الملك وهو البلاء الذي طالما ضنت النفوس
بابتذاله وقاية له دون همّ باغتياله وسعى في استفساد حاله وبيان ذلك أن عضد
الدولة ومؤيدها أرسلا إليه يستردانه على شرط أموال تحمل إليه وولايات عرضة

بجمعته

تضاف الى ما في يديه وعلى مواش تستانف في التعاقد على الصفاء والتعاون في حالتي
السراء والضراء فرجع اليهما ان الرجاء حجم والوفاء كرم وان للامان عنده حرمة
لا يرى اخفارها في دين المروة وشرط الحفاظ والفتوة وعساه لو هم به او كاد
ان تأبى عليه بيض المواضي وزرق الاسنة والعوالي فاحفظهما هذا الجواب وحرضهما
على مكاوحته وانتزاع مملكته من يده وكتب عضد الدولة ابو شجاع الى اخيه مويد الدولة
بمناهضته بعد ان امده بما فوق الحاجة من مهم الرجال ونفايس الاموال فبرز من الري
متوجها نحو جرجان في جيوش الديلم والترك والعرب وسار الى استراباذ متغلبا
على ما يرده من بلاد طبرستان الى ان اناخ بها وكان شمس المعالي قابوس بادره اليها
بجمع عسكره بها فلما تلاقيا تناوشا الحرب من لدن طلوع الشمس الى الزوال حتى
احمر بساط الارض من دماء الابطال ثم انجمت على عسكر الجيل كشفة اعيا
ضبطها الزوال الاقدام عن المقام تفرقت جموعهم في خمر الغياض والاجام
وعطف شمس المعالي الى بعض قلاعه المشحونة بذخاير امواله واستظهر عنها بالاهبة
للهزيمة وسار نحو نيسابور فلما وردها لحق به فخر الدولة من طريق استراباذ فالتقيا
هنالك واجتمع اليهما من فرقتهم الكشفة في الطرق المختلفة من طبقات الرجال وكتبا
الى الامير ابي القاسم نوح بن منصور والي خراسان بحالهما في قصد دولته وتأميل
الاستنجاش بعونه ونصرته وافتكاك ما غصبا عليه من الولايات بيمن دعوته فورد
عليهما من الجواب الضامن للايجاب ما شرح صدورهما وشفى بالفرج القريب ظهورهما
وكتب الى ابي العباس تاش باجلال محلهما واكبار قدرهما واكرام جوارهما وتقبل مهما احتاجا
لردهما الى ديارهما فقبل ما رسم وتلقى بالامتثال ما حتم وعطفت اليه اعنة الخيول
من كل وجه حتى استظهر بنخب الرجال وعزم على الارتحال فخص نيسابور قاصدا
قصد جرجان اذ كان مويد الدولة نوبه بها لينتزع ولاية الامير شمس المعالي اولا

من بعد ثم يتفرغ من التدبير فيه الى غيره وجز له ان يسرح نابعا على سمت
قومس والري ليقطع الامداد والمواد عنه ويلتبس اخبار تلك الديار على فريقه
شغل قلب توجه الجيوش اليه من وجهين والحاقهم به من جانبين فنهض
على السمت المذكور ثم بدا له فيما دبر وراى ان التحزب للاستظهار على الوجه
الواحد اصوب في الحزم والاحتياط اقرب واسترده من وجهه الى ان ازدادا
باجتماعهما على التضافر واتفقت اراوهم على التسابر وسار حسام الدولة تاش
في تلك العساكر الى باب جرجان وفيهم شمس المعالي وفخر الدولة حتى اناخوا بظاهرها
وتحصن مويد الدولة بويه بها واحتجز بخندق حفره ومخترق عوره وفرج
للبلد حصنها ودروب يحفظه الرجال شحنها مادهم الحرب حتى عبر شهران كيوم
واحد في مداومة الكفاح وملازمة السلاح وضاق الطعام في بعض جرجان حتى
اعيى الديلم قوتهم الذي يحفظ على الشباب قوتهم فكانوا ابرزون من نخالة
الشعير المعجونة بالطين وعهدي بهم يدرجون كتبهم الى اهاليهم بالري اشباه
المحنوذ الفراخ شبهها شكوى الحال والهزل فكانت كاقراص المداد في السواد
وزحف الفريقان بعضهم الى بعض وكان فخر الدولة على الميسرة مقابلا لعلي بن كامة
صاحب جيش مويد الدولة فاظهر الغناء واحسن البلاء وحمل عليه حملة زحزحته
عن مكانه كليما وطرحته الى استراباذ هزيما ولو اعين بمدد في المجال الفسيح
وضيق المجال وجعلها اخرة القتال لكسر القوم نافسوه فخذلوه لا جرم ان
نكبة من كتايب الديلم عطفت على من تشاغل بالنهب والاغارة من اوباش
الخراسانية فطبقوا عليهم حبالة الاسر ثم عضوا عن اخرهم على السيف وورد
بعد ذلك على ابي العباس تاش ابو سعيد الشبيبي في رجال من جنود خوارزم و
رقاد الضرام وابنا الشهامة والسهام فاتقد الحرب بينهم فلم يضعوا ابالهم

الاسنة في الاشداق مواضع الثغر والاحداق وافشوا العور والقتل في الديلم يومهم ذلك
ولم تزل تقوم الحرب بينهم على ساقها ظاهرة وغبا فينتصف البعض فيها من البعض
وكان ابو الفضل الهروي المنجم اشار على مؤيد الدولة بمصابرتهم الى ان يبلغ
المريخ درجة الهبوط فيجعلها واجنة عليهم منحجا او محققا فاثر ذلك في نفسه
واستبعد لوقته فلما كان يوم الاربعاء من شهر رمضان سنة احدى وسبعين
وثلثمائة ثار بنفسه وعسكره وعساكر اخيه على اختلاف اجناسهم وكان اهل
خراسان يظنون ان حربهم تلك عارض ينقشع وعن قريب على الرسم في مثله يندفع
فلما راوها اعماما متراكما وشاهدوها غراما ولزاما اقبلوا عليها مضطربين
فاذا الامر اد والخطب جل والجد جديد والباس شديد وبرز الديلم من
وراء الخنادق الى العراء محرجين من جهد البلاء وضنك البوس واللاواء فاستحرت
تلك الحرب ودارت رحى الطعن والضرب وتحدث الناس بان مؤيد الدولة
قد خبب تابقا واضرابه بمال حمله اليهم سرا واطمعهم في امثاله حيلة ومكرا
وواطاهم على التساهل في الحرب لليوم الموقوت والاجل المضروب فلما حمل
عسكر الديلم من تعبيتهم ولوا اولئك ادبارهم نفورا وثبت حسام الدولة تاش
وفخر الدولة في القلب يتضاربان بالسيوف والقراكيبات ويردان الحملات
المتداركات بصدق الثبات في الثبات الى ان انقشع كاعيها فكان وقد
انهزمت الجيوش وتفرقت الجموع فجدد فخر الدولة فضل المقام لتكاثر الاثقال
من كل صحة عليه وتوجه اطماع من كل اوب اليه فانقلب اخر ذلك يريد العسكر فساخت في منقلبه
قوائم الفيل الذي كان حصن القلب في بعض تلك الخاضات واعجله حر الامر عن التوقف
لازعاجه واخراجه فتركه على حاله ونجا براسه وترك العسكر شاغرا بما فيه من الاموال
المعدة والاسلحة المنضدة والغلمان الجارية والالات المجموعة ومضى على حاله

المعركة

وخاطب الصاحب بغداد وسائر بلاد تلك المملكة بذكره

17

الى ان عاد نيسابور تحت ظلما الليل وكتب الى بخارى بخبر الوقعة وما حدث من
الرجعة فعاد الجواب بتقوية الامال وتمنية الرجال وتهيئة الامداد والاموال
وطير الصاحب كتبه في الاطراف بذكر الفتح على ما نطق به رسائله وانشدني
العجلي الشاعر لنفسه في مؤيد الدولة من قصيدة

ما بال عمرك في هيجا ملحمة ... تذكره آل سامان وسامانا
فالكتب لم يختار الامنة فلقد ... غادرته عند نوم الناس يقظانا

وكان العجلي هذا مطبوع الشعر مقبول النقد سديد البديهة شديد المعارضة
وانقطع الى الامير شمس المعالي بجرجان في آخر ايامه ففرض له في جملة حاشيته
الى ان قضى نحبه ولم شعره فيه من قصيدة

لله شمسان تذكر حيرتهما ... وللمؤنثة النقصان ملتزم
ازرى بتلك سنا من غير مخرقة ... فيها وزين هذا العلم والكرم
يا ايها الملك الميمون طائره ... وخير من في الورى تمشي به القدم

ووصف ابو الحسن الجوهري الفيل المقبوض عليه في الحما اللازب بقصيدة

قل للامير وقد تبدى يستعرض الكرم المحدا ... افنيت اسباب العلى حتى ابيت ان تستجدا
لو مس لحيك السحاب لامطرت كرما ومجدا ... لم ترض بالخيل التي شبت الى العليا شدا
وصوارم الراي التي كانت على الاعداء جندا ... حتى دعوت الى الهدى من لا يلام اذا تعدى
متقمصا نية العلوج وفطنة اعيت معدا ... متحسفا طرق العوالي حبشية لا يستفاد هدا
مثل الرضى حين تلبس من رقاق الغيم بردا ... مثل الغمامة ملبتا لكنما برقا ورعدا
راس كقلة شاهق كسيت من الجلد الجلدا ... فتراه من فرط الدلال مصعرا للناس خدا
يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا ... متمددا كالافعوان يمده الرمضاء مدا
او كم راقصة تشير به الى الندمان وجدا ... او كالمطلب شد جنباه الى الجذع شدا

وكأنه برج تحركه لينفخ فيه جذل يسطو بساقي لجين يحطم الصخر هدّا
اذناه مروحتان اسندتا الى الفودين عقدا عيناه غائرتان ضيقتا لجمع الضوء عمدا
فم كفوهة الخليج يلوك طول الدهر حقفا تلقاه عن بعد فتحسبه خضمّا ما تبدّى
متنا ككثبان الحزون تماثلا في الدهر كدّا ردفا كدكّة عنبر متمايل الاوراك نهدا
ذنبا كمثل السوط يضرب حوله ساقا وزندا تخطو على امثال العمد الحنا اذا تصدّى
اذ مثل اثيال نضدن من الصخور الصم نضدا متوردا حوض المنية حيث لا يشتاق وردا
متململا فكأنه متطلب ما لا يؤدّى متلفعا بالكبريا كأنه ملك مفدّى
ادنى الى الشيء البعيد يراد منه وهو اهدى اذكى من الانسان حتى لو رأى خللا لسدّا
لو انه ذو لهجة وفي كتاب الله سردا اعتقته ارض الهند حتى جاء من زهو هندا
قل للوزير عميد دولته حتى اتاك الفيل عبدا اسحاق من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو مسّ اعطاف النجوم جرين في الترسيع سعدا او سار في افق السما لانبتت زهرا ووردا
يا ايها الملك الذي اجدى وعلم كيف يجدي ما بال عبدك لا يرى لتأخر التشريف جدّا
برد الزمان وليته مما يلاقي مات بردا قد صدّ عني تلكم الاحاجي ان تصدّا

وهم بل نهر جرجان الذي جرت تلك الحروب على سواحله وهو يتلوّى في
ارض جرجان تلوّي الحيات كثير الاوداب والعطفات ومنابع عيونه جبال الديناد
زاريه تنصب العين منها العين حتى تملأ النفس زبد هذه الغمر نعم
وواصل ابو الحسين العتبي كتبه الى ولاة الاطراف بخراسان في استنهاضهم
واستنفارهم ليخف بهم الى مرو ويجتمع معهم بها ثم يقبل بهم وبمن يستجيشه
من رجالات خراسان على رتق ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق ومحو سمة العجز
واستعادة رونق الملك واقبل يستعد للامر بجهده ويواصل الكتب الى نيسابور
بجميل وعده وخلع الرضي عليه خلعة جمع له بها بين تدبير الاقلام والقواضب واضاف له

الى بزة الكتاب في ارباب الكتابة فكانت خلعة خالعة لروحه وقاطعة لعمره خاتمة
لامره وذلك لان ابا الحسين بن سيمجور كان يشكو الى فائق ما دهاه من قصده اياه
حين عزل عما كان يليه وكاده في نفسه وذويه ولم ينفك يرصده بالغوائل
ويطلبه بوجوه الاوتار والطوائل الى ان اشار فائق عليه بطائفة من الغلمان
الشديدة الذين كانوا رؤوس اضرابهم في السفه والشغب والتحكم في المطالب
بفرط القوة والغلب ودسّ اليهم من اغراهم به بسفاتج يجرها اليهم حتى تآمروا
بينهم على قتله وتجمعوا على الفتك به متسمين بحلو نجار من يحتمي له او يحامي عليه
واحس ابو الحسين بما دبر من الامر واشفق على نفسه مما استطار من شرهم فشكا الى
الامير الرضي صورة الحال وما ارصد به من الاغتيال فبعث اليه بعدة من القواد
لمرافقته الى الدار اجارةً له مما كان يخشاه وصيانة لروحه عما يتحاماه
فتسامع طائفة من المشتركين في التدبير عليه بخبره فطاروا باجنحة الركض
على اثره ووضعوا فيه السيوف والدبابيس حتى اثخنوه ضربا وحطما ورضّا
وقصما واشفق من كان في مسايرته على انفسهم فخذلوه واهملوه فكان مثله كما قيل
كليه وجرّيه جعار وابشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره
وترك على الشارع صريعا يمج دما نجيعا وعندهم انه تبل وان ليس للحياة
اليه سبيل ونقل كما هو الى باغ قريب من مصرعه ليراعى ما يحدث من الرأي
في غده فلما غشيه موج الظلام وهبّ عليه رخاء السحر ازلّ نفسا سمعه الباغبان
فبادر اليه فاذا به رمق قلق ونفس مختنق فسعى الى دار السلطان مخبرا بثبات
حسه واضطرابه على نفسه حتى امر به فنقل الى القهندز والزم الاطباء
المثابرة عليه طمعا في انتعاشه فاستصعب داؤه على الدواء وقضى الله على
عمره بالانقضاء فمضى لسبيله جار عظيم القدر والخطر كريم الورد والصدر علم

المثل في سعة الرحل فقيد النظير في الفضل الغزير لم ير في كتب الاوائل من احدا
من الغزاة اتسعت همته كهمته لمشاطرته على مروته ومنازعته فضل انضاله
ونوته سماحة كالغيث يقذف بالوبل والريح تعصف بالرمل وسياسة خفقت
لها جانب الليل وغصت بها مشاعب السبيل وانشدني ابو جعفر الحاجبي لنفسه

لهفي عليك ابا الحسين عينا بكل عين — جرعتني غصص الجوى وادنيتني يوم الحسين

ولبعضهم فيه وتذكر قبره في جماعة من اصحابه

مررت على قبر اخوانكا — وكلهم تنهال شانكا
فلم يزيدوك على قولهم — عز على العليا فقدانكا

وقد كان حسام الدولة وشمس المعالي وفخر الدولة بنيسابور على انتظار معونته
ولاستفاضة ما السيف لهم من عزمه فحدثني ابو نصر العتبي خالي وكان على البريد بنيسابور
قال دعاني ابو العباس تاش اخر نهار يوم فلما وصلت اليه وجدت الثلاثة
يتناظرون ويتفاضلون بينهم الاراء في معاودة الحرب واستئناف معالجة الخطب بحطوبي
بانفسهم فيما بين دولته وسالوني عن اشهى لي في ذلك الشيخ صدق انتظارهم لمعونته
واستعدادهم للبدار الى امره واقبل شمس المعالي على من بين فقال الكتب الى
ذلك الصدر بان الحروب لم تزل بين الرجال سجالا وانما تستصعب مرة وتنقاد
اخرى فالحازم من يستفتح بالجد باب الظفر والنجح ويتلف بين العجز والضجر
واضرب له ابيات المتنبي مثلا

يرى الجبناء ان العجز حزم — وتلك خديعة الطبع اللئيم
اذا ما كنت في امر مروم — فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير — كطعم الموت في امر عظيم

قال فانشدت للشيخ بقوله على فضله ودر عليهم بعقب ذلك نعي ابي الحسين

فاوسعهم رجوما ونثر عليهم من التدبير ما كان منظوما وورد على ابي العباس تاش
كتاب السلطان في استعادته الى الباب ليتدارك ما اختل وتلافي ما انحل واعتل
فاغتنم البدار وسار حتى ورد بخارا فرتب الامور ونظم المنثور وتتبع الجناة
على ابي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير وعمهم بالنفي والتسيير واستوزر ابا الحسين
المزني فنيط بالتدبير ووجه في التقدم والتاخير لمهمات الاعمال واستبداد
الفرس عليها بالاراء دون اصحابه وقد كان ابو الحسن انكفا عن سجستان الى خراسان
من غير اذن صدر اليه لينتشا الخوف الغبي وانتفاض الاعمال بها بتراجع العسكر
عن باب جرجان وتشوقا لنفاق سوقه فيما بينهما فكتب اليه ابو الحسين بحمله
فعله وناعيا عليه عقله وتكلفه ومنامه ليرجع الى قهستان متدرعا عن ملابسة الاعمال متورعا
ولم يسلم ابناء الدولة من حملته وبعث راسه الى ابنه ابي علي لم يجاهد بسجستان
فكفى امرها دليل شحنها ومن ابي صرعها وجعل باذغيس وكنج رستاق برسمه
على ان يزداد في توليته وحيازته متى عرف في الطاعة صدق نيته وعنايته ولما استقر
ابو العباس تاش بخارا اغتنم ابو علي خلو خراسان عنه وعن المناضل دونه فراسل
فائقا يحثه على نجاة الفتنة والجهاد ومنابذته وترك الرضا بمتابعته فجنح سمح القياد
الى المراد طوع الزمام الى الحياد واجتمعا على توكيد العقود وابرام المواثيق والعهود
وبدا ابو علي بمصادرة عمال ابي العباس تاش بنيسابور ومطالبتهم بما كان تحت ايديهم
من امواله ولم تتعاطاته اعماله ثم نهضا الى مرو سدا دون الولايات وحجابا دون
الاموال وبراءة تباعات حتى اضطر تاش الى منابذتهما
وكفاية ما اهمه من امرهما واستفتح الخزائن عن ذخائر الاموال ونفائس الاسلحة
والاثقال وبرز من بخارا الى النهر الشط فخيم على طرف الرمل وتردد السفراء بينهما من الفريقين
على حفظ نظام الالفة واستبقاء جمال الدولة واخماد جمرات الفتنة فوقع الاتفاق على ان تكون

نيسابور لتاش وبلخ لفائق وهراة لابي علي وتفرق كل منهم على رأس عمله والخوارزمي
في ابي علي وقد حصل له هراة، تهنى بالامير هراة اذ قد علا عن ان يهنا عن هواها
وكيف تهنا الدنيا جميعا بناحية من الدنيا احتواها، وانحدر ابو العباس
تاش الى مرو وقد كان فصوله من بخارا توصل الى عزل الرازي كان الامور كدخدائيته
لما تبينه من ميله الى ابي علي وفائق وادهانه في امرهما فلما استقر
بمرو صرف عبد الرحمن بن عبد الله بن عزير وهو المعروف بتجنب ال
عتبة ومشاحنتهم ونصب الحداق لهم وصائبهم وحرق الارم كيادا
عليهم وبدا بصرف ابي العباس تاش عن قيادة الجيوش ونقلها الى ابي
الحسن بن سيمجور مضادة لابي الحسين العتبي في تدبيره وتداركا
من عمته لما وهي من اصل تقدمه وتقريره وامر بالكتاب عن السلطان
اليه في نقل العمل عنه وتعويضه كورتي نسا وابيورد منه والايعاز
اليه بالامتداد اليهما والاقتناع بهما وحذف عنه خطاب الزعامة
والتنصيص على ما كان موسوما به من الحجابة فلما وصل الكتاب اليه
احس بامارة الشر ودلالة الختل والختر وعلم ان ذلك فاتحة
للخطب عليه والتشفي منه والوضع من قدره والثلم في جاهه ومحله
فاستخص وجوه القواد واعيان الحشم وعرض عليهم الكتاب وعرفهم
دابه ودينه في طاعة سلطانه ومناصحته والاخلاص لدولته
والذب عن حوزته والشكر لما اوسعه قديما وحديثا من نعمته
واقباله مع مصاحبتهم اياه عليهم في نجح اوطارهم وتزيين
مساعيهم وآثارهم ومواساته لهم بما اتسعت له يده من خاص ماله
وحاضر ملكه وانه اليوم في نفسه ومهجته مقصود عن باب مالكه

وولي نعمته مردود ولا منع من جهته لاحد منهم عن رايه واختياره
في معاودة بخارا او اللحاق باي جانب شا فليختر كل منهم ما احب غير منازع
في قصده ولا ممانع عن وجهه فاستمهلوه ريثما يتعلمون من وراءهم من اهل العسكر
صورة الحال ويعرفون ما عندهم من الراي في المقام والارتحال وتجمعوا
بعد ذلك حزقات متباعدين في الاختيار مرة ومتقاربين اخرى الى
ان اتفقت كلمتهم على مرافقته وترك مفارقته والاذعان لرياسته وموافقته
على ما يلقاهم الزمان به من سلم وحرب وذلول وصعب وخوف
وامن وسهل وحزن وسرور وحزن وكاتبوا الى بخارا سائلين رد
الزعامة عليه رعاية لحق خدمتهم وتحكيما للكرم في حفظ مسالتهم واستبقاء
لوجوههم بما طاعتهم فابى ابن عزير ان يقع لهم بنجاح او يستمر بين اولياء الدولة
صلاح وكتب اليهم يمنيهم الزور ويريهم الغرور كسراب بقيعة يحسبه الظمان
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وسامهم معاودة الحضرة تطميعا لهم وتشفيقا
للنفاق عليهم فلما عرفوا صورة الجواب ازدادوا بصيرة في طاعة ابي العباس تاش
ونفاذا في خدمته واستبصارا فيه وتخوعا له في وجوه تكاليفه

ذكر انتقال فخر الدولة الى ولايته وما جرى بعد ذلك بينه وبين حسام الدولة ابي العباس تاش من المكاتبة والمعاونة الى اخر عمره

اتفق بعد معاودة ابي العباس تاش
الى بخارا ان قضى مؤيد الدولة نحبه ولقي ربه وقبل انقضاء الحرب التي
كانت بينهما ما دهاه الخبر بموت عضد الدولة اخيه فتماسك عن اظهار
المصاب اياه بالخطب لمامه حتى كفيه حفيظته المرة ويقضيه بحرمته
المستمرة وتشاور اولياء تلك الدولة فيمن ينتصب منصبه ويسد في الرياسة
مسده فاشار الصاحب اسماعيل بن عباد الى فخر الدولة اذ لم يكن في

ذلك البيت أحقّ منه بالإمارة وأتمّ استقلالا بأعباء الرياسة والسياسة سنًّا
وكفاية ونظرا والتدبير إليه في البلاد إلى ما أورثه الله تعالى من عقيلة
الملك وذخيرة الملك عفوا لا منّة لأحد عليه به ولا حقّ يختم لسانه بشكره واستخلفوا
أخاه أبا العباس خسروفيروز بن ركن الدولة على ضمّ المنتشر وتقويم المتأوّد
إلى أن يلحق بهم فيتولّى تدبير ما يليه ويتولّى عنه تحرير ما يشتبه برأيه وتمليه
وبادر فخر الدولة من نيسابور إلى جرجان تطاير البرق بين جناحي الأفق
فاستقبله العسكر خاضعين طائعين وعلى صدق الموالاة والمولاة متبايعين
وتبوّأ مقعده من سرير الملك وارثا ما أوصى له به أبوه وسائر ما كان يدبّره
أخوه كذلك يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو الفعّال لما يريد وأنشدني أبو
الفرج ابن ميسرة أبياتا من قصيدة له

ولو قُبِل الفداء لكان يُفدى ... وإن جلّ المصاب عن التفادي
ولكنّ المنون لها عيون ... تكدّ لحاظها في الانتقاد
إذا أدنت منيّة ألف رزايا ... فقد عرضت سوق الكساد

ولقد أحسن أبو بكر الخوارزمي حيث يقول في قصيدة يرثي فيها مؤيد الدولة ويعزّي
ويهنّي فخر الدولة

رزيت أخا وخير المجد في أخ ... من الناس طرّا ما عداه وما استثنى
لقد جاءت الدنيا إليك كما ترى ... طفيلية من قبل أن تدعى
طبت بك عشقا وهي معشوقة الورى ... فقد أصبحت تسعى وعندي بها الليلى
ولما رأت خطّابها من كتبهم ... ولم ترض إلا زوجها الأول الأولى
ولم تتساهل في الكفيّ ولم تقل ... رضيت إذا ما لم يكن بعلي خزي
على أنها كانت خطبتك تدلّلا ... فخلّيتها حتى أتت تطلب الرجعى

وكتب إلى أبي العباس تاش يذكر ما أصاره الله إليه وأغلقه بيديه وأن
كلّه موقوف على أحكام مشاركته ومصروف إلى أقسام إرادته وأنه
لم يرتح لاستجابة أيامه النافرة وإعتاب دولته العاتبة ارتياحه لما تمكّن
له من معاضدته على مصالح أحواله ومرافقته في مناجح آماله شكرا لما كان
يمهّده من مقامه قبله وقدّمه من جميل آثار الخير به وارتياد الخير له
فأجابه عنه مهنّئا بما أتاحه الله تعالى من كريم صنعه وزفّه إليه من هديّ
ملكه وشاكرا له ما أوجبه ورآه وشاكيا إليه ما رهقه ودهاه وكتب
إليه بأنه سهيمه فيما يليه وقسيمه على ما يحويه وأن أمره ممتثل في كل ما
يرومه وينتحيه فليبن أمره على ما يتّفق عليه اقتراحه منتظرا لما يقتضيه
شركة المفاوضة من التسمّح بالملك والمال وتريب الرجال في أعقاب الرجال
وكان قد أنهض أبا سعيد الشبيبي وهو الملقّب بشيخ الدولتين إلى ما قبل فخر الدولة
رسولا لنصرته في العاجل بقدر من المال وزنها ألف فارس من سرعان الحرب
ورأى الكرد بنيسابور وانضمّ إليه أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق مولى أبي
العباس تاش على أبي الحسن بن سيمجور فاجتمعا على التعاضد واتفقا على التكالف
والترافد وانحدر تاش إلى نيسابور فسبقه إليها أبو الحسن وانحاز المقيمون بها
انتظارا للوصول في سواد خيوله ولحق بهم فصارت الأيدي والجملة والقلوب
على الإخلاص متعاقدة وقصد باب نيسابور من جانبها الغربي فخيّم بظاهره
وناوش أبا الحسن الحرب أياما عدّة وهو متحصّن بالبلد ودروبه ومحتجر
بضيق مداخله وسدوده ولحق بأبي العباس تاش زهاء ألفي رجل من خلص الديلم
ونخب الأتراك يقودهم أبو العباس فيروزان بن الحسن وكان القوّاد ممن
يعضّون على الأرّم ويتحلّقون ولو خرّت الأبر فلما أحسّ أبو الحسن بتأتّيهم علم أنهم
يقضون

على حرب المضيق واعجازهم باطراف الزانات والمزاريق فاغتنموا الليل جملا وتركوا البلد
بما لا دسار بريد قهستان ساترا عورة الانهزام بلباس الظلام وتبع ابو العباس تاش
باجفالهم فشدوا على آثارهم واثقالهم واصابوا منهم غنائم موفورة وانفالا
غير محصورة ودخل ابو العباس تاش الى نيسابور وجاوزها الى المعسكر بظاهرها
مما يلي الجانب الشرقي حميد الظفر رضي الاثر وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه
في تلك الوقعة قوله

قل للذي انا في هواه خاشي ... ماء الفؤاد بصدغه الجماش
صدغ يرى عند الرياح كانه ... قلب ابن سيمجور اخس بتاش
ان الشتاء مضى بفتح تاش ... واتى الربيع لنا بحسن رياش
ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله ... واتانا ابنا الكرام بتاش

ولزم تاش مناخه ذلك يواصل الكتب الى فخر الدولة باستمالته واستقالته والضمان
لانف الطاعة وعرض الملك والنفس بلسان الضراعة فلحت بان غرض صلاته
في عداوة آل عتبة دون مخالطته ومعاداته ومعاندته وطفق يشفق
على الامير الرضي ووالدته التي كانت كافلة بالملك ان تاش معتصم بالديلم
وقاصد قصد الاجحاف بالدولة وانه متى ارخي من عنانه فيما يستدعيه
وجب التبري عنهما والتكبير عليهما حتى ظننا ان الامر كما زعم فوكلا التدبير
اليه وخلا رباط الخير والشر بيديه وقد كنت انشدت لصديق لي في تلك الايام
بيتين لابن المعتز سمعتهما في الشباب وهما

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الاحباب

فقال ان الاليق بحكم الوقت والحال بيتان في وزنهما وصياغتهما للحسن بن علي
المروروذي وهما

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأي النساء وامرة الصبيان
اما النساء فميلهن الى الهوى ... واخو الصبي يجري بغير عنان

قلت فانصف لعمري فيما وصف وحكم حكما يشهد به البيان ويسجل بصحته الامتحان
ورأى ابو الحسن ان يكون ظهيره في شفقة الام وحال منزلة العم وعسيف مثابة الصاحب
ووزير يحل الملك الغالب المستبد برأيه الصائب واهمل ابو العباس تاش ما امه
من امر ابي الحسن بن سيمجور وتصلب ملكة لولاة الدين بخارا واستماله لهم
واستيثاقا بهم واستيحاشا للوحشة من الازدياد وصيانة للفرج من
الاهمال دونهم فيما فيها يقتبلون فرصة الرخاء ويغتنمون فسحة الاهمال والامهال
ويقبلون على مواصلة الاحتشاد والاستحشاد ومداومة الاستمداد والاستنجاد
وكتب ابو الحسن بن سيمجور الى ابي الفوارس بن عضد الدولة بفارس فامده بالفي
فارس من نخب الاعراب وانضم اليه فائق في خواص غلمانه وسائر من استجاشهم
من اطراف خراسان وكروا بجمعهم على ابي العباس في خيول غص بها عرض الجبوب
وضاق عن ضمها اضلاع الشمال والجنوب فلما قاربوا نيسابور خالفوا معسكره الى
البلد لامتلاكه عليه ومناورته الحرب عن ظهر منعة واقتدار وحال الجدة واستظهار
فناهضهم ابو العباس تاش في مسيرهم بعبد الله بن عبد الرزاق وابي سعيد الشبيبي وخواص
غلمانه وناوشهم الحرب من حين متع النهار الى ان صارت كعين الاحول وظلت حملاته
تحطمهم حطما وتوسعهم لدى كانهم هدا وهزما وكانت الجماعة ما بين سرخس الى مقامهم
ذلك قد بلغت منهم مبلغا احرج صدورهم واقنع بالاجفال جمهورهم ايثارا لفسحة
المضطرب والخلاص من ضيق المعترك وحمل ابو العباس تاش آخر النهار حملة قدرها
خاتمة للقتال وآخرة النزال فتلقاها ابو الحسن وابو علي ابنه بكتائب قوية وعزائم
في الثبات صريحة وردوا مطلقات الاعنة بمشرعات الاسنة ومترعات الحتوف

بمرهفات السيوف فلما انقلب الى مقامه وقد تفرق في تلك الحملة عنه سواد حماته
وحفظة راياته شد الحملة عليه دفعة واحدة فاضطروه الى الانهزام واسلام
المقام وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب فائق حتى تزعزعت صفوفهم واضطر
جموعهم تداعي الامان من قراع السيوف خالا من الجنبة صهوات الخيول فجعلوا في ربقات الاسار
على حال الذل والصغار ثم حملوا الى بخارا على الاجمال في الجوالق آية ونكالا وتشفيا
ممن ساقهم الى خراسان ارسالا فاستقبلهم المخانيث بالدفوف والمغازل بدلا عن
السيوف والعوامل وامر بهم الى محابس القهندز الى ان اقتسمتهم الايام بين ممات ونجاة

ذكر انتقال ابي العباس تاش الى جرجان ومقام ابي الحسن بن سيمجور بنيسابور

على قيادة الجيوش وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان ففصل عنها فخر الدولة متوجها
نحو الري واخلاها له ولاهل عسكره وترك دار الامارة محفوفة بالفرش الفاخرة
والخزائن العامرة والاهراء الوافرة حتى المطابخ بما فيها من الآلات الصفرية
والاواني الذهبية والفضية وتقدم بان تسلم اليه خزانة كان قد اعدها للحمل الى نيسابور
قبل النكبة مشتملة على خمسين الف دينار والفي الف درهم وخمسمائة تخت من
الوان الثياب الى غيرها من عتاق الافراس وجياد المراكب والدواب
واعداد الاسلحة والوقايات من تجافيف ومغافر ودروع وجواشن
وترسة وزانات اكثرها مغشى الظهور والنصب بحلي الفضة والذهب
وسوغ له دخل جرجان ودهستان وابسكون واستراباذ الا
ما كان مصروفا الى عمارة القلاع وارزاق مستحفظيها من
الخواص فامر ابو العباس تاش بتفرقة تلك الدنانير والاموال فيمن
صحبه من القواد وطبقات الاجناد حتى جبر كسيرهم وقوى
اسرهم وواصل لهم الاقامات والاطماع حتى انتاشت احوالهم

واخصبت رحالهم فصاروا بجرجان احسن منهم بخراسان حالا وارغد عيشة
وانعم بالا وجعل فخر الدولة يتابع الحمول اليه من طبرستان زيادة في تاثيل حاله واستبقاء
لنظام جنوده ورجاله فعل من لا ينفس على اخيه بنفائس ما يحويه ولا يضن على رفيقه
بجليل ملكه ودقيقه وقد كان الصاحب يستشرف ما يرجيه اثر الاحسان والمواساة
ومواصلة الصلات والكرامات ومن قبل ما نصح لابي العباس في استعراض خراسان برجاله مخالفة
لسلفه فيما اختاروه من مسالمتهما واغتنام السلامة منهما فقال لي ذات يوم
ان حقوق ابي العباس علي حقوق لو نزلت معها عن جميع ما آتاني الله من ثمرات هذا
الملك حتى احلله عروة هذا القميص لوجدتني في ادنى درجات المكافاة وايسر
مراتب الواجب واشار الى واحدة تكفيه امارة على ما اودعه له ايام مقامه قبله اشفاقا
على مهجته وحرصا على محبته وذبا عنه في حال غربته وبين لي ان اخويه عضد الدولة ومؤيد
ارسلا اليه يستردانه على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة للسلطان او لاوليائه
مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي الثياب وفره العتاق واغليا في الاستيام والتطميع
حتى لم يبق للرد مجال ولا للسان العذر مقال واتاني خبر الرسالة فاستظلمت ضوء
النهار واستخشنت جانب القرار وقمت من الحياة على شفا جرف هار اذ لم يكن عن الهدى
مطمع والى قوس الرجا منزع وبت ليلة انقد ارى الشوك كان قد الحي لن اصبحت ذواى
متخاذلة واركاني متهافتة خوفا من ان يرادني بالدلالعيا والداهية الدهيا فاتاني حاجبه
بعد فراغه من اذن داعيا واجيا فلم ادر ادلج ام ناج وادب هو ام ناذب وطالع
ضيافة او طارق آفة وحمت في القرب كناية عن المحذور وتورية دون القدر المقدور
فركبت اليه وسيرت عناني لحقه من بنان عليه الى ان حصلت في مجلسه فصادفت من
حسن القيام ولين الكلام وفرط الاكرام والاعظام وفضل البر والايناس ونضرة الرجا
على الياس ما لم اكن عهدته فيما مضى من مجالسه ومؤانسته وما زال يرقيني ببشره ويسحرني
بلطفه وبره

الى ان ثابت نفسي اليّ وانحلّت عقد الخوف عليّ وتطاير الهم منّي شعاعاً وذهب
الفزع خفاءً ثم ناولني الرقاع الواردة عليه فنشرتها عن انياب الاراقم واقداح العلاقم
وحمات العقارب على الرسم المعتاد من كيد الاقارب ثم اقبل عليّ وقال كنت على ان ألمّ
رأيه بصحة ما ورد صيانة لعقله عن نوازع الظنون والاوهام ولكني فكرت في حكم الحال
التي تجمعني وإياه فرأيت اطلاعه طلع ما كتب وافضى الله بحقيقة ما طلبت املك لسكونه
وادفع لطائره وانفى لخالج الشك عن خاطره واقسم بجميع ما تغلظ به ايمان البيعة بأنه
لا يعدل خراج العراق بأسره على نفاسة قدره بشعرة من يده ولا يزيغه من بين تربه
وان جميع ما املكه من صامت وناطق وقاعد وقائم حتى فصّ هذا الخاتم وزرّ هذا القرطق
وقاية لمهجته ووقف على مصلحته ومعدّ لدرء الحوادث عن ساحته ومبذول في الانتقام لمن نافسه
في ملكه ونازعه حول اثره حتى يأذن الله في ردّه الى بيته قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم
ماضي الحكم على الخصم ايسّق من تشبّه بمثل هذه الاكرومة طوعاً وطبعاً لا عن رغبة في رغيبة
ولا ميل الى نيل ولا تطلّع الى وجه مطمع ان تغافل عن مؤونته وارفاده وتجاهل دون ما
يجذب اليه زمام مراده لا ورب الكعبة وحق ركن الدولة ليعرف الناس تسليم هذا الحق العظيم
وقد استسهلت طريق المكافاة واستعنت بعون الله على حسن المجازاة على ان الفضل للسابقه
الى البر وان جهدت في المقابلة وشددت الى الغاية في المساجلة فتعجب الحاضرون من هذا
الكلام والكرم المحض عن سماع مثله في سالف الايام واحتشد الصاحب من بعد لمصالح ابي العباس
مناصحة لصاحبه وكفالة عنه بما يقضي الحق عليه وتقيّد بشرف الوفاء له وبقي ابو العباس ماكثاً
بجرجان ثلث سنين نابي الجنب عن الفراش جافي الجفن دون الغرار شوقاً الى خدمة
سلطانه وحرصاً على عرفان حق اصطناعه واحسانه واشفاقاً من تأويل حساده
في انتباذه عن خراسان انكاره حقّ اولياء نعمته عن رقبته طوق الطاعة والوفاء وجل همه
معاودة بخارا لاستيناف الخدمة والسلامة عن المذمة فأرسل ابا سعيد الشبيبي

الى فخر الدولة في استعانة على معاودة خراسان فجهّز اليه اسفار بن كردويه وعدّة
من اعيان القواد في زهاء الفي رجل من خاص الديلم وكتب الى نصر بن الحسن بن فيروزان وهو
يومئذ بصلة جناحهم والزعامة عليهم في ايرادهم واصدارهم والصدر في ذلك كله عن رأي حسام
الدولة ومثاله والتصرف بتصاريفه في حالتي حلّه وترحاله وتارتي سلمه وقتاله وحمل
في صحبته من المال للاقامات عسكره ضعف ما كان خلفه عليه عند قفوله من جرجان فسار
ابو سعيد الى قومس فانتدب نصر لعتراه وقرى القواد في صحبته كما قرى تميم ضيفها وجارها
ابن الحضرمي حزّ والنخل بالنخل وذلك انه امر به في صحن داره فألحقته السوق بمنّة
ويسره حتى برد وعمد الى الآخرين فحبسهم في سرب واوقد الفحم عليهم وشدّ منافذ
السرب دونهم حتى اختنقوا بين حر المحبس وعدم المتنفس وانتثرت تلك الاموال المحمولة
والدواب المقودة راضياً بسمة الغدر وقاضياً على نفسه بالخزي يد الدهر وانفلّ منهم
الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم على الآخر حتى وردوها فقرروا الصورة وقرأوا الصحيفة
المنشورة فورد من ذلك على فخر الدولة ما اطار رواقه وهاج وادعه وعلى حسام
الدولة ابي العباس ما اقلقه والخدع واضعف عن كل شيء قلبه ويده وكتب اليه
فخر الدولة يذكر ما رآه من تحصّن الخوف ويستحدره الى استراباذ ليصير المقصور محصوراً
بين العسكرين ومضغوطاً من كلا الجانبين الى ان يأذن الله فيه بالبوار وانتباذ الى غيرها
من الديار فانحدر ابو العباس تاش الى استراباذ وخيّم بسراوجان فأخذ نصراً
ما قدم وحدث وما امر وبحث ورأى الحين قد فغر فاه والسيوف تطلب
وجهه وقفاه فلاذ بالاستلام وفزع الى الضراعة والاسترحام وطفق يكتب
بالاعتذار الى الجانبين بأنه كالعادل حياً مما ارتكبه وخلاص عن ادما الكتبه وتحمّل
بشفاعة حسام الدولة في استصفاح والاستقالة مما تخبط فيه بسوء اختياره حتى
كتب في بابه ما نفّس من خناقه وتكرم فخر الدولة بقبول انابته ورعاية حق شيبته

وقرابته وعاد ابو العباس الى جرجان على ان يستانف تدبير خراسان
وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن اخيه بهاء الدولة لاحوال الخلاف
فيها اخفقه وترخص معها في المفروض من اجلال قدره ومحله فناهضه في معظم
جيوشه من الجبال في اعمال خوزستان ومعه بدر بن حسنويه في جنود الاكراد اولي
البسالة والجلاد وسار حتى غلب على كورها الا ما لا بالقوة السابغة والنجدة
الوافرة وانهض ابا العباس فيروزان بن الحسن نحو البصرة لاستصفائها
واستضافتها الى اخواتها فلما عبر نهر موسى لتنجاز المقيمون بها من
عسكر بهاء الدولة واهل البصرة عليه فحمل منهم خلق عظيم الى المسالك بينه وبينهم
يثقوا اسكور الاهواز عليها حتى عميت الطرق واعورت المحال والمخترق
وبقي هو ومن معه في مخاضات ووحول سدت عليهم وجوه الاختيار
وطمست دونهم معالم الاقبال والادبار ووافقهم اقبال خيول من الموصل
على غوارب الطرق لمظاهرة المقيمين بالبصرة فلما احدقت بهم انصار اصحاب
ابي العباس فيروزان واتتهم شوكة دونه ولّوا على اعقابهم نفورا وكان بدر بن
حسنويه قريبا منهم فلما راى الكشفة جاءهم ناجيا وثبت بنفسه مدافعا
ناعياه سد ما اختل ورد من اخل فاستمرت الهزيمة بهم الى فخر الدولة
وهو بسوق الاهواز وشكوا اليه ضيق الحال وتجمعوا على رسمهم للمطالبة بالمال
فغاظه ما ظهر في اول الامر من خورهم وما انتشر في الثاني من سوء فعلهم
واثرهم فانكفأ بهم راجعا الى همذان على ظاهر هذيمة وقع التغاضي عليه
ومنها الى الري وذلك في شهور سنة سبع وسبعين وثلثمائة وحدث وباء
بارض جرجان خارج عن الحد في هذه السنة فهلك من اصحاب ابي العباس تاش
ووجوه قواده واعيان رجاله والمذكورين من عماله وكتابه وسائر حاشيته

وعلمائها خلق عظيم وعرضت له باخرة علة صعبة ختمتهم به فمضى لسبيله رحمة الله
وقد كان اصحابه اوغروا قلوب اهل جرجان برسوم ذميمة ابدعوها ومعاملات
قبيحة اخترعوها واحمال عنيفة اوقعوها فلما فشا خبر وفاته صاروا يدا
واحدة على اصحابه فكبسوهم في الدور والحجر وطلبوهم تحت كل حجر ومدر وجعلوا
القتل جفلى فانتظم الكبير والصغير والشريف والمشروف في سلك القتل والتنكيل
والابادة والتمثيل وشغل وجوه عسكره دها المصيبة عن الفراغ لقمعهم بوقتهم
واخماد جمرتهم واستكشاف معرتهم واقتضتهم صورة الحال البروز الى ضاحي البلد
لضبط امرهم وضم النشر واتقان التدبير في اختيار من يصلح للتامر فيبرزوا اليه
واتفقت كلمتهم على ابي احمد ابن اخت له فقدموه وطالبوه بمال البيعة فاطلق
لهم ما وجد في خزانة الماضي مضافا الى ما امكن تحمله واحتياله عشرينية واحدة
حتى هدأت فورتهم وسكنت ثورتهم وتوالى النفير من البلد بمد اهله اياديهم الى عورات
نساء الخراسانية بغيا وكيادا فحركتهم الحمية للانتقام من اولئك الرعاع والاغتام
فركبوا على سمت بكراباذ لمجاهدتهم وثار اولئك الاشقياء للمقاومة اليهم متهافتين
في البدار تهافت الفراش في النار فلم ينشبوا ان حمل اهل العسكر عليهم حملة
واحدة كشفتهم عن روس بلا غلاصم وايدي بلا معاصم وفرشوا الارض في ذلك الفضاء
بجثث القتلى متشحطين في الدماء وضربت الدور والحوانيت بالنفاطات
وتسلطت عليهم الايدي بالغارات فجرى عليهم ما لم يجر بعد يزيد بن المهلب
مثله نكاية رادعة وعقوبة وازعة قامعة وعندها ارسل مشايخ جرجان
وصلحاؤها يطلبون الامان ويناشدون الله والايمان فكفوا عن القتال
وانكفأوا الى الرحال فسكن نابض تلك الفتنة ووقع طائر الهيج واللوثة
فاختلف العسكر في اختيار فمال القواد وكبار الغلمان الخاصة الى خراسان

واستجيب الدارية من انقطاع الى فخر الدولة واختصاص بخدمته وكتب الصاحب
اسماعيل بن عباد اليهم يحضهم بالتوقف ريثما يلحق بهم الاستاذ ابو علي
فيطلق اموالهم ويحقق في الولايات وزيادة الاقامات ما لهم فحفزهم
حب خراسان عن التوقف واعجلهم طول العهد بالاوطان دون التثبت
فساروا على سمت الري وغيرهم عادوا دون نيسابور للاتصال بابي علي بن سيمجور
وسواد ذلك صاحب الجيش مكان ابيه واقام الباقون من الدارية الى
ان وردها الاستاذ ابو علي فاستعرضهم واثبت اساميهم واطلق اموالهم
وسيرهم الى الري فامر فخر الدولة بنقلهم الى الدار وتوخيهم على امثالهم
بمزيد الاكرام والايثار رعاية منه لحق ابي العباس تاش من جانب واستظهارا
بهم من اخر وقد كانت جرجان تموج بالغاغة وذوي العيث والدعارة
ممن قتلوا اهل خراسان ومثلوا بهم فوضع الاستاذ ابو علي ارصاده لهم وبث
العيون عليهم وقتل ممن حمل منهم يوما واحدا حدا بلغ زيادة على ثلاثة الاف
رجل صلبا وصبرا وغيلة ومكرا فتمت بذلك سياسته واستفاضت
هيبته واستقامت اموره وصفت جرجان في ايامه ممن يخوض في فساد
او يلم بغير استقامة وسداد

ذكر ابي الحسن بن سيمجور

الجيوش الى ان قضى نحبه وانتقال الامر الى ابنه ابي علي وما تجدد له فاستقام
ولاية [illegible] بنيسابور راغدا وابو العباس تاش الى جرجان مخليا امور خراسان
وانصرف عسكر ابي الفوارس الى كرمان وعاد فائق الى بلخ واستقر ابو علي
بهراة وكان ابن عزير يستحث ابا الحسن على قصد جرجان ويزينه على التقاعد
عنها وهو يستمر على المعلوم من عادته في استشعار الحلم واستحباب السلامة
والتسليم اشفاقا من عثرة قدم تفضي الى ندم كالتي عرضت لحسام الدولة
ابي العباس تاش

ابي العباس تاش من الكشفة التي جلبت على الدولة من الوصمة ما
سار في البلاد خبره الى ان اقيم ابو علي محمد بن عيسى الدامغاني للوزارة وذلك
في جمادى الآخرة من سنة سبع وسبعين وثلثمائة ونفي ابن عزير الى خوارزم فجهد
ابو علي في تسديد الاعمال وحفظها على الاعتدال فاعياه ما اراد لانسداد الولايات
وتراجع الارتفاعات واستشراء الحشم وضراوة الاتراك وتسحبهم على الوزراء واحتكامهم
في المطالب خلعا للجام المراقبة وامنا من سوء السياسة وصدق المؤاخذة
فصرف بابي نصر بن ابي زيد وهو الشهم الذي يصيب المحز في اقواله ويطبق
المفصل في افعاله ويبذ الكفاة بنبابه ومضائه وصواب تدبيره
وارائه ثم بدا لهم في اعادة ابي علي الدامغاني فرد ثانيا الى مكانه من صدر ديوانه
واتفقت لابي الحسن بن سيمجور بين هذه الاحوال نهضة الى بعض متنزهاته
فواقع من حظاياه فخانته نفسه خلال الارتفاث اليها وخر الى الارض عن
صدرها ميتا فاخفي خبر وفاته الى ان رد الى داره واستعد لاظهاره
وورث ابو علي رياسة بيته واخوته وجيشه فسد الثلمة الحادثة بابيه
برفق سياسته وحسن رعايته وحفظ ايالته وولايته وحسن طاعة
ابي القاسم اخيه وسائر اخوته له وعموم رضاهم به وبلغ ابا علي ان هراة
سميت لفائق فقصدها ابو علي وكتب اليه يعاتبه على ما استجازه من الخطبة
على خطبته ثم اتفقا على ان تكون هراة لفائق ونيسابور مع قيادة الجيوش لابي
علي ورتب كل منهما اصحابه بناحية عمله وحملت الخلع من بخارا على
الرسم لولاية الجيوش وابو علي يظن انه هو المقصود بها والمحبو بالكرامة
فيها حتى اذا بلغ الرسول منتصف الطريق عدل الى فائق فاصحبه فعلم انه
مكروه وغدر لسروره وانه هو المقصود بالسوء المراد بالمحذور فلما علم ان

فانبقا شخص عن هراة نهض ابو علي من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب
المرصد حتى انقض عليه فيما بين هراة وفوشنج فعل من اتخذ الجد حزبا
وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب جانبا وعلم انه متى استمر بتلك الحيلة
ونعتت فيه تلك المكيدة وعرف جبنه وخوره لم ترتفع له ولا لاهل بيته
راية ولم يعرف لانتقاض الامور عليهم وانسياب المحذور اليهم من كل وجه
غاية فصدق قتاله اخلالا بفرط الجد والتشمير ودق عسكره دق الخشب
اشباه المسامير فولوا مدبرين الى مرو الروذ وازدفهم ابو علي بعدة من
قواده للتشريد بهم في مهربهم فوافقهم بقنطرة مرو الروذ مستعدين للمدافعة
مانعة فقاتلهم حتى اسر منهم عدة وحملهم الى بخارا وسار ابو علي الى مرو خاطبا
عمل ابيه وبلد الاسابق حرماته ومساعيه ومتكثرا باخوته وذويه فحقق
الرضى سؤله وجرد اليه فيما استدعاه رسوله وقرر قيادة الجيوش عليه وناط
مصالحهم بيديه وجمع له بين ولاية نيسابور وهراة وقهستان ولقبه بعماد
الدولة فانكفأ الى نيسابور وقد نال ما اراد فهذب الاعمال ورتب الاحوال
والرجال واخذ امره يزداد نورا وبهاء ويتضاعف قوة واستعلاء الى ان تلقب
بامير الامراء المؤيد من السماء وامتدحه ابو بكر الخوارزمي بقصيدة اولها

ان الاولى خلف الخدور ... هم في الضمائر والصدور
وقع الغبار عليهم ... تعليته على الحبير
لما مشين على الثرى ... تاه الغبار على العبير
فغدوت في حال الاسير ... ورحت في حال الحسير
وكذاك من عشق النجوم ... ورام صيدا للبدور
يا سائلي عما في البراقع والهوادج والستور

٦٧

فيها الرضاع من المنية والفطام من السرور
وسالت من فرج المنابر حين تخطب والسرير
فهو الامين بن الامين بن الامين بن الامير
المشتري الملح القليل بماله الجم الغفير
من سيفه كسر الجبير وسيبه جبر الكسير
والناظم المعنى الطويل بلفظة النزر القصير
يرمي اعاديه بسهم من سعادته طرير
حتى لو افترشوا الحرير لشاكهم مس الحرير
ويريهم الذكر بنا لهم البيض الذكور
وسهامه نوب الخطوب وترسه عقب الدهور
ورماحه حشو العدى وعداته حشو القبور
استغفر الرحمن بل حشو الحواصل والنسور
ويصوم صارمه فيفطر بالجماجم والنحور
واذا اتاه سائلا ارب السويهة والبحير
ابصرته يغنيه بالخورنق والسدير
احمد بن محمد هذا التماد من البحور
لو كانت الدنيا له ورد على الحقائق في الامور
ما صيغ تاج محمد الا من القمر المنير

واتاه البديع ابو الفضل الهمداني وهو بمرو ويمتدحه بالقصيدة التي اولها
على ان لا اريح العيس والقتبا والبس البيد والظلماء والبلبا
واترك الخود معسولا مقبلها وافجر الكاس يغثر وشربها طربا
حسبي الفلاة مجلسا والبوم مطربة والسير يسكر في حين شبيب تعبا
وطفلة كقضيب البان منعطفا اذا مشت وهلال الشهر منتقبا
ظلت تنثر من اجفانها حببا ودوني تنظم من اسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع

لا درّ اي لا كثر درّ المعالي اي خير المعالي

لا درّ درّ المعالي لا ينال لها يستوقفك لا هونا ولا كثبا
يا مشرعا للندى عذبا موارده بناه منتسم الارجاء اذ نضبا
طلعت في فرس اسعد اما زلته حتى اذا قلت يجلو ظلمة غربا
كنت الشبيبة ابهى ما رجت درجت وكنت كالورد اذكى ما اتى ذهبا
استودع الله عنا نيحى دبغا حتى بردي وقلبا برحب لها
وظاعنا اخذت منه النوى وطرا من قبل ان يقضي الهوى من خلّه اربا
غضى عليك قناع الصبر ان لنا اليك اوبة مشتاق ومنقلبا
انخ لمقام بدار الملك في كرم وهمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة دون الامير رواق المشترى طنبا
يا سيد الامر الحر يا ملك الامثال دونك في اشتهار ابا
اذا دعتك المعالي عزة ما تيها لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا
ابن الذين اعدّوا المال من ملك تدى لك الخير ما اعطى وما وهبا
يا الليث محتطما والسيل منحطما والبحر ملتطما والليل مقتربا
امضى شبا منك ادمى منك صاعقة اجدى يمينا وادنى منك مطلبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يا من يراه ملوك الارض فوقهم كما يرون على ابراجها الشهبا
لا تكذبن فخير القول اصدقه ولا تهابن في امثالها العربا
فما السموأل عهدا والخليل قرى ولا ابن سعدي ولا الشنفرى غلبا
من سلامين معشار اذا اقسموا ماثر المجد فيما اسلفوا نهبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان يحشر في والمازني ولا العبسي منتسبا
هذا الكتيبة وذا الرهبة وذا الرغبة وذا الخاطر بابا

ثم واستولى على بلاد خراسان وارتفاعاتها فخبث لبعد اخرها وكتب الرضي اليه
يستنزله عن بعضها لاطماع حشمه وعوارض مؤونته فاعتل عليه باستغراق اعطيات
جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته الى زيادة يتحملها لتتمة اطماعهم في السنة

يتحملها

في نسخة صح الاصل

قوله يبتسم حسوا في ارتغاء ... زغوة اللبن ... ولكنه في السر يحسو

وهو اذ ذاك يخلط طاعة بعصيان ويسر حسوا في ارتغاء وينصب لمعالي السيف الصفحة
الدولة وبسط يده في المصادرة والاستخراج حتى كشر خراسان باسرها فلم يبق
بها ذو حرز الا ادرج خلفه واصيب بطنه ثم طالبه بما يخرج عليه وامسك
يديه وقدميه على رجليه الى ان عجز بعض المال ومات باخرة على شرجات
كاتب الملك الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة هرون بن ايلك بغراخان
وهو ببلاد الترك يسر اليه ان يشاطر خراسان وما وراء النهر ملك الرضي بخارى
وكان مثله كما قيل كحامل سيفه اسيوف محمد يحيي ابها ها ملكات آل محمد وهو في ذلك كله
يتبع رسم الخطبة وشعار الدعوة استبقاء الابن عمه للتقية او نحمل الى الرعية وقد كان
طايفة من دهاقين ما وراء النهر فيما ملوا تلك الدولة فخرجت نفوسهم الى الاستبداد
والاحماض بعد خلة الالف والاعتياد فواصلوا بغراخان تهيجه في نور ذلك الجزيم
شاحذين عزمه في المضاء والتصميم فصار يتطوف تلك الحدود خشيا خشيا كالذئب
يحمل نهاج لجنانه على الدنيا ويج بابتسالة من الوحشة وتشكيا من الروعة وتدريبه
على القفول الى ان ورد اسبيجاب فانهض من بخارا انج الحاجب في طلبه ورده على عقبه
فالتقيا على حرب شابت الذوائب انارت لكواكبهم انجلت عن اسر انج في الكبار
من القواد والكثير من الافراد واستجلب ذلك طمعه في ورود سائر البلاد

ذكر فايق وما انتهى اليه امره بعد الوقعة المذكورة

اقام فايق بناحية مرو الروذ على
رم الرث وجبر الكسر واسوما في عسكره من كلوم الحرب فلما التحم امره وانضم نشره سار
يريد بخارا عن غير استيمار واستطلاع راي فارتاب الرضي به فلما قارب بخارا برز الى فضاء
السهلة ببابه ورماه بالجنود يكثرون الحاجبين وسائر موالي ابيه وذلك يوم الاحد
لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمانين وثلثمائة فلما هم الكفاح وعضه
السلاح انجفل انجفال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه بين القتل والتنكيل والاسر
والتنابل وافى الشط منهزما فوجد السفن معدة فركب الجسر ولجاح حتى عبر وسار
الى بلخ على ان تنسر جهها وبرمائه واقام بها اياما ثم عبر الى ترمذ وواصل بغراخان
بكتبه تبعثه على الايحاد وتحثه على البدار وخوطب عن بخارا الى الجوزجان ابو الحارث
احمد بن محمد الفريغوني بقصده وحسم فيجيئه بوشلع ظيما وسار من ارض الجوزجان

معبية

يعني بالسهلة المعروفة فيما وراء النهر الامام الى خيرة الكبير رحمه الله الى نهر الموالي وكان الملوك السامانية كانت بالحصار الذي سوف سر السهلة

بريمًا فانتدب لهم احد غلمانه يعرف بارسلان اخرسالاتي في زهاء خمس مائة من الترك والعرب
فانقضوا عليهم انقضاض الصقور على بغاث الطيور ففرقوهم بددًا وجعلوهم طرائق
قددًا ونثروا القضا بجثثهم وغنموا ما لا يعد ولا يحصى وعادوا الى طاهر بن فضل
كان طاهر بن الفضل ملك الصغانيان على ابي المظفر محمد بن احمد وهو واحد خراسان
جلالة قدر ونباهة ذكر ومتانة رأي وحجر ورجاحة نظم ونثر فانقطع ابو المظفر
الى الحاجب فايق صارخًا بزعمًا فاحسن اصراخه وامده بنجدة ورآه فاغتنم طاهر
بن الفضل خفة اصحاب فايق بسمرقند فلقيته اليها طامعًا في الاستيلاء
عليها فزحف المقيمون بها لمدافعته وتهدر المناجزة وتناوشوا القتال
وصدقوا المصاع والصيال وثقف بعض العرب كان طاهر بن الفضل فقصد
تصدره بطعنة في مكنه اخرته عن مركبه وبادر اليه فاحتز راسه عن مركبه
وثار الصياح بقتله وولى اصحابه على الادبار هاربين من سيح الارض وبصرها امين
اشاجرها ومدرها ولما جرى في امر الحاجب ما جرى وتقلد الى بلاد الترك في زمرة
الاسرى انتقضت عرى الاعمال بما وراء النهر ووهت قواها وتداعت قواعدها وبناها
واشفق الرضي وان كان رحو وليه من ان يتفاقم الامر ويتراكم الشر ويعضل حادث
الداء ويتشعب ناتي الخطب فانثنى في الاستمالة وتوبل عثرته بالاقالة واستنهض الى
بخارا للاستظهار به على سد الخلل وتعديل الميل فسرت عنها بعد حسن القبول والاقبال
وازاحة العلة بالاموال الى سمرقند فلم يرعه الا خبر بغراخان وهو الملقب بشهاب
الدولة وظهير الدعوة وقد استحار البشر تواحم الطير ركضا لم ينل فيه جماما ولا
غمضًا فولى فايق من بين يديه هزيمًا ولم يلو على بغراخان فيما وجد من كان
معه من اصحاب السلطان بعرضه للسيوف فريسه لانياب الحتوف وتوافت الشهادات
ان ذلك امر كان عن تواطؤ منه لبغراخان على ال سامان تعجل من لا دين
يمنعه ولا وفاء يزعه ولا حياء يردعه ولا نعمة تكفه ولا حرمة تكفه وسار كما هو
حتى نزل بخارا فراع السلطان بالداهية الدهيا والخطب النكر والقضاء المبرم
من السما حتى اضطر الى مفارقة الدار والتباعد منها بالاستتار

ذكر ورود بغراخان بخارا وهجرة الرضي عنها وانصرافه ثانيا اليها بعد نصول بغراخان عنها

ودخل بغراخان بخارا فاستقبله فايق مختصا بشرف منخرطا في سلكه ومكثرا
لسواده وبلغا اليه لسن نباده كانهما كانا على ميعاد وتلاقيا على صحبة
واتحاد ولما استقرت بالدار به قرارها استاذنه فايق في النهوض الى بلخ
لاستضافتها الى ولايته واثارة اموالها لخزانته فاذن له وسار الى الترمذ وبعث
بعمال الى بلخ للحياطة عليها ونصب بها من يجبي الاموال ويدبر الاعمال واقبل الامير
الرضي فرصة البرور من سيرته في بزة التنكر حتى عبر النهر الى آمل وقد كان
هاجر اليها امامه عدة من خواصه وحجابه وغلمان داره عابرين جائرين
فاعتدوا بمقدمه عيدًا وظنوا انهم قد انشئوا خلقا جديدا وتلاحق بهم
ابناء الهجرة فتموا عدة وعددًا واعتمد الامير الرضي ابا علي البلعمي للوزارة
وضبط اطراف ذلك القدر من الامارة فعجز عن التدبير لضيق الحال والمجال
وانسداد وجوه الاموال وترايد عدد المهاجرين من الرجال وقد كان نفي عبد الله
بن عزير الى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة فامر الرضي بالكتاب اليه في
استحضاره لاستئناف الاعتماد عليه فيما كان يليه واستكفائه المهمة دونه
فبادر اليه مغتنما خلته في تلك الحال ومتوصلا الى نصيبه بوجوه الاحتيال
وقد كان الرضي من لان نجوم الشر وانتشار شرره باعالي ما وراء النهر من
جهة الترك كاتب ابا علي محمد بن محمد بن سيمجور وهو الملقب بعماد الدولة
والمعتمد لحياطة الحوزة وحراسة البيضة في الاستنفار والاستنجاد وتلطف
له في التجشم للجهاد وتطهير تلك البلاد من وضر البغي والعناد بعد ان سامحه
باموال خراسان واغضى له عن ارتفاعاتها لارضاء اوليائه واحتمال الانفة واستيفاء
للصنيعة عنده وطمعا في الانتفاع بشأنه والاستظهار بمكانه فتجدد الاستعداد
للنهوض والاحتشاد للعبور حتى استغرقت مراعيه شهورا عدة ثم نهض من
نيسابور الى سرخس ومنها الى مرو في جيش من الملك يتربص انتياد دولة القوم
فيشاطرهم الملك على حاجز النهر وينفرد دونهم بما وراءه وكان الفضل بن محمد
طايفة يزينون له هذا الرأي ويحلونه في عينيه ويخلونه في معرض النصوح له
تقربا اليه ويوحون اليه انها دولة قد تمت ايامها وحان ان يتوج عليها اضدادها

وهابها الاستمرار الثرات عن الاطراف بها وانثيال الفتوق من كل الوجوه عليها
وان المعنى بنصرها مخذول لخذلانها ومحكوم عليه بالادبار لادبار زمانها
ووهي قواعدها واركانها فلما استقر الرضي بآمل الشط كتب اليه بان الجفا
قد برح والبلاء قد برح وانه آن له ان يستأثر بعز الاحدوثة في مظاهرته
والانقاذ بسلفه الذين هم صنايع دولته ودولة ابائه في طاعته ونصرة
دعوته وكف الاذى عن وجهه ورده الى دار قراره ومحتش اوليائه
وانصاره فقد قطع طمعه الجنة واستشعر الياس الامن لديه وقتل هجوم
بغراخان بخارا كما واصليه بكشف الاستصراخ والاستغاثة ومجاوزة
التلطف الى التضرع في الاستنفار والاستجاشة من تلك الكتب فصل حفظته
من انشاء ابي علي الدامغاني وهو انما تحتاج الدولة الى عمادها اذا قصدها
من يزعزع راسيات اوتادها فالله في هذه الدولة فقد جاءتك مستغيثة اياك
لا بد بك ان كان تأثير فيه تأثير الرخاء في الصخرة الصماء الاخرش ولا اخل واثق
ولا شك في خلال ذلك بساط ذلك الود والانتزاح يستنزل رتبته في المخاطبة
على ما كان يخاطب ابوه وغيره من اصحاب الجيوش ثم لم يرض بذلك حتى اقترح
جمع له بين التلقيب والتكنية على العنوان منسوبا لولا الى امير المؤمنين وانما
ولاه لا لساماني فقابل الرضي جميع ذلك بالايجاب ووفاه ما اشتهاه من شرف
الخطاب وقد كان يقترح ذات يوم على لسان خادم للرضي وجعله رسولا
يعرف بارسطاطاليس ايام مقامه بآمل زيادة على الحد الذي يجري مجرى الحيل
والشطط فقال ايها الامير ان ذلك السلطان اليوم بحيث لو اقترحت عليه مخاطبتك
بالتأمير لفعل ولكن الى اليوم غد فاختر لنفسك ما هو اجمل بك وازكى في الاحدوثة
عنك فكاد يخرج عند ذلك العيون ان تصوب القلوب زيتندب واستبرح الفسوق
به فلم يزد على وعد مطال وتسويف مطال لا جرم ان الله لعن شغل ما جهاه
ونصره واواه واعاده الى خطته ومثواه وختم بالخير عقباه واسلم الغادر بما
كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد ذكر انصراف البغري الى بخارا لعلها
بغراخان عنها
ولما استوبل المقام ببخارا فانزعج عنها بغراخان لعلة داء اتفق له

عائلك وراءه ومحا ودا هواه وعمل اهل بخارا الى تباعات عسكره فطرحوهم طرحا
وجردوهم في درنج النهاد جرا وبادر الاتراك الغزية على اثره شلا وطردا
وعبر كما وطئنا ولم ينقل بخفه على الاحجام والانهزام على ما به من الم السقام حتى
ذاق كاس الحمام وحين لحق الرضي باجفاله على حاله ابتكر العبور الى
بخارا فتتم اليه من حاشيته ورجاله فتباشر الناس بما اتاح الله من عوده
الى دار ملكه وقرارة عزه تباشر الصباح بهلال الفطر وذوي المحول بالاعلام
باستهلال القطر وصفت له بخارا وسمرقند وما صاقبهما من ولايته وساير مملكته
ولما راى ابو علي ما استقام له من الامر وسقط من ناجم الشر وخمد من نائرة
الفتنة التي تلبرها صما الاتسمع وحدها لا ينقطع وانضاف الى ذلك ان بغراخان
لما التوى عصا القوم ببخارا كاتبه على الرسم الذي كان ولاة خراسان يكاتبون
اصحاب جيوشهم غير مؤاخذ له بالشروط التي كانا تعاقدا عليها وتواصيا بها
من النزول على رتبة التماثل واقتسام جانبي الملك على حكم التناصف والتعادل سقط
في يده وذنب في عضده وذهب عنه اثره واظلم عليه رايه لاسفار الاختيار على خلاف
تقديره وانكشاف العواقب عن ضد ما اجاله من قداح تدبيره فاستشار نصحاءه
ودهاته واستفتح آراءهم فيما عراه فاشاروا عليه بمعاودة التقرب واستيناف التلطف
والحيال بما يزيل عارض الوحشة ويحو سمة المعصية ويستحلب التفصح عن الطاعة
فاعمل من صنوف الاموال والهدايا ما رام ترضيته به واستمالة قلبه عليه وسنح لفا
بعد احسانه بعوج الرضي الى قرارة ملكه ان ينهض الى بابه متنصلا عليه ومتحيلا
على رسمه فيه وقد كان الرضي من جهته بمثل ما دهاه من جانب ابي علي فاضمر
عن لبائه وتباعد عن فنائه وتقاعسا في ترض طاعته وولايته فضرب الرضي نعالا
وجهه بوجوه حجابه ورجال بابه وفاوضهم الحرب بغلمانه وكافة اعوانه حتى
استلحمت الحرب الفريقين وترشقا بالقتل من الجانبين ثم انفلتت عنهم
هزيمة وحشتهم كالجراد حرصا على النجاة فهيمتهم فعبر الى بعض الاطراف
ونزل الحق به من خطامهم طبات السيوف وجلوا الاساد من اصحابه فاخذهم
الى ابي علي منتقلا في حلة ومنخرطا في سلكه ولائذا بدخنه ومستذريا بظل طاعته

ووافق أبو علي منه مُنيته التي كان يخطبها على الدهر باقتراحه ويعدّها
على الحادثات لحسن نجاحه واستقبله بأهل عسكره على أتم إجلال وإعظام
وأعم إكبار وإكرام وأحسن ترتيب وترحيب وبشر رائق وترحيب وتبسّم بمكافحه
زوّح الفتى عن الرضي فصرف إليه ما كان لعقله من الجدال مفصحًا بالجفا
والخلاف ومصرحًا بالتمرّد والانحراف وحملها على الوفاء والصفاء والتظاهر على الأعداء
ونهضا إلى نيسابور للاستعداد وتخمير الرأي في حسم الفساد ولما يئس الرضي
من صلاحهما لم يدبّر في الاستيلاء عليهما والانتصاف منهما من يشتدّ بأسه ويجدّ
في اللقاء مراسه توقّف في التدبير على الأمير أبي منصور سبكتكين لما توسّمه من أمارة
الخير باعتكافه على غزو الهند احتسابًا لثواب الله واكتسابًا لكريم القربة إلى
الله فأرسل إليه أبا نصر الفارسي النائب عنه بنيابة وكتب على يده بذكر ما أعياه
من البلاء بمكان موليَيه أبي علي وفائق وحطّهما على حرمته وقصدهما إياه في نفسه
ومملكته واستيثارهما عليه بارتفاعات حوزته غير راجعين إلى حشمة ولا راعيين
لحق نعمة ولا مستمسكين من الحياء بعصمة وأن الذي حمّه من أمرهما قد سدّ عليه
وجه الخلاص وطرق الانتصاف إلا من جهته وبما يرجوه من معونته وألطف القول
في استدعائه وتطميعه في جميل ما يتكلفه من نصرة أوليائه بفرط قوته وغنائه
فصادف وصول الكتاب والرسول نفسًا منه مرتاحة لإجابته منشرحة لطاعته
توّاقة إلى المقام الجمال باستيفاء رضاه وموافقته وعزم على العبور إلى ما وراء النهر
للقاء الرضي ومشاهدته واستماع المقصود من رأيه وإشارته ونهض
الرضي إلى ناحية كش فخيّم بها على موعده فأسرع إليه الأمير سبكتكين فالتقيا
هناك على أحسن ما سمع به في مثله من تعبية المواكب وتعبئة الخيول والكتائب
وقد كان الأمير سبكتكين يستعفي لشيبته عن رسم الخدمة وملتزم الأرض
على رسم الطاعة فأعفي عنه اكتفاء بصدق العناية والرعاية منه حتى إذا اختلطت
الخيول والتقت الصفوف وأصابت عينه صفحة وجه الرضي أخذته روعة الملك وأبّهة
العز للنزول والشروع بما كان يستعفي منه قبل الوصول فتلقاه الرضي بأتم الإكرام
والإعظام ورعاية الحق والذمام وجرى مشهد لم يسمع بمثله في الفخامة وباشر

الخاصة والعامة وأمر الرضي بإقامة ما وجب إقامته لهم من صنوف الأنزال
وأتباع ذلك بما يصلح أتباعه من طبقات الرجال وسأله بعد ذلك أن يفرغ له
نفسه ويصرف إلى قصد أبي علي وفائق وكفاية شرهما عزمه فضمن حسن الطاعة
وبذل الوسع والاستطاعة واستأذن في الانكفاء إلى وطنه ريثما يجمع متفرق الأهبة
وينظم منتثر العُدّة ثم يواجه الخطب بجأش جليد وبأس شديد ورجال يموجون
في بحار من حديد فأذن له وصرفه وأمر له من الخلع الفاخرة والأخبية اللبا
بما أضاء من جلالة قدره وأكد الثقة بصادق وعده ورجع كل منهما إلى مكانه وأقبل على
استصلاح شأنه ومحادثة سيفه وسنانه وورد على أبي علي من ذلك ما أغمّ عليه
وجه التدبير وسدّ عليه باب التقديم والتأخير وجعل الرأي شورى بين أصحابه
فيما أشكل الأمر عن بابه كانت بينه وبين فخر الدولة ومحالفته ومواددته
ومجاهدته وتأثيل حالة في جانبه ترجّيًا ليوم العثار ونائبات الليل والنهار فأرسل إليه
أبا جعفر بن ذي القرنين بما أعجبه من نجح خراسان وأفرد الصاحب
إسماعيل بن عباد بمثل ذلك طمعًا في حصول الغرض المقصود من الاتحاد على
يد كتب سفارته وسلطته وحدثني أبو جعفر أنه دخل على الصاحب يعرض عليه
ما كان صحبه ثم قال له مخاطبًا عن صاحبه مثلنا في حمل هذا الطفيف القليل إلى
الصاحب الجليل مثل من يستبضع التمر إلى هجر فقال الصاحب بل مثل التمر
الرسل لا للحاجة إليه ولكن للتبرك به وسعى الصاحب في تمهيد الحال وتوكيد الوصال
حتى تمت الألفة واشتبكت العصمة ودرّت الكتابة واستحكمت الصداقة وقد كان
مأمون بن محمد صاحب الجرجانية وأبو عبد الله خوارزمشاه قد أحسنا التقرب إلى
الرضي أيام اجتيازه إلى آمل بما ساعدهما الوقت عليه من مال ورجال فعرف ذلك لهما
وأحب أن يجزيهما عما أخلصاه به وقدّماه من قديم الطاعة فجعل نسا برسم مأمون
بن محمد وأبيورد برسم خوارزمشاه وعقد لكل منهما على عمله فأنهض كل واحد منهما
من يقوم بضبط عمله وتدبير ما أضيف إليه فأخرج أبو علي المأمون بن محمد عن نسا لحال
في المواددة بينهما قديمة ولأسباب في الأفاد وكيدة ودفع أبا عبد الله خوارزمشاه عن
أبيورد اعتلالا بأنها دار أخيه أبي إبراهيم وأنه لا يمكنه النزول عنها إلا بعوض له

منها وامر بطرد اصحابه عنها وتسليم دونها فاستخلك خوارزمشاه في نفسه
الى ان تمكن من الفرصة في لغره فاستشفى منه على ما سنشرحه عند الانتها الى ذكره
وطلعت خلال ذلك رايات الامير سبكتكين من غزنة على ما كان سبق من عدته
وقد جمع واحتشد واستمد واستنجد وقام في الاحتياط والاستظهار وتجند
وساق امامه الفيول التي ملكها على ملوك الهند في غزواته ومقاماته وعبر الى الرضى
الى الجوزجان والتقى الامير ابا الحارث الفريغوني والتمس واقام الى ان وصل اليه الامير
ناصر الدين سبكتكين ويحق به الشان ومن جرى مجراه من رجال البلاد في طبقات
الاجناد فاجتمع سواد شرقت بهم المسالك والمذاهب ولجت عليهم المراتع والمشارب
نهض ابو علي وفايق من نيسابور الى هراة وبها ايلمنكو غلامه وصاحب جيشه
يخيم بها دفاعا عنها ومراميا دونها وضوى اليه من كان مقيما من جهته بمرو الروذ
وباذغيس اخذا بالحيطة واحتراسا من الغرة وسار الرضى والامير سبكتكين حتى
اناخا بناحية بنج وارسل عند ذلك ابو علي الى الامير سبكتكين يذكره الحال التي كانت
بينه وبين ابيه من المواتّ المهيده والحرمات الوكيدة وما استمر عليه بعد من سيرته في التحاب
والوداد والاشتراك والاشتباك ويساله ان يتوسط الغضبة ويستبرئ الرضى على ما يخلوج اره قلبه ويطفي
حراره غيظه ويبشر دشار داياته ويمسح جانب رضاه متحكما عليه بما يستصوبه في حسم الداء وحقن
الدما وتسكين الدهما وبالنفاء سوانا حسن الامير سبكتكين الاصغاء الى ما سال وسد البطاق
لما التمس ومال جهده الى الاستصلاح ووضع السلاح على عادته في كراهة الفتن واغتنام
الاجر وسال الرضى في مجالس عدة شفاها ورسالة ان ياخذ بادب الله تعالى في العفو والغفران
واقالة العثرة بفضل البر والاحسان ايثارا للذي هو اقرب للتقوى واحمد في البدو والعقبى
ولم يزل به على اتصال نفرته واشتعال جمرته حتى سمح بالاجابة واسمح بالعفو والاقالة
على ان يفدي بن اثر عصيانه بخمسة عشر الف الف درهم يؤديها في نجوم على
رسم المواقفات وكتب الامير سبكتكين بذكر ما استتم من امر الصلح على يده وانتظم من عقد الصلاح
بسعيه وحضره وتشاور اصحاب ابي علي ووجوه قواده في التمام هذا المال بحكم معونة له
على ما لزمه من الغرامة واعتناما لما يرجون عليه من السلامة فصادف ذلك جدا من شبانهم
ونزقا من احداثهم وذهابا منهم بانفسهم عن الاذعان للكافة والرضى بالصلح الجامع لمصلحة

الكافة وتبادر من ذوبان الاكراد وسفهاء اصحاب الترك طايفة الى معسكر الامير سبكتكين
فاختلسوا اسيه غلاما له كان يلي امر قيامه فقتلوه في عدة ممن اصابوا اغترارا وافتيانا الى
ذلك الان رسول الامير سبكتكين لما كرر اجوابه مجتملة وان ابا الفضل الزيادي
احد انياب ابي علي موكلا بنقض تلك الثنايا والمحارم فقال له فيما ان سمعك في
ضلالك ان صاحبك لا ينطق الا بمحال ما نحن باحلاس الصلح وابنايه ما دامت هذه العيون
حافظة سوادها والعواتق حاملة نجادها يعني به قول القايل كذبتم وبيت الله لا ناخذ وبقيا
مراغمة ما دام للسيف قايم فلما انتهت هذه الاخبار الى الامير سبكتكين استشاط
غضبا وقضى من ادبار القوم عجبا وعزم على المناجزة واستخار الله في صدق المجاهدة
والمجالدة وارسل الى ابي علي ان خذ في اهبتك فان سيفي وسناني كفيلان بما لا يغنيك عنه
غير حد الحسام وثبات المقام وزحف الى الفضا الرحيب بغرونة فرتب الخيول مقانب
ومناشير عن الجيوش ميامن ومياسر وشحن الصفوف بفيلته المجففة كانها شواهق
اعلام او طوارق غمام ووقف الرضى به وبالامير محمود ولده في القلب يشجعونا بكماة الرجال
ويحفونا بكماة الابطال كما قيل من كل اروع تنزع المنون له اذا تجرد لا نكس ولا جحد
يكاد حين يلاقي القرن من حنق قبل السنان على حوبايه يرد وسارت خيلت الارض سايرة
والجبال مايرة والنجوم منكدرة والسماء منفطرة وثار من وقع السنابك نقع اوهم كسوف النهار
الشامس او عود ظلام الليل الدامس وقد كان ابو علي رتب جيوشه اسوة الامير سبكتكين
فجعل فايقا في الميمنة واخاه ابا القاسم بن سيمجور وايلمنكو في الميسرة وثبت في القلب
مع جماعة ذوي الحفيظة من ثقاته وكانوا في الحقيقة جيش الطواويس من حسن
الجمد ولمعان الحمر والبيض واشرقت عليهم الشمس فبرقت لها الاحداق وتالقت الافاق
حتى اذا دنت الخطى بين الفريقين بدات الف بغتة بالحملة على ميسرة فبدد وانطاهم وزعزعوا
عن المقام اقدامهم وثنى ابو القاسم بن سيمجور بمثلها على من قابله فصنع صنيع آخرين جمل دارا
بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير من قبل الرضى على ذلكم يسعى لشرف المقام او عاير حق الذمام
والانعام حتى اذا التحم بين الصفين دق ظهر بترسه واقبل على موقف الامير الرضى بوجهه فاستامن اليه
ووقف للقتال بين يديه فاغرى اصحاب ابي علي لما اخفره من الذمة وقطعه من العصمة اشفاق
مواطاة اضرابه اياه على مثل صنيعه وعند ما حمل الامير محمود على قلب ابي علي في سواد يدنح
بثقله كاهل الارض سد بقسطله مناكب الافق فلم يلبث احد من اصحاب ابي علي لكفاح او مدافعة بسلاح

اي اطرافها من قوله تعالى فامشوا في مناكبها

بل انفضوا عن موقفهم انفضاض عقد خانه النظام وانسل منه الفذ والتوأم وجعلوها
هزيمة انتكست بها الاعلام وغصت بجموعهم الاباطح والاعلام وركب الامير محمود اكتافهم
بضربات تفلق الهام انصافا وتسقي النفوس سماما ذعافا فلم يفته الا من عان تلك
الجموع ومن خفف عن ظهره ثقل الجواشن والدروع وغنم اهل العسكر اموالا لو انثالت
بعضها على الصلح المعقود لبقيت الروح بمابها ووضعت الحرب تلك الاوزار عن انيابها
وسار ابو علي بالفل من اشياعه الى نيسابور واقبل بها على جبر
الكسير وريش الحسير استعدادا للاوبة بانهما ثانيا دون اللحاق وموقف التلاق
وخيم الرضي والاميران سبكتكين ومحمود بظاهر هراة ريثما استجمت ركابهم
ووفرت على الاولياء رغائبهم ولقب الرضي الامير سبكتكين بناصر الدين والدولة
ملكه السلطان محمودا بسيف الدولة وقلده قيادة الجيوش بنيسابور مكان ابي علي
به وسار الى نيسابور في منية اشجت النفوس مهابة وملأت قلوب الاعادي كآبة وجاء
كالقروم المصاعب وفيلة كالاسود مخطومة بالاساور وفي ذلك يقول ابو الفتح البستي

بسيف الدولة اتسقت امور — رأيناها مبددة النظام
سما وحمى بني سام وحام — فليس كمثله سام وحام

وسجى ذكره انفا بسيف الدولة الى ان اتاه الله الملك منه الى مظنة استحقاقه
بلقب اليمين في كورة افاق ثم ارتحلوا عن ظاهر نيسابور ولما تسامع ابو علي بمنابهم
فارقها منحدرا الى جرجان على الوثيقة التي كان اخذها على فخر الدولة في بذل المشاركة
وصدق المساهمة حتى المّ بها وكتب اليه بالحالة التي الجأته الى قصده ولاذته
من انقطاع الى جانب مملكته وارسل ابا نصر الحاجب الى مسالمته بغرر رجاله وليستدعي
معونته برأيه وماله ولاستتباب الصاحب بحرمة ما كان يعتد لنفسه على ايام ... وصالح
ويعده له من غرر ... ذامر بما يقام مثله ... لو كلهم بالغ ... فيهم
لارتفاعات جرجان لاهل عسكره واتاهم ... حتى ... الربيع تباعا
... وانكشف عن ... ايام ... وقد كان الرضي ... عند ... امير
سبكتكين وسيف الدولة الى نيسابور بعبد الله بن عزير الى طوس ... علمه ...
ليرضيهما اياه ... على دعة ... النصيحة اليه ... في بعض احوال ...
نهض ... سيف الدولة محمود على اثره اظهارا للبراءة واستشعار ... واستمالة

المحنة وازاحة لعارض الظنة وطار عبد الله بقوادم العقاب تحت خوافي
الليل الى مرو على عواتق الطرق اشفاقا على نفسه من عادية النصر
نحل المتهم المريب وتلقى الرضي مورد سيف الدولة باتم اقبال واشبال
وصرفه وابوه على احسن حال وانعم بال وانجلت عقبه الحشر والاجفال بونيزيه
منها الى بخارى حتى استقر بها على سريره وقد كان الامير ناصر الدين سبكتكين
وسيف الدولة لما وصلا الى نيسابور فرشا مهاد العدل وبفعلها جلا الامن
وتنعاد سوما كانت جائفة من قبل فنشراها بيت الرافة وحسم الخافة وارتياد
مصلحة الكافة فانشرحت الصدور واستفاضت الامور وامنت الطرق
واتصلت القوافل والرفق ثم سنح للامير ناصر الدولة سبكتكين انقلاب
الى هراة لمطالعة ما كان برسمه فسار واقام سيف الدولة بنيسابور على
قيادة الجيوش وزعامة الجمهور وقد كان ابو علي طمح الى زيادة

زيادة مال

من المال يحمل اليه معونة له على اقامات اهل عسكره من الري فكتب اليه
ابو نصر الحاجب باني عرضت الكتاب وقررت المراد فكان من جواب
فخر الدولة ان مثل الملوك مثل الانهار العظام يصطفق مياهها وتزخر
شعابها فيرى الناس ملتقى عبابها ومصطفق امواجها ويغفلون عن عيون
الجداول التي تغترف منها والسواقي التي تتشعب عنها ولو انا تبدنا
على مؤن خراسان لاستصفناها الى ما يليه من سرة الارض وواسطة
الاقاليم لكنا قد سمحنا بما تيسر والعذر ظاهر في ما تعذر فاستوحش ابو علي
من جوابه واستشار فائقا ووجوه قواده في تبيين الامر بصوابه واتيانه من
بابه فاختلفت آراؤهم بحسب اجتهادهم في المشورة ورويتهم في استشفاف
العواقب المستورة فاشار بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة
الخطبة للرضي بها والكتاب اليه بالطاعة وضمان الجباية اذ كانت
تلك الولاية قد اعيت صيد الملوك وصناديد القروم على خطبتهم
لها بهم العساكر وطلابهم اياها بسمر الرماح وبيض البواتر واحالتهم
عليها مصونات الرغائب وتغريرهم فيها بكرائم النفوس والحرائب وقد

حصلت له عفواً صفواً وانفتحت عليه سهواً رهواً ووسع المعنى بالضمان مجال
ولاية التقلب بالتشهي ضلالاً واشار بان يمنا هذا الامير سيف الدولة
ومناهضته لاعتراض الفرصة عليه بتفرق الجموع عنه واختلال ابيه به
للمخالفة هو واخرجان طباع عسكرهم وكتابته فيهم بل ربما تنكر لهم الفضل
ويحملهم عليهم الحرن واتفق هذا الراي جمهور العسكر لحرصهم على الوطن
وتراجعهم الى الاهل والسكن فاتفقوا على هذا الراي وتطابقوا على الاكفاء واضطروا
ابا علي الى مساعدتهم واتباع ارادتهم وعند ذلك الخبر نعى الصاحب اسماعيل بن
عباد نسيباً وكان معنياً بمصالح ابي علي ومحسن اثاره واشارة الى فخر الدولة
باغتنام جواره ومجاورته على ما نكرم الى ابي علي بتغيير نصل المقام واغراه بتعجيل
الانتقال والانتقام ولما استأثر الله تعالى بالصاحب اكثر شعراء العصر في تابينه

فمنها قول ابي محمد الخازن

يا كافي الملك ما وفيت حقك من … مدح وان طال تحميد وتابين
نعت الصفات فما يبكيك من احد … الا ذو تنبيه اياك تحسين
هيهات نواعي العلى نعت ناعيه من … بعد ما نبذ بكي لك الخرد العين
تبكي عليك العطايا والصلات كما … تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف اقعدهم … واستيقظوا بعدما نام الملاعين
لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا … مضى سليمان فانحل الشياطين

ومنها قول ابي سعيد الرستمي الاصفهاني

ابعد ابن عباد يهش الى العلى … اخو امل او يستماح جواد
ابى الله الا ان يموتا بموته … فما لهما حتى المعاد معاد

ومنها قول ابي علي المنجم

والله والله لم يفلحتم ابداً … بعد الوزير ابن عباد بن عباس
ان كان منكم وزير فاقطعوا اذني … او جاء منكم رئيس فاقطعوا راسي

ومنها قول ابي العباس الضبي وقد احتجب ببابه بعد موته

ايها الباب قد علاك اكتئاب … اين ذاك الحجاب والحجاب
قل بلا رقبة وغير احتشام … مات مولاي فاعتراني اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه … فهو الآن في التراب تراب

ومنها قول ابي الفتح البستي الكاتب

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده … كريم يروي الارض فيض غمامه
فقدناه لما تم واعتم بالعلى … كذاك كسوف البدر عند تمامه

ومنها قول ابي منصور الثعالبي

الا يا صاحب الدنيا وعين السودد اليمنى … اما اسمعك يا قطب العالم الكبرى
لئن خيمت الدنيا فقد نجحت الاخرى

ورحل ابو علي من جرجان على سمت خراسان غرة شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثمائه وتقدمه فائق على
طريق اسفراين حتى اذا قارب حدود نيسابور عدل الى الكبرى واحتاط به وسار الامير المستقر بن الحرب
الجدين في الطرق والضرب فبلغ خبرهما سيف الدولة فكتب الى الامير يستكشف باقبالهما وبرز الى
ظاهر البلد في خف من العدد وختم به على انتظار المدد فاعجلاه عن المراد وناوشاه الحرب
قبل وصول الامداد فاضرم عليهما نارها وباشر بنفسه وخاصته اوارها من حيث رجل راد
البغي الى لبث الفئة كما يمنهما فانكشف ارض الوغى بما القتلى واضعفت منابت
الغبول بها لا كانوا ارك للمصعوق عند اشتجار الرجوف لخلاط الاسنة والسيوف وهم
اصحاب ابي علي بالانحراف عن الجنباء المنزل عمداً غناصاً طلباً للخلاص فكانت حملة واقعها
القدير واتخاذ سيف الدولة بمعظم جيشه الى صلاح ابيه الامير فاقام بلباس الظلام
ارصاداً للخصم يوم الكرور على الثار واسلامهم لقدار الامداد وتخلف عنه ما اعتباه استعجاله
من اثقال ونقله ثقال تعجز عن حمله متقاطرة من جمال الهنود وسائر انواع النقود فكثرت
عند ذلك شغلة ابي علي اطمعه في استقلاله وعوده الى المعهود من حاله لكن الله تعالى قضاها
سبباً لاجتياحه واستيصاله واشير عليه عند المقام بنيسابور وان تبيح الامير سيف الدولة لهما
عن عقد الارتياش والانتعاش وتم الاستنجاد والاستعداد فاذن لهما فضل بن كلث
بعيد واعلنت برمته ودعى عليه فصل ونعى اليه خلق واحتمل بصفوة وخلق
خزانته واشفاقه من خذلان عسكره اياه ان دعاهم الى البراح وسامهم خطة الكفاح واخذ
كتباً الى عاد المعتذر واعي جنايته ومتنصلاً من بادرته ومستقيلاً عاثر عثرته ومستميحاً

قبول عذره وارسل الى الحاجب سبكتكين رسالة الواهي جلده المتناهي كذبه المتجاذل لسانه
ويذبجل بالكشفة التي استمرت بالامير سيف الدولة على فايق وسائر اهل عسكره
لاكراههم ابا علي على مفارقة جرجان ومعاودة خراسان وانه لو وجد الى مراد سبيلا
او في ذرى اختياره وهواه مقيلا لما التفت الى خراسان ملء عاشر تقادبا عن حشمه
وتحرزا عن كراهيته وسأله ان يهب له ثاره ويستوهب الرضى خطاياه وعثاره
فلم ترخ رسالته الا التطرية لاغتياله والتنبيه على اختلاله والتحريض على اقتناصه
والمهاز من فوته وخلاصه وبث الامير سبكتكين كتبه الى من تفرق عنه في دياب
مملكته واطرافه وولاته من قواده واجناده في استنهاضهم الى مخيمه واستعجاله لهم
الى الحضرة وانهض ابا نصر بن ابي زيد الى الامير خلف بن احمد والى سجستان
تجشمه اللحاق به وكتب الى والي الجوزجان ابي الحرث الفريغوني بمثله فطالع الحضرة
الرضى باستعداده وانتظار ما يرد عليه من مثاله وكتب الى القواد بنواحي خراسان
بالبدار اليه وتتابعت الامداد من كل جانب عليه فسار الامير سبكتكين بجيوش
لو رموا الجو لاستنزلوا طائرته او وردوا البحر لابدوا قرارته وسار الى انتقام
مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت بمد ابنه وقد كان فائق عدل الى
طوس يكاتب الامير سبكتكين ملاحقا ويطمعه في ايجاب الله مهاودا ما تلقى
وجهه بمثاله وتحيك عليه بل بكياله وتكفا ابيرك الطوسي احد الامراء النارودية
الحي على بين الطاعة والمنابذة والموافقة والمنافقة يقلم رجلا للورود ويوخر
اخرى للقعود فارسل ابو علي ابا القاسم الفقيه اليهما للاستمالة وتحذيرهما قدم الضلالة
فنهض اليهما واخذ الميثاق له عليهما وكتب اليه يستعجله اللحاق بهما فسار ابو علي
وتلقاه فائق وابيرك بناحية الطابران فاتفقت كلمتهم على التظاهر والتصافر
وخلصت نياتهم في التساعد والترافد واختاروا معسكرا بقرب اندرخ
فخيموا به وقد كان ابو القسم اخو ابي علي قد عتب عليه لحرو له بولاية هراة وثمرات
اعمالها عنه الى غلامه المنكو وتقصيره به عما كان يخطبه ويقترحه عليه من امثالها
على وفائه له وولائه اياه والتزامه حكم المشاركة له في كل ما نابه وعراه فتقاعس
عنه عند منصرفه من نيسابور واعتل عليه ببقية من اشغاله حتى اذا تنفست مدة ارتحاله

آيسه من وصوله ووصاله احوج ما كان الى عونه ونصاله فزاد ذلك
في تحير باله وكسوف باله وحث الامير سبكتكين تلك الخيول في قصد ابي علي
حتى اناخ بطوس مقابلا لمعسكره فتناوشت الخيول وشبان الجنود الى
التطارد والتجالد فبقوا على ذلك سحابة يومهم فلما قبض الليل مسافة ابصارهم
عادوا الى مضاربهم وشاور ابو علي وجوه قواده في معاودة الحرب فاشار اليه
ابيرك الطوسي وذووا الحصافة منهم بتلجي بشعب الجبل والاستظهار على الامير سبكتكين
بمناعة ارجائه وعزازة مسالكه وسعة العلوفة من ورائه ومحادثه الحرب
على اغراء الرجالة الطوسية باطراف عسكره مبيتين وخارشين ومغيرين
وعاشرين الى ان يدركه الملل ويلحقه الضجر والفشل ويتفرق عنه
الحشر بغير فيناجزونه على بصيرة لا ذوو مرية واستماحة خيرة فشغب
من سمع هذا الراي من احداث العسكر وقالوا ما لنا نطاول القوم
وندافع الوقت لا يريب الناس تاميك عن المصاولة الى المطاولة وعن
المشاورة الى المصابرة فها نحن نساقيهم المنية ونصحبهم منها كؤوسا روية فاشفق
عليهم التدبير وصار المامور هو الامير وبات كلا العسكرين عند انفلاق
الصبح الى الاستعداد للقاء والاحتشاد لحر الهيجاء واقبلوا على تسوية
الصفوف مشحونة بالالوف كاجام الليوث من ذبل القنا والسيوف وحصن
الامير ناصر الدولة سبكتكين مواقف عسكره بنخب كتيبة كحلة تحت التجافيف
اطوادا فارعة وامواجا متدافعة ودنا الفريقان بعضهم من بعض فلم يرع ميسرة ابي علي
الا فج ثار عليهم من ورائهم فرضتهم ذات اليمين فاذا هم بالامير سيف الدولة في الطم
والرم والليل المدلهم فتزلزلت اقدامهم وضلت احلامهم واوهامهم وراوا ان قلب
ابي علي قد حمل على قلب الامير سبكتكين فساعدوهم على حملتهم تفاديا عن ايقاع
الامير سيف الدولة بهم فتمزقوا ونكصوا عن الزحام موقفه فوقف لهم الامير
سبكتكين فيمن اختف به والتف عليه من خواص غلمانه وركد حملتهم في وجوههم
فارتدوا على ادبارهم وتناطل سيف الدولة عليهم من ورائهم فبقوا محصورين
بين العسكرين واخذتهم السيوف من كلى الجانبين وثارتا تام خلط النقع

بالعفو فلم يسمع غير وقع البيض على بيض المغافر وحطم الذوابل بين
الطلى والعوائق وظلت خراطيم الفيول تستلب الفرسان من صهوات
الخيول وتلحق القاتل بالمقتول وبلغ سيف الدولة من الايقاع بهم والاثخان فيهم
والانتقام منهم وصب السيوف عليهم ما لو سمع به رستم في زمانه لزهقته خدمة
عيانه ومنديه آداب سيفه وسنانه ونالت المحصور بقايا الملح تحت غواشي
الرهج وبدا بالادلاج من بين مشتجر الرماح ثم انجلت المعركة عن قتلى
مضرجين في الدماء وجرحى مطرحين على العراء واسرى آيسين من الفداء ولكن
الامير سيف الدولة اكتفى بالقتل ما يسر منهم من قصر عن اقتحام شعاب الجبال
وعمي عليه وجوه تلك المغارات والمداخل وكان من جملة المأسورين ابو علي بن
نوح الحاجب وبكتكين الفرغاني ولسلهن بيك وابو علي بن نوشتكين واما سارين
بنجاز وبالجيلي ولشكرستان بن ابي جعفر الديلمي ومولا اعيان عسكر ابي
علي وذوي قواده ووجوه اركانه واعضاده وسار ابو علي وفايق بين تيرمهاوي
تلك الجبال ومصاعد تلك القلال الى ان اناخا بقلعة كلات وهي التي تحجى الرياح
عن ارتفاعها وتزل الابصار دون رقيها وابيها وشعافها فاضافهما بها امير من الطوسي
الى ان ظهر لهما عدد من سبزولجق وجملة من اجتمع بهم من نوق وكان ابو علي
قد سرى الليلة التي نيض عليها بها باب نيسابور الى كلات في جملة صبيته
وكتب ابو علي بن نوح الحاجب وسائر الاسراء يذكرون له ان الامير سبكتكين
استدعاهم ومناهم ووصلهم وحباهم ووعدهم الافراج عنهم متى ردت تلك
العقيلة الى مرابط امثالها من مناخه وسألوه ان يفك بنفسها عنهم
وتخليصها لم يتقدم ابو علي الى امير كلات بردها والافراج عنها ففعل ونهض منه
وفايق على سمت ابيورد مصحرين عن تلك المضايق وبعث امير كلات بتلك
القيول الى الامير سبكتكين وكتب اليه يذكر انه المتقرب بردها المتفرد
بالخدمة فيها فاستعمر بذلك رتبته واحبط على ابي علي قربته وفي ذكر هذه الوقعة
يقول ابو الفتح البستي الكاتب

ألم تر ما أتاه أبو علي ... وكنت اراه ذا لب وكيس
عصى السلطان فابتدرت اليه ... رجال يقلعون ابا قبيس
وصير طوس معقله فاضحى ... عليه طوس اشأم من طويس

وسار ابو علي وفايق الى سواد ابيورد على ان يقصد كورة نسا فسنح لفايق ان
يجد الى سرخس لراي رآه فخذل ابا علي على المكان وسار بمن معه من الغلمان فلما
سمع ابو علي بنبائه ارسل اليه باني غير مفارق على اية حال تصرفت بنا من
اجداب واخصاب واحزان واسهال وان ركوب هذا الطريق كان على
ما سنح لنا بادي الراي عن الصواب فان حدث لك في التدبير فاني تابع لرايك وها
انا من ورايك فوقر له الى ان لحق وسارا الى سرخس ونهضا الى مرو وحين تشاغل
الامير سبكتكين بجمع خيله ولما حين سمتا ابيورد نهض على اثرهما واستخلف
الامير سيف الدولة على ما فوض اليه من اعمال نيسابور ناهضا عنه بنيابة
امرهما فتقضيا اوطارهما بمرو ثم اخترقا مفازة آمل الى الشط مجتزين
بجدوبة المفازة وصعوبة المسافة وانسداد المسالك وانهدام المناهل والقيا
بها عصا القرار وارسل ابو علي ابا الحسين محمد بن كثير وفايق عبد الرحمن
بن احمد الفقيه ترسيهما الى بخارى في استجلاب الرضى واسترضائه واستعطافه
الى رعاية حقوق مواليه واوليائه فاما ابو الحسين بن كثير فانه ضمن الامير على
وجه جميل وكتب الى ابي علي في تهنئته وتامليه ورسم له ان ينحرف الى الجرجانية فيقيم
بها الى ان يستانف تدبير امره بواجبه واما عبد الرحمن بن احمد فانه امر باعتقاله
ووضع في الحبس على رسم امثاله ونهب من غاري ليتقنعه بتغيير حاله وذكر ما
انتهى عن كرامه في بابه فاستوحش فايق لما وبلغه رسوله وعزم ان يعبر النهر الى
ما وراءه ملتجئا الى ايلك ومستظهرا اياه ومستعينا به على ما دهاه واشار الى ابي
علي بان يساعده ويجنح اليه بمساعدة فانه الغرض المقصود في خروجه الى الجرجان
تفرقت بينهما المعاتبة والمراسلة والاجتماع على الجادة ... الواجد
وان الذي غشيه ايا بهما من الخلاف على آل الدولة اضطرارا لا كان لا اختيارا
لا يوجب الاغضاء عن نجاته والذهول عن نفقات ايابه وحياته فاختار ابو
علي مباعدته على مساعدته ومجانبته على مقاربته وسر الله تعالى فيما حكم به
من صدع شمله وقطع حبله ووضح لمحله فليس الظهر الى ما وراءه جادلا
الى ايلك مستجيرا اياه وواصلا عروته بعراه فانهض من كان على اثره بكتوزون

الحاجب فتصادما بجد وجد نسف وولى كل واحد منهما صاحبه ظهره
بعد أن أبلى في اللقاء عذره فتقلد إيلك أحسن تقلد وتولاه أحسن مقول ومفعول
وضمن له الوفاء بأمله ورده إلى ما استنزل عنه من عمله وأما أبو علي فأخطأ الطريق
وحرم التوفيق فسار متثاقلا بما اجترحه من العصيان خجلا لما فاته من فرصة البر
والإحسان قد خلته يد القدر بمروج الحيرة والسدر ودعت عليه غياهب القضاء ملك
الفضاء فهو يخبط خبط عشواء مستسهلا للبقل ومستسلما الطوارق الحذور
أنشدني أبو حاتم الحنيفي المذكور في مثل حاله لبعضهم إذا أراد الله أمرا بامرئ
وكان ذا رأي وعقل وبصر وحيلة يعملها في كل ما يأتي به مكروه أسباب القدر
أغراه بالجهل وأعمى عينه وسله من عقله سل الشعر حتى إذا أنفذ فيه حكمه
رد إليه عقله ليعتبر ثم ومر أبو علي ثانيا على سمت الجرجانية إلى أن بلغ المسمى
به هزاراسف وهي قرية تقابل خوارزم من الجانب الآخر فأرسل إليه
خوارزمشاه من أقام له نزلا وقدم إليه عن زاد وعلف الحول إليه على الهشا
وتضاحي في فادته وتحكم له زمام الغي رجل من أبناء عسكر في جمع التباين
الأنحام لاغتياله جنح الظلام فحكى أبو علي لحشا الحجله نقابات أبي علي وكان
قد نهض رسولا من جهته إلى أبي عبد الله خوارزمشاه أنه أنشده أبياتا
لابن المعتز ورسم له تبليغها إلى أبي علي على معنى النصيحة وهي إذا ألحت في البعد
فلا تبذ شغل الإبهام فإن لم تجد بها منسوعا أتاك عدو كل من يبغاه وإياك من بدع مودعها
ولا تجل الأخرى ولا تبعها بالفروسية له وذلك قبل استيحاشه أبي عبد الله منه
تقبلها منه بمنة ثم ذهل عنها كأن لم يقرع بها قط سمعه ولم يستودعها يوما
من الدهر ذرعه ولم يعلم أنها كانت رمزا من الأيام له بارتقاب النوائب
وأنها الحوادث لم يدر أن للإيغال والأقوال حرز الحيق بأربابها وسجنا أو بطنا
وتجسسا أو جنسا وغفل ليلته تلك عن الاحتراس واقتدى بغفلته سائر الناس
حتى إذا أثقل الجفون كراها وغيبة النجوم سراها صب الإناء وخفق
الطبول وخطخطة الخيول وأحيط بالقصر الذي نزله أبو علي فما له أوسل
المراد عن سؤاله فثار بمن حف حوله من غلمانه للدفاع وتأبت جموات الصلح

حتى بقيته إلى زعيم القوم يسأله ما خطبك ولماذا أخرك فقال إن خوارزمشاه
أمر بك فتقرب إليه بروق الأوزعان رد وزعيت الجراب والطعان فهو للعتبة
أطفى وللأجنة أنفى ولباع الاستعلام أقصر أنت بالرأي أبصر فبادر أبو علي
إلى النزول فاستردفه الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه وذلك قبل الفجر من
ليلة السبت غرة شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فأنزله إلى بعض القصور
متعلا كتفيه وشد الطلب على أصحابه وقواده فأسر منهم الأعيان والأركان
وأفلت المنكوص على عقبيه من أشياعه نحو الجرجانية وتوزعوا في الأفراد وعلى
القواد من أقام بوحشة بهزاراسف فيهم ذكر سبا في الأقطار كشوارد
الأمثال واعتقل الباقون على صغار وخسار إلى أن أخرج الله في خلاصهم بوالي الجرجانية
مأمون بن محمد وذلك أنه لما سمع بنبأ أبي علي وما ارتكب خوارزمشاه اضطرب
قلقا واضطرم حنقا وبات يرعى النجوم أرقا إلى أن استتب له الندب عليه
ودماه بعسكر جرار يستخفون ثقايل الأعمال ويخوضون شرايع الأهوال ويتغذون
رواسي الجبال ويستنزلون الخصم من شعف الفلاك وسائرهم المملوك في مواصل
أبي علي على جال قد أوغرتهم الحفايظ والأحن وأخرجتهم النوائب والمحن فهم يشعون
إلى النار لنفي العار وذلك الثار بحيث والحركات حمئة بخوارزمشاه وأحاطوا
بها إحاطة الأطواق بالأعناق وشوم الحرب من كل أوب ودرب فظلت تلفح
وجوه رجاله النجوم بها حتى أجلتهم عنها منجوبين وحصلتهم في ربقة الإسار
مقهورين ودمر وأعلى خوارزمشاه في قرارة بيته فأعطاهم بيده
ووصل إلى أبي علي فحل ثقل قيده على عقبيه وتبادلت الأيام بالإعجام تقية من
أدهم إليهما فصار الأمير منهما أسيرا والأسير أميرا وكان ذلك على الله يسيرا
وتحمل أبو علي نحو الجرجانية في أحسن شعار وحمل أبو عبد الله على أثر عار
خزي وعار فاستقبلهما مأمون بن محمد فقابل أبا علي بالإعظام والإجلال
وعجل أبو عبد الله من ضروب الإذلال بما يجل عن المقال وانسلخ مأمون
بن محمد عن مجهوده في إكبار أبي علي وإجلاله ومشاطرته صفوت
أمواله وأقامه الخطايا بالعامة بحاله حتى انتظمت أحواله ولخل بهم اختلالهم

وقرأت خطه ذات يوم كان قد اتخذ مجلسا كأنما عمل عليه صناع صنعاء تزيينا
وتحسينا وتفضيلا وتبجيلا فأخفى عليه في الشرب أخفى الطرف ومسألة
اذكار ربت فجر الشراب وودعه منذ زمان فلما أخذت الكؤوس
مأخذها منهما اقترح احضار خوارزم شاه فأحضر مجلي في ثيابه ولم
يرد في جواب ما سئل عنه وعبر به على الاطراق وسمر الارض
بالاجلال في جملة أمره أنه اخرجه فأذرت هامته عن منكبيه فتدحرج
الى الارض شيبته البيضا لذلك يفعل الله ما يشا وصفت خوارزم لمأمون
بن محمد فربت بها من لعام الخطبة برسمه وحمى مواليها عن حكمه وتابع
كتبه الى الرضي متشفعا في امر ابي علي وسايلا تدبير امره بما يونس وحشته
ويجبر خلته فخوطب هو وابو علي في الملتمس بصحيفة المتلمس بيضا
من تنطوي على حقد دفين ودا في الصدر دوي واخرا بو علي
بالمسير الى خدمة السرير فلا يخشى له اماني تجد بها حلة واصلد عليهما
لونه فشخص الى بخارى سايرا الى حتفه بقدمه وقد غفلت الايام كلبه
عن خير كرفيلاته وزلاته ليتقيد المقت ورا وليقضي الله امرا كان مفعولا
ولما شارف بخارا استقبله الوزير عبد الله بن عزيز والقواد على طبقاتهم
مهنئين ومبركين ومضى بهم الى السهلة ونزل بها واخذ يلثم الارض
الى ان بلغ السدة ودفع له الحجاب سار امامه الحجاب الخاص وصل الى الرضي
فاستوفى ادب الخدمة ذا كفران النعمة واستنزل بعقبه ايلمنكو في كبار
اخوتهم وقواده حتى اذا انودي بدابته للخروج من الدار عدل بهم الى
بعض الحجر وسلك هو والآخرون في القيود والاصفاد واطلق على
الوقوف بالباب ايدي الاوليا والحشم فطعموهم السلب والنهب وسلخوهم بين
كل مضيق ودرب وختمت حال ابي علي بسوء ذلك اليوم طاير نحس فيه
صورته واستقام صحره ونفخ له ثمرة واعيا على ذوي صدره لا لا
كفران النعمة ارضي الاسخط واسلاد الزمان عليه بانيابه ونوائبه ولله
الله من قال فلقد احسن المقال * اذا المرء لم يرض ما امكنه * ولم يات من امره احسنه

وانحجب الحجب ستة
واعجب بالعجب ما قاده وتاه به التيه فاستحسنه * فدعه فقد ساء نسبه * سيضحك يوما ويبكي سنه
وقد كان الامير سبكتكين منذ ايام وقلما بلغه حوادث خوارزم شاه بادى عجرفة الى
بلخ ثقة بها على حمايته في الطاعة وارتياد مصلحة الكافة الحاذة دالي
بخاري او عرف مابه مما تقدم ذكره وطلع اثناء ذلك كتاب الرضي عليه بما يعمه به ابي
الحقوق وجهه والحيور بكفاية شغله منهما للصنيعة عنده في استجاده
واستبقا ملكه وحوزته فاستشار ذخر الوجوه نصحائه ووزرائه فتحجبا الاجوبة
بين تعيد وتقريب وتخطية وتصويب فاختبه الجزة بالوفا وهزته الحفيظة
للبدل تجدل عن سنوة النصيا الى صريمة الحزم والرأي واقبل على الاستعداد
والاحتشاد وشحنه الحدلة الاطراف باعماد البلاد يتجاوز الورود وتعلم الوفود
وتجلى هو الى الجيوش تبرالحق الجمهور ومضى الى ما بين كش ونسف فخيم بقربه تقال
لها نياري اذا وصل اليه ولاة الجوزجان والختل والصغانيان وساير اطراف
خراسان وورد عليه الامير سيف الدولة من نيسابور في هيئة راقت العيون هيبة
وراعت القلوب ورجال قد بيتهم الحروب في حجورها واوضحتهم التجارب
من سطورها فلم يسمع بمعسكر بما ورا النهر جمع من جياد الملوك واعيان القروم
وطبقات الجنود ما جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك عبورهم للقائه فارسل الى
الامير سبكتكين عدة من شيوخ بابه يذكر انهما اخوان في ذات الله تعالى
لاتفاقهما على نصرة الاسلام واقتسامهما ديار الترك والهند بالغزو والانتقام
وانهما تحكم مساعيهما في اظهار دين الله وافلاج حجة الله احق بان تفاعات
خراسان وما ورا النهر من متجلس بيته على ما رب نفسه وشهوات بدنه
لا يشهد مقاما محمودا ولا يشهر حساما محمودا وان اجتماعهما على خطيهما كان
اعود عليهما من ركوب الخطر واجتلاب الضرر لحظ يخلص لغيرهما وانه
لا يستحل في دينه ان يجدل بالسيف عن عباد الله الى وجهه الا اذا اضطره
اليه ابتلا وسامه الدفاع عن نفسه اعتدا
فليخبرا ما الاحمر بن اية بن وعاق
فهو افتراق وايتلاف واختلاف بتامله حرجه له ابناد وليه وكفره

أنشأ بنجبته يذم إليه الإغماض دون حيف يجري عليه وملك يراد
انتزاعه من يديه وأن يخيّر بجميع ما تحويه على استغراقه أيام
العمر فيه أجابه إليه من شيمة الخذلان واختيار الإساءة على الإحسان لم يقطع
طمعه عن الرباع حول تلك الرباع أو قليلا إذن تخرب تحطّم فيهما متون الصفاح
وتتقصّد جماعة إلى الرماح ويرخص عندها غوالي المهجات الأرواح فلمّا
علم أبو الحسين وذاق لسان لا اختيار ما عنده قرع للأمر ظنبوبه وشدّ للحرب
حيزومه ورأى لجماعة الترك يتغاج في ما بينهم علامات الاستنفار نشار إليه
جيوش تضل البلق في حجراتها ترى الأكم فيها سجدا للحوافر وكتب الأمير سبكتكين
إلى الأمير الرضي يستعلمه الجاذبية ليقدمهم هين في مناهضة الخصم وفل
حدّه وتخرجه عن صدر الملك إلى وراءه واشتغل ابن عزير على نفسه من
حركته للهنات التي كانت لجأته إلى الهرب إليه والالياذ به من حر الطلب
ونطح الرضي بأن الأمير سبكتكين وعامة ولاة الأطراف غبر والنهر في
أحسن عدة وعتاد وأبلغ استظهار واحتشاد وأن المحن التي أشرب بك
قد تغصنك عن تحمل شكر وتحلب بن بنيه الملك عن تحلك فيجب أن تحاور من
حاله لعلّي من حالك ورجاله أتم استظهارا من رجالك والرأي لك أن
تستعفيه عن شهادة تكبّ نفسك على أن تحشر إليه وجوه القوّاد في جماهير الأجناد
من أطراف البلاد وتخصّ فيما يراه من مسالمة أو محاربة ومكافحة أو مصالحة
ليكون فيصل الأمر بينه على الوجه الذي هو أحوط عليه فكتب الرضي بذلك إليه
فعلم أن ذلك من تسويل ابن عزير وافتعاله وتمويهه واحتياله وتصدى أن يحط
عليه شغبه الذي سحاه في الجيوش واستجاشه الجمهور وتحمّل الأثقال واستغلال
الأموال فسرّب الأمير سيف الدولة وأخاه نصراً في قرابة عشرين ألف
رجل إلى بخارى لإزعاجه عن مكانه وسيّر معهما أبا نصر أحمد بن أبي زيد ليتولى
أمر الديوان الذي كان بمرسمه فلما أحسّ ابن عزير بإقبالهم رأى ليث الموت كاشرا
عن نابيه وعقاب الحين ناشرا جناحيه للانقضاض عليه فابتغى نفقا في الأرض
أو سلّما في السماء حتى إذا أعياهما توخّاه فزع إلى الانحجار ولاذ بالاستتار تولّى الكفى

وصف الفاضل

أبا نصر ابن أبي زيد كان له وهو الشهاب الثاقب والنقاب الذي عدّته المناقب فأقام
بكفايته عماده وقوّم منآده وجذب عنه ما كان زناده ووصفه أبو الفتح
البستي بأبيات في الصدق بهاجته وهي: قريت بأبا نصر المرتجى لتفرّج كل ظلام بطل
له قلم جلّ لا بكل إذا كان في الحرب سيف بكل ولو جز لكنه لا تغل ويطيب وكنه لا يمل
وكيف يملّ توقيق من أفاد العقول عليه يمل تجود قريحته بالبديع عفو الجود والزواجر المخل
ثم قيل وأولى الكماة بأعلى الصفات عدو محل وكتب إليه عند استقرار الوزارة عليه

أبلغ مقالي كل عاف مجتدي ومؤمّل في قصده أن يهتدي
أعرج على الشيخ الجليل المرتجى وزر الوزارة أحمد بن محمد
وردّوه مثل العيون رجيه مثل القلوب وشيمه مثل اليد
تفري أمور الملك دأبا فيصلا وعزيمة تزري بكل مهنّد
ويفيض نائله بسيل زاعب يقول سائله غرقت فتى قدي
فإنه الرجال إلى علاه فإنه غوث الورى غيث الصدى بدر الندي
لا زال في يوم أغرّ مبشر بسعادة غرّ تطلع في غد
ليقيم كل مأود ويقيم كل مشيّد ويضم كل مبدد

وقد كان الأمير سبكتكين أحسّ بأبقاء ابن عزير على أبي علي وجدّه في انفصال عنه
لما تقدّم في الأيام من التسلح عليه فلوّح للرضي بميله إلى ما يفتح من تولّه إلى
جانبه فأوجب قبل وصول سيف الدولة إليه إشحاته به وحمل هو والمملوك
في عاريته كانت خاتمة لعمره وقاصمة لظهره وأمر الأمير سبكتكين فنقل إلى
جرجير فحمل ذاى ترفيدته فحنا به لحارث يبرد الماء على رقته تماحه
واستعفى عن طيب الحياة بأتي إيابه ثم وانحدر فيما بين فوز سيف الدولة
إلى بخارى ليكف قتال الترك فأستانف مسألة الصلح فأوجب الأمير
سبكتكين إجابته إلى ما التمسه لقعود الرضي عن مشاهدته وقتوره في أمر نقضته
واشترط عليه ولا يسرّح إليه عمالهم وأعوانه على أن يقعد سمرقند على

عماد رود علوان فلا يطلق عليه عنان

فأوقع بها الشفاعة ورعاية لما سلف في بيت الرضي من حقوق طاعته وعقدت
وثيقة الصلح على هذه الجملة بمشهد الفقهاء والأعيان من الجانبين وانصرف
كل منهما عن وجه صاحبه وعاد الأمير سبكتكين إلى بلخ وسار سيف الدولة نحو
نيسابور وهذا على الرضي ما كان ممتزجا من أمور الأعمال وأقبل أبو نصر
على مهمات الوزارة وأكبرها شغل الارتفاق بتقلص الولايات وقصور الارتفاعات
عن الوفاء بما كان مثبتا في القديم من وجوه الأطماع والإقامات وجعل يتحكم
فيها يوما بيوم ويتحسّى ما يدم إلى أن ثار به بعض غلمانه فقتلوه وذلك على
رأس خمسة أشهر من وزارته فضاق الرضي ذرعا بما دهاه لإشفاقه
من ظن الأمير سبكتكين أن هناك قصدا لخائن أو رضا للحادثة به وأظهر
الاكتئاب لعظيم المصاب ببروزه من الدار فصلى على جنازته وأمر بإقامة
التنكيل على الفتكة به وأنشد في المضراب العوشنجي ابن التفتيس فيه (بستيه)

وافر

قلوب الناس له سقاما ونفس المجد والهة سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن تركت بفقدك الدنيا يتيمه

كامل

لما توى صدر الوزارة أحمد وهوت نجوم المجد في لجوده أذريت من فرط المصاب مدامعا
كالغيث بعد بروقه ورعوده قال العذول بعد رأى فرط الجوى والطرف يمزج دمعه بصديده
خفض عليك فقلت قولا زاجرا دعني أبكيه بنسخة جوده

ذكر أبي القاسم بن سيمجور أخي أبي علي وما أفضى إليه أمره من التقلب

ولما انحاز أبو القاسم عن أخيه أيام محنته
إلى أن رد الأمير سبكتكين حاشيته من نيسابور فنهض إليه عوضا للقابه ذو لاية زعيمته
ورفع قدره وقوى أسره وضمن له بأسره وخطب له إلى الرضي ولاية قهستان فأجابه
إليها وأمر له بالمنشور عليها وجي إلى ذلك خلع عزته بمنة الطاعة وكسته بمنة
الحزن في الاختلاط بالجماعة فأوى إلى قهستان سائر الجانب ظاهر الرياش أثيث الجناح
مرتخ للسروج والمراح إلى أن نخ للأمير سبكتكين عبور النهر لتدبير أمر الترك وكتب إليه
الأمير يستنهضه إلى مجمع أركان الدولة وأعيانها ليضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الأ

الكتائب وثمانية الحشم المخالب فحملته تقوى العواقب وإساءة الظن بالنوائب وطوارقه
على مراجعة فيما ذرع من لباس العقوان وجرع من كأس الذل في الامتهان على ترك المسير
والإخلال ببعض الحادث وعلم أن تقاعده عن إجابته سيؤديه عند فراغه له
إلى غصاص الأود ويكسبه خطبا لا يطيق معه استقلالا فبادر إلى نيسابور ونحو
خراسان عن جماعتها وطابقه أبو نصر محمود الحاجب على فعله ورأيه ثقة هو
على الاستظهار بجمع المال وإثبات أصناف الرجال حتى سمع الأمير سبكتكين
بخبرهما بادر بالكتاب إلى ابنه سيف الدولة في الإغذاذ إلى نيسابور وأتبعه
بأخيه بغراجق ووالي هراة لنقض ما أبرم من أمرهما وحسم ما حصل من شرهما
فسار إليهما ولم يرض بهما حتى انحط على أثرهما من بلخ كالشهاب في إثر العفاريت
فلم يرع أبا القاسم وابن محمود غير إظلال الجيوش عليهما فارتحلا مطايا الهرب
وسارا إلى سنوا ستقين حتى القضب ورأت الأمير أن ما فيهما لم يشتغل بهما فأثلج
البحر حتى لفظتهما جدود خراسان لحق بجرجان وأقبل الأمير سبكتكين
إلى طوس فأناخ بها إلى أن تطاير خبر إقباله فزاد في حفزهما للانهزام وانجفالهما
دون المقام وعطف إليه سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما من تفريغ خراسان عنهما
وتجديد العهد به وقد كان فخر الدولة علي بن بويه قد تقرب إلى الأمير سبكتكين
عند مقامه ببلخ على سبيل الملاطفة بجملة من الهدايا وحال من الخيل والخيس على سبيل
التنابذ اقتناصا لمحبته واستخلاصا لرضاه وخوافقه فقابله الأمير سبكتكين
بأضعافه من الألطاف وزاده عليها ثلاثة من الفيلة الخفاف وأرسل
بها المعروف بعبد الله الكاتب أحد ثقاته فمضى إلى فخر الدولة يجسسه
عدد أجناده وغوامض الطرق المفضية إلى بلاده فكتب إلى الأمير سبكتكين
يشير إلى أن رسول المرء لسانه وعنوان ضميره وترجمانه وأن فلانا ورد
فخالف باطن أفعاله ظاهر أقواله وكان من بعض فصوله أنه لو أراد أن يسير
الملك لم يستقر في سراة الأرض إلا بغلب غلب وأسود سود يجز ذلك

بغلب غلب

رسالة

الكلام في صدره وخدش وجه الحال التي كان خطبها فخر الدولة الى وجوه ثم
اردف كتابه ذلك بابي القسم الرسول احد وجوه بابه واصحبه مشافهة
مشتملة على ذكر الحال التي يروم عمارتها في مودته وان الرضى تبرع له بالرعاية
الوافرة وبذل الجانب لآثار الظاهرة لجهة ترى نظام ذلك وقوامه بما يوجبه
من مواصلته ومعاودة حاله من في اثناء صدره وسأله ان يثق بالاخلاص له من
قلبه والاسعاف بما تحت يدي ملكه وملكه وان ينطوي له
على مثل ما بذله من نفسه لتستحصد المرائر وتتأكد الاواصر ويستمر
التآلف ويرتفع التجانب والتخالف فحسن للامير سبكتكين اجابته الى ما
طلبه واسعفه من سره ما خطبه وصفت الحال بينهما عن الشوائب واستعفت
عن وجوه المتاحج والمحايد واستامن ابو القسم بن سيمجور الى فخر الدولة عند
اليأس من خراسان فاستدناه الى دهستان وقوهستان وجرجان ففرض له ولمن اشتملت
جريدته عليهم من حاشيته ورجاله ما لا يزيد عليهم وسيأتي على بقيه ذكره في
موضعه ان شاء الله تعالى وورد على الامير سبكتكين فوتن الخادم رسولا عن
الرضى يستشيره فيمن ترشح للوزارة لخلو مكانها بعد ابي نصر بن ابي زيد
عمن يتراعيهما ويستقل باعباء الكفاية فيها فوكل الاختيار الى رايه وظهر
ظاهرة من كان في ذروة آية فاختير ابو المظفر محمد بن ابرهيم البرغشي
لها وحبي بالخلعة والكرامة فيها وكفل بالامر كفالة الذرب المجرب
وقام بالتدبير قيام المنجح المشذب الى ان اختطف الرضى اجله في
غياته امله وعطف الامير سبكتكين بعد ذلك الى بلخ وعاد سيف
الدولة الى نيسابور وقد كان ابو الحسين بن ابي علي بن سيمجور دخيهما بقاين
عند الوقعة بناحية طوس فلما سمع بانكشاف عسكر ابيه ركب المسافة
نحو الري فآواه فخر الدولة واكرمه وخلع عليه فضله وكرمه وانزله
بخمسين الف درهم مشاهرة تدر عليه عند ولاء كل شهر واضاف

اليه من المبار والصلات ووجوه الحبية والكرامات ما تميز به
عن اشكاله رعاية لحق ابيه وتيمنا بحصول مثله في جملة اوليائه
وحملة اياديه فاغراه وبين تفوق السلامة والعافية حتى نزع بنفسه
في جملة الثبور من كورة نيسابور مطاوعة لهوى له كان يجمح بها وظن
ان استتاره يطوي خبره ويخفي عينه واثره الى ان ينقضي من هوله وطره
فلم تزغه الا احاطة الطلب به من جوالي مستتره فاحترشوه كما
يحترش الضب من جحره وعجلوا به الى الحبس من نوبه وحمل بعد ذلك الى
معتقل ابيه الى ان تعذب بحتوم القضاء فيا له من اسر ملأ اسره رحم
بطابع الشقاء عمره ورحم الله ام المؤمنين ام سلمة حيث تقول شعر بسيط
لو كان معتصما من زلة احد كانت لعائشة الرتبى على الناس
وكان لهيوك الطوسي قد اختلط ... فلما عن له عبور النهر
لتدبير امر الترك راى الاحتياط في الاستيثاق منه فالحق بابي علي دونه
الى ان جاءتهم القضاء وحق عليهم الانقضاء كذلك يفعل الله ما يشاء ولما
استقر الامير سبكتكين ببلخ منصرفه من طوس ورد الخبر بنفوذ قضاء
الله في ابي علي ومن كان معه في حلق الوثاق واستفيض خبره موت
الملوك العظما باطراف خراسان والعراق في مدة اتصلت بحوب ايامها
وتناسقت فرائد نظامها فكأنهم كانوا على ميعاد وذلك انه تلا اخرهم
خبر مامون بن محمد بن علي والي الجرجانية في قتل طائفة من اصحابه به
مادبة صنعها صاحب جيشه واستحالت له المادبة والدعوة مناحة
والحنا عويلا والسرور حزنا طويلا وورد خبر الرضى في خوضة
لم يتمدد فيها ايامه حتى الم به حمامه وانتقل الى تربه بما شابه
وكانت وفاته يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من رجب سنة سبع وثمانين
وثلثمائة ولقبه كتاب بابيه بالرضي فرحمت الله عليه رحمة تبرد

وصف تبدل النعمة الى المحنة

ضريحه وتوج زوجه فقد كان طود الملك زال بزواله وذل عن
مراسيه بزلزاله وتتابعت المصائب على الاحمر سككين بعده في تلك المدة بشقيقة
له كانت اعز اهله عليه واولاد صغار وغلمان كبار وهلم جرا الى
ان سقط على الفراش وايس من الانتعاش فتاق الى غزنة اشتياقا
الحطيم هو ابها واستشفاء بنسيم ارضها وسمائها فاخذ المقدور عليه
بالمرصد واخترمته يد المنون دون المقصد فنقل في تابوته الى غزنة
ومن عجب العجائب امس اني حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل
وخطبها فقال وهو يشير الى كاتبه ابي الفتح مثلنا ايها الشيخ في اخبطات
المنايا والواحنا مثل القطيع يعمد الجزار الى الضاينة منها فيطرحها
الى الارض ويوثق قوائمها بالجبل فلا تزال تعلق بخلاف الجادة وتضطرب
خوف الابادة الى ان يقضي الجزار وطره منها فيحل وثاقها وتجس اطلاقها
فترتاح لما يتاح لها من النجاة ويعاد اليها من روح الحياة حتى اذا كانت
ثانيا ابن عاد الجزار لعادته فيها فطفقت لما بها من الباس ونفرة واناس
تظن ان الامر كما عهدت ثانيا وتخشى خلاف العادة اخرى الى ان يقع الافراج
عنها فتطفر فرحا بالنجاة وتعود مرحة في النبات فاما في الثالثة حتى يسلمها
الجزار الى الجزار فيمر الشفرة على ودجيها اوثق ما كانت بالعادة وابعد
من المخافة وامنها من الآفة كذلك نحن فيما يتناوب علينا من الامراض
ويستمر بنا من الاوصاب يسنا تحسين الظن بما يطرق منها اذ فاتت الواعية
وسارت بها الناعية وكان من هذا التمثيل وشك ان قضى نحبه قد عذار
النخل فقضينا العجب بحكمه لما املاه المقدور في شانه على لسانه وقد
كان قبل وفاته اسجن عمارة الدار المحروسة بسهلاباذ وانفق عليها
ما الاعظم فلم يتمتع بسكناها حتى خذله الرجا وحق عليه الانقضاء واجفلوا
فما زال من بعده قد اهملوا امرها حتى تداعت بالخراب وسمعت تحض

الا فاحمل بتشد وقد احتاز علتها يدك في مدة يسيرة
عليك سلام الله من منزل قفر فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري
عهدتك مذ شهر جديدا ولم اخل صروف النوى تبلي مغانيك في شهر
فلحى الله دنيا ما من ضئة تاكل اولادها عقوقا وجانية لا ترعى لاضيافها
ذمة وحقوقا والى الله المشتكى من صروف الزمان وريب الحدثان ورثاه ابو الفتح البستي كاتبه بقوله
تلك اخلاقك يا صدر الدين والدولة حياه ربه بالكرامة
وتلاعبت جموعه بافتراق هكذا تقوم القيامة
توكل على الله في كل ما تحاوله واتخذه وكيلا ولا تخدعنك شوب صفا فاني وقيلك ما ادري عليلا
فان الزمان يذل العزيز ويجعل كل جليل ضئيلا الم تر ناصر دين الاله وكان المهيب العظيم الجليلا
اعد الفيول وقاد الخيول وصير كل عزيز ذليلا وحف الملوك بها صحين روي فوا اليه رعيلا رعيلا
فلما تمكن من امره وصارله الشرق الا قليلا فاو هم ان الزمان الخ اراه ارتقى به كليلا
اتته المنية مختاطة وسلت عليه حساما صقيلا كذلك تعجل بالشامتين وتفني الدهر جيلا فجيلا
فلم تغن عنه حماة الرجال ولم تجد قبلا عليه فتيلا ولبعض اهل العصر فيه
مضى الامير نصير الدين منتجيا في سبع اشهر علما قد كان مدة ما قد عاش منتصبا لله والدين والاسلام منتصبا
كالليث والغيث طبعا ان حمي وهمي والنجم والرجم شكلا ان رمى وسما يا من رمى كان الكاشحين دما من قبل كل الان ايت البرج منتصبا
ان الارج صروف الدهر ساخرة فانظر الى الملك والاسلام اجمع فالدين منثلم والملك منثلم ظل مجد العلى والمجد منقصما
وردف الحادثة به النعي بفخر الدولة علي بن بويه وكانت وفاتهما في شعبان
سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان سبب انقراضه انه نزع القلعة التي استجدتها
على جبل طبرك مرتاحا للانس فاشتهى طراحا من لحم البقر فقربت بين يديه
واجده وطفق اصحابه يتضجون له من اطايبها وهو ينال منها ما ابتغاها بحا قيد
كرم ودارت عليه الكوس بينها ملا ولا نثم بسقاى ان حضر عليه ورثاه ابو الفرج الساوي بقوله
هي الدنيا تقول بمل فيها حذار حذار من بطشي وفتكي ولا يغرركم حسن ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فاني اخذت الملك منه بسيف هلك وقد كان استطال على البرايا ونظم جمعهم في سلك ملك

ولو شمس الضحى جاءته يوماً لقال لها عتواً أفٍّ منك
ولو زهر النجوم أتت رضاه تأبّى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعدما فرع البرايا أسير القبر في ضيق وضنك
أقرّ بأنه لو عاد يوماً إلى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعي يا نفس ذكر ملوك قوم مضوا بل انقرضوا وتلك فابكي
فلا يغني هلاك الليث شيئاً عن الظبي الربيب المستمسك
أرى الدنيا أشبهها بشهد يسمّ جنى ظليت بمسك
هي الدنيا كمثل الطفل يبنا بقهقهة إذا يبكي بضحك
ألا يا قومنا انتبهوا فإنا نناسب في القيامة غير شك

فأما مأمون بن محمد فإن ابنه علياً ولي الأمر بعده وتسارع الناس إلى بيعته وعاد الملك إلى بهائه ورونقه وأما الرضي فقد كان عهد بملكه الحاجب إلى الحارث منصور بن نوح فلما استيقن به الموت ومضى لسبيله تناصر على بيعته الأولياء والحشم وفرق بقايا الأموال وخبايا الذخائر والأعلاق في أعطياتهم وتخفيف أطماعهم حتى استوسقت أمور الجماعة واتسقت الكلمة في الطاعة وبقي أبو المظفر محمد بن ابراهيم على الحجابة. وأما الأمير سبكتكين فقد كان عهد إلى ابنه اسمعيل واستخلفه على أعماله وأوصى إليه أمور أولاده وعياله وجمع وجوه قواده وحجابه على طاعته والرضا بإيالته وولايته فلما طرق الناعي به تبادروا إلى عقد البيعة له في الوصية فيه واستقر اسمعيل بعد قضاء المأتم على سرير الإمارة وأمر بفض الختوم عن بيت الخزانة وصبّ الأموال حتى أرضى الرجال وأما فخر الدولة فإن عسكر الديلم اجتمعوا على ولده الأمير مجد الدولة أبي طالب رستم بن علي فخر الدولة ففوضوا الأمر إليه وحفظوا نظام الملك عليه ولقبه السلطان بمجد الدولة وكهف الملة وسيأتي بيان حال كل واحد منهم في موضعه على الأثر وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه في عجائب هذه السنة وتبدل أحوالها وتفاني أمرائها قصيدة منها هذه الأبيات

ألم تر مذ عامان أملاك عصرنا يصيح بهم للموت والقتل صائح
فنوح بن منصور طوته يد الردى على حسرات ضمّنتها الجوانح
ويا بؤس منصور وفي يوم سرخس تمزق عنه ملكه فهو طائح
وفرّق عنه الشمل الفضل واغتدى أسيراً ضريراً أثخنته الجوارح

وصاحب مصر قد مضى لسبيله ووالي الجبال قد علته الصفائح
وصاحب جرجانية في ندامة ترحّل طرفٌ من الحين طائح
تساقوا كؤوس الراح ثم تشاربوا كؤوس المنايا والدماء سوافح
وخوارزم شاه وجه نعيمه وغرّه يوم من النحس طائح
وكان علا في الأرض يخبطها العدى إلى أن طوحته المطاوح
فعارضه ناب من الشر أعضل وعزله طير من الشؤم بارح
وصاحب بست ذلك الضيغم الذي براثنه للمشرقين مفاتح
أناخ به من صدمة الدهر كلكل فلم يغن عنه والمقدر سانح
خيول كأمثال السيول سوانح فيول كأمثال الجبال سوابح
جيوش إذا أرسلت على عدد الحصى تغص بها قيعانها والصحاصح
ودارت على صمصام دولة بويه دوائر سوء بينهن فوادح
وقد كان والي الجرجان فناطر الحياة فوافته المنايا الطوامح
وفائق المجبوب قد جب عمره فغاظ ولم ينفعه في الأرض ناصح
مضوا في مدى عامين فاختطفتهم عقاب إذا طارت تخرّ الجوارح
وكان بنو سامان أطواد عزة فأضحت لصرف الدهر وهي أباطح
أما لك فيهم عبرة مستفادة بلى إن نهج الاعتبار لواضح
تسلّ عن الدنيا ولا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس بفي مرجوها بمخوفها ومكروهها إما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا وعندي لها وصف لعمرك صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب شهي إذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

فصل

أفضى أمر الإمارة إلى الحارث منصور بن نوح وهو في حدقة البلوغ وريع الشباب وعند مشتغل الحركة ومستصبح النجابة ومستوضح الأصالة والإصابة

اقام ابا المظفر محمد بن ابرهيم وزيرا وفوض الملك الى فايق كفالة وتدبيرا وكان
عبد الله بن عزير اتقى شوكة الامير سيف الدولة عند قصده بخارى بالله صبابة
الحال على فلما انقرضت حيوة الرضى اطمع ابا منصور محمد بن الحسين الاسبيجابي
في صحابة الجيش بخراسان وحمله على الانحدار الى بخارى مستعينا بالملك
الخان على نيل الارب المنشود واصابة الغرض المقصود فنهض ايلك لمصا
حبتهما وسار الى باب سمرقند بهما حتى اذا اناخ بمرج على ظاهرها اتاه
ابو منصور في خف من غلمانه زائرا فاحتبسه بعلة الطعام واصحابه بين
التخييم والاستجمام فامر له وبابن عزير فشدا في حلق الوثاق وقرنا في قرن
الاعتقال ارسل الى فايق فلما اتاه اجله ورفع محله وخفض عن مكانه اكبارا له ضم
اليه ثلاثة آلاف رجل وامره بالمسير الى بخارى على مقدمته فسار على ما رسم له فلما
بلغ ابا الحارث خبر اقدامه ارتج عليه وجه الصواب وضرب عليه رجله الفرار
والعجلة وقطاعة الخبر عن التدبير فبادر الى العبور بمن معه من صغير وكبير
ودخل فايق بخارى فبادر الى التراب ولثم بخده الارض وجلس مجلس الحاجب واظهر
التعلق والتباع لاظلال ابي الحارث بعزه وشرفه وكتب الماضين من سلفه
وجشم مشايخ بخارى في مسالته تقديم المآب وتعجيل الانقلاب فتواخذ ذلك
به وامر بالكتاب اليه في اجماده على طاعته وتقريبه وكان مفتتح ما خوطب به من جملة
المخالصة فليكن الله زكا ما يمده والمناصحة اماما يعقد به ويرشده فمسعود وتوفيه
حيث وقفته هذه محمود تصرفه حيث صرفته تلك فارتاح ابو الحارث للانصراف
حين امن جانب الخلاف وسير قبل صرمة الدولة بكتوزون وهو الموسوم بالحاجب الكبير
على باب الحاجب النيسابور على قيادة الجيوش ولقبه بسنان الدولة ثم عبر النهر عائدا
وراه فتلقاه فايق فيما رسم العبودية وعوذا بافرض الطاعة المحلوقة وابتغى به
الى بخارى فاستقام له الامر وحمد ذلك الحجر وقد كان بين فايق وبكتوزون
سخيمة واحنة في الصدور قديمة فاستحلفه ابو الحارث على الاغماض فيهما والاغضا

عنها والعفو عما جرى في صدورهما منها استينافا لالفتهما في الطاعة واستجماعا
لاهوائهما في المتابعة فاظهرا الانقياد وحلفا على ما اراد واستقرت الامور السالارية
على بكتوزون وعني امور خراسان لابي الحرث من غير منازع ولا مدافع الحالة
طارت النحس في دارته فارتقى من قصد سلطانه وركب الحثه الى ما عرض من الملك
للملك والدولة للحوله وارخ الدهر بعا زاره حفن عينه وضع ولا يرفع عن
وجهه ستره

ذكر ما جرى بين سيف الدولة والامير اسماعيل بعد انتصابه في الامارة منصب ابيه

ولما اخترم الامير سبكتكين واستقر الامر على اسمعيل طمح اهل العسكر الى
مال البيعة فامر له فاطلق لهم استيجافا فهم المعين استصلاحا لذات البين وترحش
القوم حين راى عوده وركاده في عنان تدبيره لحداثة سنه وطراءة شبابه ولا شفاقه على
نفسه من جانب اخيه وقصده وانتزاع الامر من يده واستوطأوا مراكب الطمع واستعلوا جانب
التحكم وتحزبوا للمطالبة بزيادات على الرواتب حتى استغرق ذلك ما خلفه الامير سبكتكين ودخلت
الخزانة عما يسع الاستظهار به فاضطر اسماعيل الحال يفزع فيما ينوبه انفاق من
اطماعهم الى العدة التي كانت مذخورة له بغزنة فلو بقوا على جملتهم في التسحب عليه لاسرع تمزق
شمل تلك الاموال وتفرق جمع الاولياء والرجال ولما ورد على الامير سيف الدولة نعي
ابيه وقضى ايام المصيبة فيه بادر بالكتاب الى اسمعيل في تعزيته عن عارض الرزية
واشعر بان الحسين لحول في اذكاه مجيء الكبر وما يجب له بحكم الزعامة على اهل البيت بحرمه
انه منه بمنزلة العين الباصرة لواعيه واليد الباطشة لو امرو وانه سيبلغ ذا امر كل
من يهواه ويرضاه ويتعلق به مناه وان الامير سبكتكين انما افرده بالوصية
لاعجال المنية اياه عن وضعها من موضع الاستحقاق للضرورة من بعد المسافة وتقاذف
المشقة وان لو لا فيما بمنزله من بعيته حكم الرياسة ومشاطرته الارث من حاضر
المال واقرار بغزنة التي هي وكر عشيرته وجامعها ومعشش خاصته وعامته
على ان يحفظ عليه مكانه من بلخ وما يليها او ينقله الى نيسابور على ما كان يدبره من اعمالها
ونواحيها فاستشعر اسمعيل ما كتب الله عليه من النكبة في ايامه حتى كانه يراه رأي

الجبن وندرس عليه كتاب البهتان فلم يرده على الهبا والهالبوا وتحريض تلك الاموال
للاتوا وتوسط والى الجوزجان ابو الحارث سهما على ان يسكن نائرة الخلاف ويعيف
بهما على نقطة الجدل والانصاف واذا كل منهما على البدار في قتله لنشانه كل اخيهما
اخاه بما يقترحه من مراد ويقتدحه من زناد اذ كانت لوجوه المنافعة حرمة
يعرضهما على ظهر البعاد وفي حال التجنن والانفراد بالامير سيف الدولة ومايته
راى ذلك صوابا يعين الاستراية وراى الشيخ بما يقترح عليه من مال الحرب وارخ فادح
كله اهون عليه من ذلك مراما واليسر محملا والتراما اذ غرا امكن بنفسه وسرى الى صميم
قلبه وخيفه سالكته في اودية الظنون ونفرته عن ضم الغواحم للسكون والتسند
ذات يوم ابياتا لسيف الدولة الحمداني في اخيه ناصر الدولة معرضا بالالفة التي سمي
مهادا او اخصب مرتعا ومرادا وليَ وصيت لك العليا وقد كنت اهلها
وقلت لهم بيني وبين اخي فرق ولم يك بي عنها نكول وانما تغافلت عن حقي فتم لك الحق
ولابد لي من ان اكون مصليا اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق فرجفت عن
مقاصدها من فرعه وطاشت سهامها دون الغرض المقصود لها من سمعه ونقل الامير
سيف الدولة لتدبير باعوامه استجابه الرفق على الخرق وايثاره الرفو على الخرق وميله الى
المداواة على الملاحاة والمواتاة على المناواة واختياره البر على الجفا وادخاره الكي
لاخر الدواء حتى اذا عاد نجم الهوادة ودق طباب الحسمة استعد لاتيان الامر من
بابه ورجا المنتزع منه الى نصابه وخاطب الامير ابا الحارث بما عن له من الحزم الذي
لا يسعه غير تلافيه ونثل كنانة الوسع والطاقة فيه وساد في خواص غلمانه ورجاله وقواده المتقدمين
لاتباع مثاله الى هراة واستانف بها مكاتبة اسمعيل بين وعد ووعيد وتمنية وتهديد
وترجح بين الياس والامل وتنبيه على موقف الندامة والخجل فلم يغن ذلك منه فتيلا ولم ينقض
من قوى عقده سحيلا وتراجعت المكاتبات بينهما حتى خرجا الكلام واشتد لقح الخصام
واعيى فصل الامر الا بحد الحسام ودعا الامير سيف الدولة عمه بغراخان الى مساعدته
ومرافقته واتباع مصلحة البيت بمتابعته اتتسارع الى طاعته واتى بالجيوش على مشايعته

وصف الرعد والعجاج

واتباع رايته وخفوق معه الجيش وبها الامير ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين
فصادف الامير سيف الدولة منه وليا مطيعا وصفيا الى الانقياد سريعا هوى منه لم يرض
بزمام وخطام ومحبة لم تذلل باسراج والجام فهرع بالانقياد وتسرع الى المراد وجرى في طلق
الطاعة طلق الجواد ولما سمع الامير اسمعيل برحيل الامير سيف الدولة الى جانب غزنة
سبقه الى نيسابور من جانب نسا متجردا للمانعة متجشما للمقارعة والمدافعة وسار الامير سيف الدولة
في عمه واخيه وسائر اوليائه ومواليه حتى اناخ بظاهر غزنة وقد تطاير اليه من قبل كتب الاعيان
من قواد اسمعيل في عمالة تحليتهم لما عرفوه من وهي امره في الرياسة وضعف يده عن حمل السياسة
وتردد السفر بينهما في الاستصلاح وكف عادية الكفاح فابى الله الا ما كان معقودا وراى حل
الحق مشهورا والحق منصورا وانتدب الامير سيف الدولة للحرب فعبا المواكب ورتب الجيوش كواكب
ودلف الى القتال في رجال كالرماح او كالنصل القماح يمشون الى القراع هشاشة الاطفال الى الرضاع
ويرتاحون للكفاح ارتياح الهيم للماء القراح وقد عقفت الدروب وجوههم نكبا بهم
وابوهم سام ابوهم حام تخذوا الجوبة من الحديد معا قلا سكانها الارواح والاجسام مستبسلين الى الحتوف كانما
بين الحتوف وبينهم ارحام اساد موت مخدرات ما لها الا الصوارم والقنا اجام وبرز اسمعيل من
شايعه من مواليه وتابعه من رجاله وقد حص الصفوف بفيلته العظام كانها اركان ثبير او
هضاب شمام ودنا الفريقان يحضهم من يحض ضربا بالسيوف البواتك وطعنا بالرماح الفواتك
وربما للهام من تحت الترايك وطلت رحى الحرب تحركم بثفالها وتدور عليهم باثقالها الى
ان رمت الشمس بجمرات الظهيرة وقد لاذ بالماء من سبق وغدره وطلع بالفيال سعره وعنده
حمل الامير سيف الدولة بنفسه فتداعت الزحوف وتخالطت الصفوف وخطبت على منابر الرقاب
السيوف وثارت عجاجة احدقت العيون عن الاشباح واذهلت النفوس عن الارواح وتكور على
الاعناق بايدي الصفاح واقتحمت الحماة من وقع السلاح وظلت سنابك الخيول تردي على
جثث النفوس وتلعب بأكر الروس وتجري الجياد من القتلى على جبل ومن دمائهم في جدول
ومن هاجم يصعد في نشز ومن ذوايتهم يقضي نحبه ولم يثبت ان السفر تنا منهما عن مساقط
ابدان تحت ابراز الجسام فوق هام وهام الاخرون على وجوههم يمسحون طول الارض خوفا من

وصف تعبئة الجيش

وصف العسكر

حر العقاب بعد الحساب وانحاز اسمعيل الى قلعة غزنة متحصنًا بها فانى الحاجل من سوء الطلب الى ان تطوع الامير سيف الدولة فاستنزله على امان حسن ضمان وجاوره بمعروف واحساز

ذكر ما جرى بين ابي القسم السيمجوري وبكتوزون بعد ذلك

قد كان ابو القسم بن سيمجور انتقل الى جرجان بعد انقراض فخر الدولة على طاعة ولده فضوى اليه من شذ عنه من عسكر اخيه وحوالى ابيه واتصل به طوائف من ابطال الاكراد والعرب فاستدرت مناكبه والتفت انيابه ومخالبه وكانت الحسيكة التي تنطوي عليها فاتى بكتوزون تترصده بالحبائل وترميه باغوال الغوائل فارسل الى ابي القاسم تحرشه عليه وتغريه به وتجلوه ما كان يليه من قيادة الجيوش مع اجلاء عن مكانه وجلاه في معرض العجز على سلطانه حتى اجمع على النهوض عن جرجان تاركا للحين بالضمان وعارضا الملك على خطر العماد فكان مثله كما قيل ولي وتركي تهاله لرهين وفتحي بكفى زندا شحاحا كتارك بيضها بالعراء وملبسة بيض اخرى جناحا فقصد عنها قاصدا قصد نيسابور في جماهير اصحابه ممن ضرستهم وقائع الحروب وحنكتهم قوارع الخطوب وكوتهم صروف الايام بمياسمها ووادعتهم احداث الليالي بمناسمها وانفذ علي بن ابي القاسم المعروف بالفقيه على مقدمته الى اسفراين وبها بعض قواد بكتوزون فالتقيا هنالك على جومة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن والضرب وتداركت الامداد على ابي على القرب الخطية وبين صاحبه ففل عنه اصحاب بكتوزون منهزمين الى نيسابور وتواقفهم ابن جرح وكسر وقتل واسر وسار ابو القسم سير السحاب نحته ريح الجنوب حتى اناخ بظاهر نيسابور مستطيلا بشوكة رجاله وشكة ابطاله فارسل اليه بكتوزون يعلمه ان الحروب سجال وحسن الظن يعي فيها مجال وان من قرع باب البغي تعرضا للبلاء واستبدادا على سوء القضاء انما يصبر على الكفاح من لم يجد وجها للصلح والصلاح فاما من كان في فسحة من الراي ومندوحة من الاختيار فانه ينفس بنفسه عن التغرير بها في مباشرة القتال ومساورة الابطال ومخاطرة الاهوال وان الراي له ان يتحول الى قهستان لينحرف له من الهيبة للحرب ولاية هراة معها رعاية لحق خدمته وقديمته واحمته فضربه ابو القاسم باذن مستكة عن الانصاح منسدة عن

الصلاح وحمله الجد الى تعباله ورجاله على التحكم والتسحب والتمنع والتعصب واهاب بعسكره الى الحرب فاصطحبوا على مقاساة الطعان والضراب ومعاناة الجراب بيض الصفاح وزرق الحراب واهلين عن مصرع النكر وان بمطلع النجح والظفر وعبا بكتوزون رجال القتال واشبال الاتراك في مائين من اظلتهم رايته من قواد الامير ابي الحارث وانصاره والمعتصمين بلته شعاره فالتقوا قبالة قرية تدعى بستنحة بظاهر نيسابور واجتلى ابو القسم منهم نجوما رجوما ولاقت كارته الحقاق قروما فاستكت الحرب بينهم نحبا بالمناصل وجرا بالمغاول وخزا باطراف العوامل واستعل اصحاب ابي القسم فيهم كالنار زحفت تارة العرفج او يبيس العرفج ضربا هبوا وطعنا نترا حلسا ورميا سعرا وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طردا ودحرا وقهرا حتى اذا ظنوا ان قد تولى دم الهزيمة تلافى جثتهم عن خوافي العنيمة صكر بكتوزون قلب ابي القسم بحملة ازلقتهم عن المقام واعجلتهم للانهزام فاعقبوا نخلوا وليس مفلولين تقودهم الجبل ويسوقهم الخوف والوجل وتبهرى منعرهم على ابي القاسم الفقيه اجل وكان ابي على في ايامه بمشهور رايه ودهابه ومذكور غنائه ومضائه وعلى علته من قواده ووجوه بمواده وفر ابو القسم في شلال عسكره هائما على وجهه حتى امتلك به الوجيف الى قهستان وذلك في شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وكتب بكتوزون الى بخارى بنذر الفتح وما يسره الله من عسير النجح فسر الجمهور واثلج الصدور وما خلا فائقا فانه اغتم واهتم وكاد ان يعهد الماتم لما تم وسار ابو القاسم بعد ارتياشه وانتعاشه الى بوشنج متحكما في اموالها واعمالها وناهضه بكتوزون لانتزاعها من يده وتوسط السفراء بينهما على وصلة انعقدت بينهما ورهنه ابو القاسم ابنه المعروف بابي سهل فارتفع بينهما الخلاف وحصل الاتفاق والايتلاف وعاد ابو القسم الى قهستان وكر بكتوزون الى نيسابور

هذه السنة وجرت بين فائق وبين ابي المظفر محمد بن ابراهيم ملاحاة في تدبير
الاعمال والاموال فارصد له بالسوء وقصده بالمكروه من اكثر الوجوه
فلاذ بابي الحارث من قصده واستجاره على نفسه فآواه وداراه وادرّ عليه
مباره وآتاه فايس فائق من تمكينه منه وايثاره به فجبهه بالزجر واغلظ له
في القول فخرج من مجلسه على حفيظة شديدة بانقطاع الى ابي
الامال بكفالة الملك حتى سفر بينهما مشايخ بخارى فتفاديا بنقاء
رايه واستماحوا الامير ابا الحارث حسن عفوه واغضائه وسُيّر ابو المظفر
الى ناحية الجوزجان وشغل مكانه بابي القاسم البرمكي فصدقت فراسة
المعروف بالمضراب الشاعر القومسي حيث يقول

وكنا زمانا نذم الزمان ونرثي الوزارة بالبلعمي ... فاخرنا الدهر حتى نسيء البلعمي الى البرمكي
وسوف تؤول على ما اراه منه قريبا الى البرمكي

وكان ابو القاسم هذا موسوما
بالفضل الا ان اغلب الصفات عليه صفة البخل وحين ولي الوزارة
ناقش اولياء ذلك الباب في اعطياتهم الواجبة وجراياتهم الراتبة
وعارض اطماعهم في خاصته بزنابير مجاج ووجه على الرد وقاح فلم
يرعهم الا دبابيس لا تزال تنهشهم فتاله وتربص عطاياه او صلاته ولقد
احسن من قال

يقول لي حبيب في تربه خبر ولو تمس بابي ح عبد الاجبال
لدا الذي سيل الصفا من ذهب والكاس يا قوته ما ساد من بخلا

واستنزل الامير سيف الدولة اخاه اسمعيل من قلعة غزنة على امان
بذله وضمان احمله وتسلم منه مفاتيح الخزائن ولحاظ بروابا الاعلاق
والدفائن وجبر له كسر حاله واعاد اليه دون ما به رجاله وتحرز عن تبعة اسف
والكفاه من جماته وتحول الى بلخ في عامة اوليائه وانصاره وخلف
انتظم له ما انتشر لعلانيته واستقر عليه ما سعى في الافه تعجبت
شعاب بلخ وضواحيها بطبقات رجاله وعلامات الاعلام من اتباله

كتب الى الامير ابي الحارث يذكر اقباله وحبّه فضل الشغل كان باخيه عن بابه
وانه قائم مقام ابيه في المحاماة على الدولة والنضال عن الجملة والقيام
على حقوق ما تعرّفه من بركة اصطناع الرضى واصطفائه وتقلّبه على
نعماء حشمه واوليائه بان رسل اليه ابا الحسن العلوي الرضي الهمداني
تبنيه بمقلته واظهار اليمن بموطئ قدمه وعقد له على بلخ والترمذ وما
والاهما وحرّيا بهراة فاجمعا ودافعاها وتلطف في الاعتذار اليه من امر
نيسابور حرصا على ترضيه وكراهة لحرف تشذور الا لعلة تقتضيه نعلم
الامير سيف الدولة ان تلك المناقشة صادرة عن تمويه الحساد وتلبيس
المناوئين والاضداد الخف ليس له علاج وصلاة التحبب بغير زاجة البر
خلاج فارسل الى الامير ابي الحارث ثقته الجموي بعلك يا يحن بما يبخ
النفوس ويضيق عن تذبرها رحب الصدور ورسم ان يحجب سمعه عن تغرب
المضربين وتسرب المتربين ويتلطف لاستخلاص سيرقله واستصفا جملته
لترتفع الحشمة وتتاكد العصمة وتستحكم الثقة بان يجمعه بحرصا تخص اصبان
على موالاته وتلبثر امور ولاياته فلما ورد بخارى اعرض عما وجه فيه
وعرضت الوزارة عليه لموافقة مرزجه خطوصدرها عمن يستقل بامرها

وكان مثله كما قيل خلت الديار فسدت غير مسود ... ومن الشقا تفردي بالسودد

واشتغل بالوزارة عن جهة السفارة واقبل على الامر بوجه المجد المستبلي بريد
ان يثبت عليه الدهر وكما ان نام عليه الجمر ... ولن يصلح العطار ما افسد الدهر

وكنا نذم الدهر من غير خبرة ... بيوسفه والبلعمي وغيره
الى ان رمانا بالغفاري بذلهم وعاندنا في عيبه وتعيبه
ربما قدحنا بابن عيسى وجوره ... وفي الدواني زلت الخيب وسيره فلم نرض بالمقفع فيهم بالفا
بكل كسير في الورى وعويره

ولما احس الامير سيف الدولة بصورة
الحال في تناقض الاراء وتخاذل التدابير والانتواء واشراف الملك على الضياع

بمكاتبة النصحاء واغتنامهم صلاح انفسهم في وجوه المقاصب والانحياز
الى نيسابور على ما كان عليه من جماهير اوليائه ومواليه وحين همّ كمدون
باقباله تزحزح عن نيسابور قصيًّا ابقاءً على عدّته وعتاده رجاله واجناده
وكتب الى الامير ابي الحارث يقصر له عن مكانه اخلالًا بالوثيقة ومحاماة على
الحقيقة واحترازًا من غرّة اللقاء قبل اختبار العزمة والراي فحملته سكرة
الجلالة ونزقة الصبى والغرارة وقلة النظر في العواقب وعدم الحظ من
التجارب على الجعل الى جرجان بين انهضه الامكان لمسابقته
من وجوه خاصته وسائر حاشيته وسار المترجز كالسهم صادرًا عن وتره
والسيل صائرًا الى منحدره فعلم الامير سيف الدولة ان تصدّيه اياه من نتائج
التغرير وفائل الراي والتدبير ومهانة الناصح والمشير اذ لم يرح منّة
القوم مقاواته على شك باسه وملاقاته على قوة مراسه اذ لو قلتهم
ببعض نجومه لغادرهم رمادًا تذروه العواصف وتقتسمه الشمائل والجنائب
لكنه راى ان يغضي جفن الاحترام ويتجافى عن الاجسام ويرعى سابق الحق والذمام
فخالف طريقه الحسنة والروح مفرجًا له عن نيسابور الى ان يتمكن من
ارتجاعها ببينة تشترك في معرفتها القاصية والدانية ويحتج على
مناويه ومخالفيه بتنشرها الحاضرة والبادية وعطف الى قنطرة زاغول
مخيمًا بها مراعيًا لما يسفر عنه التدابير وينكشف عن حقيقته الضمير
بل تورّدون الى مناخ الامير ابي الحارث وهنالك ما يوج قضّه وقضيضه ولفّه
ولفيفه فلما وصل اليه الاكحلة الدنية لتقصير في حق مقدمته فجاه عليه
وشكا الى فائق ما انكره فشكا اليه فوق ما ذكر وتلك ولا انسما ذكر معايبه
وتقاوله خشونة جانبه وحزونة اخلاقه وضرائبه واغريا اهل العسكر بخلعه
والتماس الراحة في الاستبدال به فابتدرا معًا في حين المساعدة حرصًا
على لذة الاستطراف واغتنامًا لنهزة الاستضعاف واستحضره كثورون

بعلة تنورون اجتماع العسكر ثم اخرج الى نظره فيه واشارته الى وجه
الصواب في تلافيه حتى اذا حضر وكان به من سمل بصره عن او الحيعته
بلا بحق بصيرته احسن ما كان من اجمال عمود اعتدال وطلعة هلال في روعة
عزة وجلال ولقد جمش اليه عبد الاستسلام بحاج له تلاف تخفاف المونة
عليه منها صيانة من قامت عنه عن خل المناظرة على مال المصادرة فكان له
خلاف حاجته ونقيض مسالته الهابًا لنار الحسرة في صدره ومضاعفة لثقل
المحنة على ظهره فعل المغيّر بما لا شوى له ولا بقيا معه وعملهم وفا من الى
اخيه عبد الملك بن نوح وهو اصغر منه سنًّا واضعف ركنًا فاقاماه مقامه
وسدّا به مكانه وماج الناس بعضهم في بعض للفتنة الشاغرة والاهوال
المتنافرة ونهد الناس بالامير سيف الدولة فلحقتهم بقنطرة زاغول فكرّوا
على ادبارهم كاليعافير الراعية راعتها الفوارس واحاطت بها الكلاب
النواهس حتى اخذ اقرارهم بمرو وارسل الامير سيف الدولة الى الكافلين
بالتدبير يحرز اليهما ما ارتكباه في ولي النعمة من احالة الحشمة واضاعة
الحق والحرمة غير ناظرين للدين ولا متحرجين للاسلام والمسلمين ولا
متهيّبين للاحدوثة الشنعا على السنة الذاكرين من ملوك دهر الداهرين
وامتلكت المراجعة بينهم في الحادث الكارث وهما مختلانه عن انتهاز الفرصة
واهتبال الغرة منها تطميعًا لعصاحيهما في جلباب الرعاية ومنزلة الولاية
وكلماهم بالاحجام على وجه الاحترام طالبتهم سماحة الجلباب قدام وحرضته
على الانتقام للدين والاسلام ثم راى ان يزحف عن مناخه الظاهر مرو لكي
لطافة الصلح وجاها او سفاهة السيف شفاها ولما تسامع القوم باقباله دبّ
الفشل في تضاعيف احشائهم وسرى الوهل في تفاريق اعضائهم واستطار الخوف
في مزاج دمائهم ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا
ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فابى الله الا ان ينتقم منهم بسيف

الدولة جزاءً عن فعلهم الفظيع وخطبهم وسعيهم المذموم عند الجميع فصبّه عليهم
عز اليهم الخشية بغو المبتزين عنبرانه غيث قطر عيث وغيم حشوه صيّم
وسحاب حمله عذاب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه
اليم شديد وبرز فايق يكتوزون معه واجهم عبد الملك بن نوح وسائر اهل العسكر
الى ظاهر مرو مقابلين لعسكر الامير سيف الدولة اهل العسكر يعلنان
جلادة ويسران بلادة وقلب ما ظاهر العيون وحماز حيفه الحرب الزبون
تضايقت عليهم الارض بما رحبت فخيوب الاقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان
عليهم مجرورة وبوارح الادبار وجوايح الدمار من كل اوب وصوب
اليهم محشورة وظل القوم يلعبون على النار وبينما يتون تهافت
الفراش في النار ويقتلون الانصار يسبون الانصار كما قال الله تعالى يخربون
بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار وتردد السفرا
بينهم وبين الامير سيف الدولة في مواضعته على سلم يسلمون معها في العاجل
من سطوة بأسه ويفتدون بها من مرارة كاسه فاحسن الامير سيف الدولة
اجابتهم الى مواضعتهم على علمه باستبطانهما للختل والحيلة واستشعارهما
للغدر والخديعة ازلما للحجة وطمسا على الشبهة واعذارا الى الكافة
وبراءة عن خطة البغي في دفع المكافة فما كان الا ان تقوضت للرحيل خيامه ونهض
للقفول اعلامه حتى ثار اوباش القوم على اثره لانتهاب عسكره يظنون
بانفسهم الظنون وانما يتجاوزون المنون ويسومون اخذ نايب الاراقم لو كانوا
يشعرون ولما راى الامير سيف الدولة ركوبهم مقطعة الضلال واقتحامهم
مشرعة الاجال متلفتين خيوط الرقاب بالحرص الغالب والطمع الكاذب
يثنيهم حلما وهم عن السفه والتخبط ولا يحميهم كبراوهم عن التهور والتورط
علما ان ذلك امر يراد وحال طلع البغي والعناد وايقن ان سيرهم بالفساد
مغمور ومصاع وان السفينة اذا لم ترسه مامور وامر بالثاير من جانب التيم من

حواشي الجيوش من طبقوهم بالبيض والبيض واضحوهم الامر شا الله على صعيد
من الارض واستخار الله في الكر على بغاة السوء حاثهم اياهم الى البيض القواطع
ومنيلا بينات الرماح الشوارع ومنهلا على الانتصاف منهم بشهادات
السيوف والحوامي واقبل فرتب الجيوش قلبا وجناحين وميمنة لوتوي وميسرة كانها
وحصن المصاف بسرها ماتين من فيلة كزعن الجبال او ركن السحاب الثقال
منشاة بتجافيف لم تحرز منها غير حدق النواظر وحد انياب الفواتر
تعول ساستها عليها بمرهفات كالبروق الخواطف صفا وراكالرعود القواصف
وتلبث عليها التماثيل السود كانها والسود تحت اطراب الرياح فيها انها ترجف
اجسام السراجل بها وبها شياطين الانس فرسانا وعفاريت الهند والترك فرادا
وشيئا نا تيص عليهم سابغات كصفائح الما تجلوها الشمس سافرة وزنزها
الشمال سائرة قد جعلوا الدروع وقاية للاجسام وظاهروا عليها بالقلوب حرصا
على الاقدام فهم يأنسون بمباشرة القتال ومساورة الابطال واستشارة المنايا
عن مرابض الاجال انس العيون بانا سيما الباصرة والقلوب بما بينها الحاضرة
ووقف الامير سيف الدولة في القلب بنفسه واخويه نصر واسماعيل ابني ناصر
الدين سبكتكين وعمه بغراجق كما عناه ابو فراس بقوله

علونا دوشنا باشد منه ... واثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ... ظننت البر بحرا من سلاح
والسنة من العذبات حمر ... تخاطبنا بافواه الرماح
واروع جيشه ليل بهيم ... وغرة وجهه عمود الصباح
صفوح عند قدرته كريم ... قليل الصفح ما بين الصفاح
فكان ثباته للقلب قلبا ... وهيبته جناحا للجناح

وزحف بهم نحو الخصوم على هيبة وافر وهيبة حازم وكادت الارض تمور والجبال
تثور والنهار الباهر يحول والفلك الدائر يزول ولو ثبت القوم باقل حنه داقبال
الوية واعلامه فقامت عليهم القيامة واستفاضت فيهم الحسرة والندامة
واقبل بعضهم على بعض يتلاومون على ما ارتكبوه من الغدر واجتلبوه من الضلال
الا دحقرهم حافر الضرورة عن المشورة ففزعوا الى الاحتشاد ولجئوا الى الزروب

إلى الفرائد والأفراد وبرزوا من جدران المدينة في أفواف وأصباغ يوم
الزينة وهم أكثر مما كان تواقط في معركة لحشرهم من أطراف خراسان
وما وراء النهر كل فارس وراجل وبطل باسل وشجاع مقاتل فأقاموا الصفوف
على الموازاة قلبًا كمجتمع الليل وميمنة كمندفع السيل وميسرة مشحونة بأشاهب
الخيل وماج الفريقان بعضهم في بعض كالجراد المنتشر ضربًا يزيل الرؤوس
عن العواتق وطعنًا ينزل الزرد عن المرافق وطعنًا يهتك ودائع الصدور ويرد
مشارع الهموم والسرور ورشقًا يصيب شواكل ويطلب وراء الفقار مضطجع
القرار واشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه وتغضنت الجباه وتقطعت الأنفاس
وتحيرت الفرسان والأفراس واغبرت الآفاق واحمرت الحمالق والأحداق
وخاض الأمير سيف الدولة غمرة الحرب يختطف بالأرهاف مطالع الأعناق
ويختطف بالرماح ودائع الأرواح وينقض بالأسنان مجامع الأكتاف حتى
رويت الأرض من نجيع الحلوق وعرفت الجوارح في نواعر العروق ودامت
على حالها في الاختلاط والاضطراب والافتراس بأنياب الحمام من حيث
استقلت الشمس إكليلًا على الجبل الأخضر تفضضت ورسا على الأصيل واضطر
القوم فجأة من حز المناصل رضعًا بوخز العوالي والعوامل إلى أن انجلت
كشفت عنهم غمة القتال بفصل الأدبار وإذا الإقبال فطرحوا الميمنة على
الميسرة وهم يصورون أن ذلك ظنونًا ويخطبون من بنات الأماني أبكارًا
وعونًا وأبى الله إلا أن يعكس عليهم ما ظنوه ويحيق بهم وبال ما سنوه حين
ركبوا من ولي النعمة ما ركبوه إخفارًا للذمة وإنكارًا للحرمة وإذالة للحشمة
وإضاعة لحق نعمته وأمر الأمير سيف الدولة أن يزحف الفيل بسواد موقفه
فلم يكن إلا صدمة واحدة حتى زلت الأقدام عن مقارها وتهاوت الرقاب
عن جرارها وجعلت تتساقط أشخاص الألوية والمطارد وتشرد النفوس
عن ضرب السيوف البوارد واستمرت الهزيمة بالظلمة عند اعتكار

الظلام فطاروا وأبنا لا قطار كل مطار وسيقت بهم سافية الكمال والإدبار
فلم يلتق منهم بعدها اثنان عند تنازل الأقران وتناوب الضراب والطعان
ذلك ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل الله بالظالمين وتحصل عبد الملك بن نوح
إلى بخارى ومعه فائق في أتباعه وانثنى بكتوزون إلى نيسابور في أشياعه
وأبو القاسم بن سيمجور إلى قهستان تخلصًا واحرز منزل وعاني وار

وصف التفرق

شذ وملك وأصبح سيف الدولة قد أنجز الله له وعده ونصر جنده وجده وأسعد
على رغم الراغمين جده وأعلى يده وأورى زنده وساق إليه ملك
على غير مهر سوى الشكر ولا صداق سوى استحقاق ووراثة دولة آل
سامان وملك ديار خراسان سنة تسع وثمانين وثلثمائة ورأى أن يجعل بكتوزون
وأبا القاسم السيمجوري عن التجمع ثانيًا والتحلب للالتقاء آنفًا فانحدر إلى
طوس في البحر الأخضر من رجاله وأوليائه وطار بكتوزون بجناح الهرب إلى
جرجان وقفى السلطان على أثره بأرسلان الجاذب فجعل يطرده
طرد الشهب أشخاص العفاريت حتى نفاه عن تخوم خراسان وولاه السلطان
ناحية طوس ورتبه بها فيمن ضم إليه من جراحه وسار إلى هراة مطالعًا أعماله
ومجددًا للعهد بأحواله فلم ينشب بكتوزون حين سمع بانثناء عنانه إليها أن
كر إلى نيسابور فملكها ثانيًا يرى أنه ينال عز دولة تلك جماحها وانفضت
أيامها وناحت عليها أصداؤها وهامها فلم يرد على أن جشم السلطان
كلفة الكر عليه فلم يطمئن به نعله أو جفت على طرقه لبدته فجفل
عن نيسابور على سمت أبيورد منقيًا بالنجاء على الحياة ومستظهرًا بالنجاء على
النجاة وخلص إلى مرو فيمن أعاشهم فراهة المراكب وقوة الصبر على وعثاء
تلك المهارب ورام أن يتملكها ويتحجز بها فمانعه أهلها موالاة للسلطان
وشكرًا لما أوسعهم من العدل والإحسان فشن عليهم غارة شعواء وخبطهم بالسيوف
خبط عشواء وركب مفازة آمل حتى عبر النهر إلى بخارى ولما خلت خراسان

من بكتوزون واصحابه سرب السلطان ارسلان الجاذب والي طوس
الى قهستان لينفضها عن ابي القاسم بن سيمجور اذ كان يظن الظنون
في تدبيره ويطمع في الارتياش بجبيره قوادمه بها وطرده الى نواحي
طبس عنها وولى السلطان اخاه الامير نصر بن ناصر الدين قيادة الجيوش
بخراسان ورتبه بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور على قديم الزمان
وامتد الى بلخ مستقر ابيه ناصر الدين فاتخذها حضرة الملك ودار
السلام ولما انتهى السلطان الى بعض حدود مرو الروذ منصرفه
اليها ركب على رسم التصيد في خف من العدد ومعه اخوه اسمعيل
بن ناصر الدين وقائد من قواد ابيه يعرف بنوشتكين كاج تلو (?) وتيره
احساسه ما آل امره على يده لا غير اذ كان كاجب رنقاية (?) في الاشابة (?)
والاطلاق والاحسان والارفاق فبينا السلطان في شرو الاقتناص اذ
جانت منه التفاتة فاذا به قابضا على قبيعة سيفه يروم انتضاءه
وتدرى بطرفه وجه اسمعيل يطلب ايماءه فالح للسلطان انكار اسمعيل
عليه بدلائل رمزه وايماضه وشواهد ارتياعه وانتحاضه غير ان
استشارته بتماجناه قد فرشت له بساط التهمة وجرحت منه جارحة
الثقة وبادر السلطان الى مضربه وتقدم بالاحاطة على خواص
غلمانه فاخذته السيوف حتى تطايرت اعضاؤه وتناثرت عليه
اوصاله واجزاؤه ثم دعى اسمعيل فاخلى بعذره وحل العلم بما ابداه
الخاين من خبايا سره وجرت فصول ومراسلات اقتضاه آخرها
ان يستوثق منه لنفسه وملكه اذ كان لا يلتقى سيفان في غمد ولا يجتمع
فحلان في شول وبلغني بلسان الاستدراج عند حيث لسقاة عما كان
ينويه في معاملته لو ملك امره وما ملكه من منه فحملته سلامة صدره ونشوة
خمره على ان قال كان رأيي ان نيل (?) ان اوعز بك الى بعض القلاع موسعا

من معاملته اياه

اوعز اليه تقدم اليه وامر به

وجواد

عليك فيما تقترحه من دار وغلمة وجوار ورتب على قدر الكفاية دار رقاب (?)
السلطان لكتبت ما استضمنت من الحلى والزى في هذا الرق تكتب بخط
السلطان وكان معه ذلك المكتوب حتى نزل باسمعيل القدر المعترب فلما ارتاب (?)
السلطان عند الحادثة به ابرز الخط من الجاب (?) وامر بعض الحجاب عاملة
بغير ما نواه وقابله بجنس ما ابداه واستودعه والى الجوزجان لبا الحارث
ممكنا مما يشتهيه متمتعا بمثل ما كان ينويه فلله هذه الفعال التي طرزت
ديباجة الكرم وغبرت في مساعي ملوك الامم وقلت يستغرب هذا الاسجاح من وجه
ولن كان لا يستبدع من آخر ان هناك عاطفة القربى والرحم ولكن الشأن
في الاجانب الذين يعلقون بايديهم الاجرام الفادحة والجنايات الفاحشة كيف
يتسلط نسيم رايه على هواه ويستبقي الجاني بما جناه فلم يسمع باعف منه في
الجنايات اسفا ولا احسن على ثورة الزلل صبرا وانهج لهذه الخصلة الفاضلة
بان الملك الحازم يستلب الجاني في حال سخطه ما يمكنه الرجال (?) يعطيه او يمثله
عند رضاه وجرح المال يوسى بالتعويض والاخلاف واما النفوس فلا ارتداد لها بالاف (?)

ذكر الخلع التي افاضها القادر بالله امير المؤمنين على السلطان

اوجب القادر بالله امير المؤمنين له خلعا لم يسمع بمثلها محمولة من دار الخلافة
ولقبه في كتابه بيمين الدولة وامين الملة لقبا كان مصونا في صدف الشرف
لم ينله قط احد من الغاشية على كثرة الطلاب وتنافس الملوك في الالقاب فتبوأ
سرير الملك واجتاب خلعة الحلى واذاع شعار الطاعة لامير المؤمنين وخليفة
رسول رب العالمين وقام بين يديه امراء خراسان سماطين مقيمين رسم الخدمة
وملتزمين حكم الهيبة ولجلسهم بعد الاذن العام على مجلس الانس وامر لكل منهم
ولساير غلمانه وخواصه ووجوه اوليائه وحاشيته بخلع سجاتيه يومه روايع الخلع
والصلات ونفايس الاجنبية والكرامات بما لم يتسع لمثله ملك ولم يف بعشره
ضمير لعز واستجابت خراسان لامره ودعوته واستكانت لعزته وفرعت

مناابرها بكرة واتسقت الامور عن آخرها في كنف ايالته واستوسقت الاعمال في ضمن كفالته وفرض على نفسه في كل عام غزوة في الهند ينصر بها الدين ويقمع اعداء الله الملحدين فكتب الله له اجره واحسن نصره كذلك قال الله تعالى في محكم كتابه يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم

ذكر انصراف عبد الملك بن نوح الى بخارى عمرها الله

ولما وصل عبد الملك بن نوح الى بخارى في الفل معه فايق وبكتوزون في اصحابه واولياء عبد الملك في مضامته طمعوا ابتغاء الاستقلال وتكهنوا لانفسهم بطالع الاقبال وتحدثوا بالاحتشاد لانف القتال واخترم من بينهم فايق في شعبان سنة تسع وثمانين وثلثمائة وهو وجه الرزمة وطراز الحلة وعين الجملة والملقب بعميد الدولة فتمكن الانخزال من صدورهم وسرى الانحلال في امورهم وانحدر ايلك الخان الى بخارى يظهر لعبد الملك وسائر انجاده واجناده موالاة خلابة واحتيالا ومماللة استدراجا واغتيالا وهم يظنون استظهارا على ما عراهم واحتياطا لما يشد عراهم مغرورين عن واجب الاستبصار والحذر ابن عن حبائل الموت حتى انتهى بلطائف مكره واقباله واطمعهم بزخارف اقواله وافعاله وركب اليه بكتوزون واينالتكين الفايقي وسائر قواد عبد الملك صباح يوم فلما اطمأن بهم المجلس امر باعتقالهم والقبض على اصحابهم ودوابهم واستلاب اسلحتهم واسبابهم فلم ينج منهم الا الفارد الشارد والناجز المبادر وبلغ الخبر عبد الملك فوجد عدته قليلة وقوته مستحيلة فلم يجد غير الاستخفاء حيلة ودخل ايلك بخارى يوم الثلاثاء وبث عليه عيون الطلب وطلائع الرغب والرهب حتى ظفر به فحمله الى اوزكند فمات بها وطفئت بقية الشعلة من دولة السامانية بما وراء النهر واطراف خراسان فصارت كأن لم تغن بالامس كدأب الدول الماضية في القرون السالفة ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون

ذكر خروج ابي ابراهيم اسماعيل بن نوح المنتصر المظفر ناصر الدين

كان سبب خروجه انه لما تمكن ايلك الخان من بخارى قبض على ابي الحارث المخلوع وعبد الملك وابي ابراهيم وابي يعقوب بني نوح بن منصور الرضي وعلى اعمامهم ابي زكريا وابي سليمان وابي صالح الغازي وغيرهم من الارومة السامانية وامر باعتقالهم ووسم افراد الحوة منهم في حجرة على حدة احتياطا لنفسه بتفريق ذات بينهم عن تمكنهم من اقتضاب الحيل واختلاق الاراجيف فاحتال ابو ابراهيم المنتصر للتملص من معتقله في زي جارية كانت تنتابهم لمطالعة احوالهم ومراعاة اقوات اوقاتهم فكانت حاله في الخلاص موافقة لحال الكميت حين استخفى بثياب طلته وانسل عن عمل الاعتقال بمهجته ثم انشا يقول

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل ... على الرغم من تلك النوابح والمشلي
على ثياب الغانيات وتحتها ... صريمة راي اشبهت سلة النصل

واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من اهل بخارى الى ان ايس منه الطلب ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب بل الشهاب الثاقب متجردا للاستعادة مستعينا بالله على درك الثار وتلافي من تلف وعار وانجذب اليه بقايا القواد والاجناد السامانية من اطراف خراسان حتى اجتمع شمله وكثف خيله ورجله وركض ارسلان بالو الحاجب الى بخارى فبيت الخانية بها تحت الملاحف وشغلهم بحقائق السيوف البوارق عن مجاز الاحلام الطوارق وقبض على جعفرتكين وعلى سبعة عشر نفسا من اعيان القواد الخانية وبعثهم في وثاق الاسر الى الجرجانية وانثلت البواقي بجريعة الاذقان نحو ايلك الخان فركب ارسلان اكتافهم يحثهم حث الشمال نزع الخريف حتى حطمهم الى حدود سمرقند وما يليها مقتفيا آثارهم وكاسحا ادبارهم ووافقه بقنطرة كوهك تكين خان في عسكر جرار نائبا عن ايلك الخان في حراسة سمرقند وما يليها فانتدب لمحاربته واستباح الغلاد وسائر اصحابه على مبارزته

فنصب لارسلان له وجها وتاجا واضرم عليه الارض كفاحا فولاه ظهر الادبار
واتقاه بجودة الفرار وغنم ارسلان ومن معه اموالهم ورموا بتلك الانفال
اجرالهم وعاد ابو ابراهيم المنتصر الى بخارى فاستبشر اهلها بمعاده على
مراده وبلغ ايلك خبره فجمع اجابيش الترك وصمد صمده بالعدد الدثر فكر
ارسلان بالو راجعا الى المنتصر واقتضاه الاحتياط عند ذلك العبور الى امل الشط
فوافاها وجباها وضاقت به بعسكره فركب المفازة على سمت ابيورد فملكها وسار
عنها قاصدا قصد نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين
فالتقيا على باب نيسابور ودارت عليهما رحى الحرب يفصلون بالبيض
البوارق ما بين الطلى والعواتق ويضربون مفارق الهام ضرب القدار نقيعة القدام
حتى اذا اشتدت وطاة الحرب على صحبها ومرت كاسها على شربها
وتكاثفت جموع ابي ابراهيم المنتصر على اصحاب صاحب الجيش ابي المظفر فتضامّ
الاحتياط ان يتحيزوا الى جانب هراة انتظارا للامداد واستشرافا لما عود
صنع الله في الغلب فركبوا ظهور الخيل تحت ذيول الليل حتى ثابت عليهم مثابة من
حدود البوزجان وتمكن المنتصر من نيسابور وانضم اليه من شذاذ العسكر الجمع
الكثير والجم الغفير وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره فاستشرف
خيله من غير ان تربض بعاره ليلة وسار سير الخبب يطوي الارض طي
السجل للكتب حتى انقض على نيسابور انقضاض نسور الهواء على بنات الماء وتحقق
تسامع المنتصر باقباله فتحدر الى اسفرايين في عامة رجاله وبث اصحابه
في رساتيق الجباية امرالها وازاحة اطماع حشمه بها فازعجه الطلب
فلجأ الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير مستصرخا اياه ومومّلا غوثه
وجدواه فتلقاه بكل ما تمناه ومهد له ذراه واعطاه حتى ارضاه وكان
مما امر بحمله اليه صفقة واحدة عشرون دابة بمراكب الذهب وثلثون
بمراكب الفضة وثلثون من العتاق الجياد بالبراقع والجلال وعشرون

بثلثة مراكب للذهب والفضة وثلثون اخرى مقودة بخمسين جملا موقرة
اجمالا واثقالا من البسط النادرة والفرش الفاخرة ومن جنس طبرستان
وساير الطرايف المجموعة في الخزاين بجرجان واضيف الى ذلك الف الف درهم
وثلثون الف دينار رومانية وخمسون تختا من الديابج التسترية والسقلاطونيات
العصلية والحلل الفخرية والخزوز الطاقية وساير الثياب المصرية وامر
لاهل عسكره بصلات [illegible] معونة لهم على عوارض حاجاتهم واشار على المنتصر
بقصد الري اذ كانت معرضة لقصادها بتخاذل اهوائها وتواكل اوليائها
واشتجار الفتن والحن بين الذايدين عن [illegible] على ان يمده بولديه دارا ومنوچهر
في جيوش الجيل والديلم ووجوه الاكراد والعرب ليستظهر باستخلاص تلك الولاية
وليكون ما يتوليه من معاودة خراسان عن ظهر الكفاية فقبل الاشارة وقدم الاستخارة
وسار حتى خيم بظاهر الري فاحس اهلها منه وفاتت البركة [illegible] كبدها
فاناخوا قبالة المنتصر ودس الكفلاء بتلك الدولة الى ارسلان بالو والى
القاسم بن سيمجور وغيرهما من اولياء المنتصر من اطمعهم في مال يحمل اليهم
سرا على ان يثنوا عنهم عنان المنتصر بوجه من وجوه اللطايف والحيل فخدعوا
ليستميلهم وطمعوا في تاميلهم ونصحوا للمنتصر بان قال مثلك ممن
يجله ملوك الشرق من آل سامان على جلالة اقدارهم ونفاسة اخطارهم
ليجل عن مناواة قوم يدعون فيك قرابة ويفترضون لك طاعة ومهابة
موالاة لمن غير النار [illegible] بالتعويل عليك ومغراه ان يحرش
الا [illegible] تلك النعمى ان تدرت وعليك الغرم ان عجزت فلفتوا المنتصر عن
رايه وزينوا له الملك بخراسان من وراثه فارتحل من باب الري يريد الدامغان
وانفرد ولدا شمس المعالي عنه عايدين الى جرجان فحين تم ذلك التدبير
وانحل عقد ذلك التقدير واذا اراد الله بقوم شرا فلا مرد له وما لهم من
دونه من وال وانثنى المنتصر طالبا الى نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر

نوزجان

فاسْتَعَق من زلة القدم كالتي وقبل من احتاط بالانحياز الى البوزجان ودخل
المنتصر نيسابور في شوال سنة احدى وتسعين وثلثمايه وبث عماله في جباية
الاموال ومطالبة من ظفر بهم من العمال واستمدّ صاحب الجيش السلطان
يمين الدولة وامين الملة فرسم للحاجب الكبير التونتاش والى امراء البلاد
اليه في معظم الجنود من شجعان الترك وشرعان الغزو حتى اذا استظهر بذوي
الغناء في حرق الهيجاء كرّ عايدًا الى نيسابور وتلقاهم المنتصر بسلان
بالو وابي نصر ابن محمود وابي القاسم السيمجوري فالتقوا على حرب تحطمت
فيها الصفاح المشهورة وتقصّدت الرماح المطرورة وعريت عندها
الكواكب المستورة ثم شاعت الهزيمة في السامانية فولوا على ادبارهم نفورا
وكان امر الله قدرًا مقدورا ودخل صاحب الجيش ابو المظفر نصر ابن
ناصر الدين سبكتكين نيسابور وقد زينت له كالبهجة على زوجها الكفي
واقيمت له النثارات كما تتهادى النجوم السايرة وتتهادى الثلوج المتناثرة
فركب المنتصر سمت ابيورد والطلب على اثره حتى وصل الى جرجان ولما
تسامع الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير بنباه رماه بزهاء الفين
من انجاد الاكراد فالجاوه الى الارتحال وايسوه من طلب المجال فكر على ادراجه
تايها في الغي وانما ترك الرأي بسبب الري وقد كان المنتصر يحقد على ارسلان
بالو تجنيه عليه واشتطاطه في المطالب بين يديه ومنازعته الرأي فيما
يتجوه ومراجعته القول في كل ما يفوه به فوه وانضاف الى ذلك اتهامه اياه
بالتخاذل في الحرب التي انهزم فيها عن وجه صاحب الجيش ابي المظفر نصر بن
ناصر الدين لمنافسته على ابي القاسم السيمجوري مكانته من اختصاصه
وايثاره وتغيرته على الشركة الواقعة في محله ومقداره فجملة ما احتسباه
من ايام الكرز على التشفي باراقة دمه والاستراحة الى استيصال زرجه
تفتك به فتكة انتكثت الاسلام وشفت نفسه من الداء العقام وجمع

اهل عسكره لانكار ما فعل واني لهم ذلك وقد سبق السيف العذل وقام ابو القاسم
علي بن محمد بن سيمجور مصانعا لهم عن المنتصر حتى حمل النفاق بهم وسكن
هيجهم واضطراب بهم وتوامروا بينهم على قصد سرخس للاستظهار بزعيم اهلها
المعروف بكان ابوه بالفقيه اذ كان قد رغب المنتصر في اسعاده وانجاده
وايثاره بعدته وعتاده فركبوا المسافة اليها على طريق ابيورد حتى وردوها
وجبوا اماليها وارتاشوا بما سنح لهم الزعيم بها وحين علم صاحب الجيش اجتماعهم
على مضغ الاباطيل بينهم دلف اليهم في سراة الكماة لطردهم عن ربقة الطمع
وازعاجهم عن حضانة الامل ووصل السير بالسرى حتى اشرف على سرخس
في الهيئة المشهورة والعيبة الموفورة وبرز المنتصر الى ظاهرها فخيم بازائه
واستعد للقائه وتحاشيا للقتال واستل ميمع العوامن قرع الجندل
وروّيت صدور المواضي من موارد الوريد وبلغ كل من الفريقين غاية الامكان
في منازلة الاقران ومناوشة الطعان بجاحشة عن خيوط الرقاب وتفاديا
عن سوء الذكر على تناسخ الاحقاب غير ان قضاء الله اغلب وامره انفذ وله الحكم
في تبديل الابدال وتصريف الاحوال ونقل الاملاك من ال والي ال وهبت لصاحب
الجيش ابي المظفر قبول الاقبال فتمزق مصف المنتصر عن هزيمة عوابس الوجوه
وجرحى بانياب المكروه ولم ينشب صاحب الجيش ان اتاه بعض العرب بابي القاسم
علي بن محمد بن سيمجور في قلادة من الوهق على بقية من الرمق واردف بتونتاش
الحاجب وكان سراة المنتصر جلدة ما بين العين والحاجب وانتقضت حبالة المنتصر
على معظم ذلك العسكر فحملوا الى غزنة في الاصفاد مقرنين وسار المنتصر
وراء غير اعتساف المسالك وركاب المهالك على جملة لا يتمنى فيها المملوك عن
المالك وقفل صاحب الجيش ابو المظفر وقد اعلى الله كعبه ورفع قدره واطعمه
نصره واطار بين الخافقين ذكره وانشد في ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي
لنفسه فيه بذكر ما اتيح له من هذا الفتح الرايع منظره الشايع في الافاق خبره

بلسان المعتذر صح

وصف القرب

الضراب صح

نسخة

ومن
تبلجت الايام عن غرة الدهر وجلت بامر النبي قاصمة الظهر
ودولة بنو الاحداث باداربارهم وقد تحكم فيهم صاحب الجيش بالقهر
وتنجحا نصر الله والفتح مقبلا الى الملك المنصور سيدنا نصر
غياث الورى شمس الزمان وبدره ومن هو بالعليا اولى اولي الامر
فيا لك من فتح غدا زينة العلى وواسطة الدنيا وفائدة العصر
ابى الله الا نصر نصر ورفعه على قمة العيوق او هامة البدر
وملكه صدر السرير كانه لنا فلك بالخير او ضده يجري
وخوله دون الملوك محاسنا تبر على الشمس المنيرة والقطر
اذا ذكرت فاح النديّ بذكرها كما فاح اذكى الند في وهج الجمر
فتى السن كهل العلم والراي والحجى يعيي الامال بالنائل الغمر
له همة لم حسبت علوها حسبت الثريا في الثرى ابدا تسري
غدا راعيا للمسلمين وناصرا له الله راع قد تكفل بالنصر
الا ايها الملك الذي ترك العدى عباديد بين القتل والكسر والاسر
قدمت قدوم الغيث ايمن مقدم فجليت وجه الدهر بالحسن والبشر
الست ترى كتب الربيع ورسله يقولون هذا الربيع على الاثر
نسيم تسبب للحيوة بلطفه تجر فوق الارض اردية العطر
وترب بانفاس الربيع معنبر فيا لك طيبا وبالكرم نشر
وغيم يحاكي راحتيك كانه على المسك والكافور يهطل بالخمر
فروح بشرب الراح روح رانها لفي تعب من وقعة البيض والسمر
وحيي لاحيتنا الملك في اكمل المنى وفي ارفع العليا وفي اطول العمر

وانشد سعد ابن ابي سعد بن دوست لنفسه فيه للامير المظفر الكامل العادل الحيا ابي المظفر نصر
كرم في شجاعة وسخاء في وفاء ودولة مع نصر
ومعال الوزراء اليها تحت نصر بوم فخر اغنيت على تحت نصر
فبه نقطع الخطوب ونفري وبه ندفع الكروب ونصري
وانتبذ الركض بالمنتصر الى محال الاتراك

الغزنية ولهم صغو الى الدولة السامانية فاختلقتهم الملتئمة من خذلانه وحركتهم
الحمية لعونه على شانه وتذاكروا انهم شرف آل سامان وما تعرفوه قديما من
بركات ذلك البيت لقلبهم والشرف العميم وسار بهم مصعدا حتى لحق ببلد الك
الخان وذلك في شوال سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وعندها دلف ايلك الخان للانتصار
من المنتصر في جيوش الترك يستعر في طلب الثار استعار النار حتى اناخ بحدود
سمرقند فتبادرت الغزية بانتدابه وتوامروا انهم على بياته فتحمو للركض عليه
فثنوا الخيل تحت الليل حتى كادت تنقش الارض بوطء اثقالها ولا تشعر النجوم
باشخاص الوتها واغلامها حتى اوقعوا به وانتهبوا اجل سواده وتبعوا اعلى
جلة قواده وانقلبوا بما غنموا الى اوطانهم عند حصول الغنيمة فاستاثروا واعلت
المنتصر المشرى طحا في الغنيمة ثم بلغ المنتصر تنازعهم الامر بينهم في موالاتهم
ايلك عليه وانراجهم عن الاسر تقربا اليه فرابه ذلك من اثرهم ريبة لم يتاخر
الارض معها بقرار ولم يكتحل عينه عندها بغرار فاختار من جريدته ثمانية
سبعمائة رجل ركبانا ورجالا خفافا واثقالا وطاف على المعابر فاذا النهر جامد
وامر الشط في البعد منه ففرشوا النهر بانبان الارز حتى امكنهم من العبور وتبعه
الطلب فمنعهم خطر المعبر من طلب المنتصر وارسل عند قراره بامل رسولا
الى السلطان يمين الدولة وامين الملة يذكره بحقوق سلفه عليه واشتهك اكرم
الامر في انثيال العداة اليه وانه له يخشى رتبة في طاعة له واخلاصا في هواه
واظهر الانقطاع الى كنفه تبولو واشباله والانتقال الى معونته بماله ورجاله
وامتلم من امل الشط الى سواد مرو واحتراسا من معرة الترك في العبور على
الاطراف والقلك وارسل الى ابي جعفر المعروف بخواهر زاده وكان ابوه
من جملة الزعماء رفعة الزمان في دولة آل سامان يستميحه المعونة بما يفضل
عن سعته به من مال وسلاح فرد الرسول على عقوبه الخيبة والارتياح بحلم
المنسانية ولم يرض بالرد حتى خرج اليه مقاتلا وبالجفا مقابلا فحمل اصحاب

المنتصر عليه حملة فرقت جمعه جملة وتسلك مسافة ابيورد حتى وافاها في
سنة اربع وتسعين وثلثمائة واوجب السلطان اكرام رسوله وتحقيق مأموله
ووصله بصدر من المال يجبر خلته وخاطب ابن خواهر زاده بخلعته و
مرضاته وترك الانحراف عن مراده فاضطره الامر الى طاعته وتقديم
الاعتلال من مخالفته حين شاعت معصية البخل عليه واستطارت شاجة اللوم
بحلته وقد كان ابو نصر محمد بن محمود الحاجب لما تسامع بقدوم راية المنتصر
مال الى صاحبه واظهر الانقطاع الى جانبه واقام له الخطبة بنسا
مظهرا طاعته ومستنهدا في نصرته جهده واستطاعته ولما احس اهل
نسا برأي ابي نصر في اتباع راية الخلاف اشفقوا على نفوسهم من عاقبة الايهام
بموالاته والاشتراك في جناياته وكاتبوا خوارزمشاه مستمد بن علي فانهض
ابا الفضل الحاجب احد اعيان ذلك الباب الرفيع لازالة شره وكفاية
امره ومال ابن محمود الى المنتصر فتضافرت العدة وتوافرت العدد وصمدوا
الى الخبوشان من رستاق استوا وناهضهم ابو الفضل في رجال خوارزمشاه فالتقى الفقادم
على الحرب بموكب من النجوم الثواقب حيث لا يدري الضارب مضروبه ولا يبصر الراكب
مركوبه واختلط الفارس بالراجل والدارس بالنابل وتضاربوا ما بين الشوى والمقاتل
وتصافع شمرا الفريقين الى ان صاح الليل صباحه ونفض النجم على الغرب شاجه فلم يشعر
احد بما جنته يد الظلام على كماة ذلك الجيش حتى استفاض ضوء النهار فاذا ابن
محمود قتيل وابن حسام الدولة ابي العباس تاش الحاجب صريع وتفرق الباقون عباديد
بين اقطار المهامه والبيد ووقع المنتصر الى اسفراين فلم ينوه اهلها حذر المحنة وخيفة
الهرج والفتنة فانثنى على ادراجه في شرذمة من اصحابه يقطع الارض طولا وعرضا
حتى انتهى الى بعض جبال سرخس واقام هنالك ريثما تلاحق به الفل وسار حتى عبر
النهر من ساحل قطنيان وبرنشخة بخارى في طلبه وشدوا عليه وجوه مهربه فركب
عزيمة الرجال في ثبات القوم وثبت بعضهم للبعض جلادا بالدبابيس والحراب واغمادا
للسيوف

ونجا براسه ولم يكد اي خلص حيا وراسه على حلاوته ولم يكد لم يتقارب من الخلوص لصعوبة المقام وضيق الانتقام . دبوسية قصبة صغد وهذا القلعة المشهورة المنسوبة اليها .

٥٦

في قراب الرقاب فجد المنتصر في الامر واشتد ونجا براسه ولم يكد وصار القوم
الى دبوسية من السغد مستنجدين بمن بها من العمال وتفاريق الرجال ووقع المنتصر
الى ثغر النور من بخارى وركض منها عليهم ركضة اقتسمتهم بين اجتياح واختتال
واستطلام واجتياب وما يتبعه المعروف بابن علمدار رئيس الفتيان
بسمرقند فاتاه في ثلاثة آلاف رجل وتقرب اليه مشايخ اهلها بثلثمائة غلمة على
سبيل الخدمة ووصلوا بها كرامات تضاهيها ونثارات تدل على اخلاصهم
فيها وتراءى اليه الغزية فاستعلت جدوده وتراجعت قوته ولما سمع ايلك
الخان باجتماع شوكته واشتداد وطأته زحف اليه في اطلاب الذكور من دهاة
الترك واشتبكت الحرب بينهم بقرية بورنمذ من حد سمرقند حتى تقلقلت
النبال وتكسرت النصال وتحطمت السمر الطوال وحار الخان مقاما وانفض عنه اقوامه واستنفذ
الغزية في طلاب الاسلاب حتى نشر دث ايديهم بالسبايا والنهاب والغنائم
الرغاب وذلك في شعبان سنة اربع وتسعين وثلثمائة وعاود الخان ارض
الترك فضم النشر وداوى الجبر ثم كر على ثأره وبث على المنتصر شرر ناره ووافق
اقباله تراجع الغزية الى اوطانهم بما نهبوه على عاداتهم في كل ما غنموه واستانفوا
الحرب على فضا بين فرسخي دزك وخاوين من اشروسنة واستامن المعروف
كان الحسن بن طاق الى الخان في زهاء خمسة آلاف رجل من نقاوة عسكر القائد
جمل من المصاع واستلاد زفرات القراع واضطر المنتصر الى الانهزام
وحكم الخان في اهل عسكره سيوف الانتقام حتى روت الارض من دماء ما تعم
النسور من اشلائهم وسار المنتصر الى شط جيحون يعبر على الجمد اعلام الشغان
وخلو المعابر ومضى الى اندخود من ارض الجوزجان يحتبس بها من ركضة الخان وامر
باستياق الدواب الراعية بها وانتساخها من اهل جملتها وركب المفازة
الى قنطرة زاغول ولما بلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره اسرع
الانحدار الى بلخ لاعجاله عن نفاذ امره واستفحاله واتبعه بفرغين

بن محمد في اربعين الفا من قواده لطرد سراجه وحصد فساده فاعجزهم
المنتصر وصار الى الجنابذ من قهستان ضرورة اذ كانت جيوب الآفاق عليه
مزرورة فخشي ان شهرت عليه السيوف واني لم احدقت به الطرق ودلف
اليه صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين في طغا جق الى سرخس
وارسلان الجاذب والى طوس تحثون الظهور في الطلب ويتنزقون علا التماس
بين التركض والخبب فقاتهم الى جومند ومنها الى بسطام فرماه شمس المعالي
قابوس بن وشمكير بن زها الفين من الاكراد الشاهجانية فازعجوه عنها الى
بيار راجعا باللوم على من لقنه الانجلاء ولما ضاقت عليه المذاهب واحاطت
به المعاطب بادر الى كوره نسا بهذا رمق لا يمكث بها ولا يوطى الارض
جنب قرار وتلقاه ابن سرخك الساماني بكتاب من تلك الانهال اليه لمضاف
على ايلك الخان مواربة ومواراة للخان عليه ومواطاة فنازعته نفسه تقلبهم
اجابته طمعا في وفائه وتاميلا لعونه على خدمائه فركب الخطار وسار حتى
اذا بلغ نهر جاد من مفازة آمل مسقه خيله الى الشط فوافوا لك الجمد وهجرن
فاغتنموا مفارقته خلاصا مما منوا به من مكابدة الاسفار وعدم الاستقرار ووصل
سمعو الليل بذاب النهار وتسابروا الى الجبور الى سليمان الحاجب وصافي
ودما خاصا ايلك الخان فعبروا اليهما وعرفوه ان الساماني بالقرب وان الجمر
تلك خطيته والجواد تلك طيته فهو خلسة الطامع ونهزة الطالب
وطعمة الانياب والمخالب فلم يشعر ابو ابراهيم المنتصر الا بالخيل مطلة
عليه فطاردهم ساعة ثم لاذ بهم ظهر الفرار وقبض على اخويه وخاصتهما
برباط براى وحملوا الى اوزكند وسرى فاجل المنتصر هربه حلة ابن
بهيج الاعرابي من جملة العرب السيارة في تلك المفازة ليقضي الله امرا
كان مفعولا وكان المعروف بابي عبد الله ماه روي بتلك الحلة من جهة السلطان
يمين الدولة وامين الملة فبثهم وقد اوصاهم بالتعرض له بكل مرصد واذكا

٥٧ العيون عليه عند كل مورد فلما لبس الليل جلد النمر وعرض على النجوم
جيش الحبش وثب اهل تلك الحلة على المنتصر جهلا وغباوة وقساوة فاحضروا
حتى مقلعه واحلوا للارض حرام دمه فكانما عناه ابو تمام حيث يقول
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
فاثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج رداءه فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فانني رايت الكريم الحر ليس له عمر
ثم نقل فاليه الى تربة ماى مرغ من زخ باززم ودفن بها في شهر ربيع الآخر
سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره
فامر بالقبض على البدوي واذاقتهم حر الانكار وشن الغارة على حلة ابن
بهيج الاعرابي خاصة وعلى سائر العرب السيارة عامة وصارت جمرة آل
سامان رمادا اذرته الرياح وكان الله على كل شي مقتدرا

ذكر الامرا السامانية ومقادير ايامهم من حيث نجمت دولتهم الى ان ورثها السلطان يمين الدولة وامين الملة

كان ملك آل سامان بما وراء النهر وسائر بلاد خراسان مما ينضاف اليها
في الوقت بعد الوقت من كور سجستان وكرمان وجرجان وطبرستان والري
الى حدود اصفهان مائة وستين سنة وستة اشهر وعشرة ايام فاولهم
ابو ابراهيم اسمعيل بن احمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث بناحية
بلخ يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين
وولي خراسان ثماني سنين ومضى لسبيله ببخارى ليلة الثلاثاء لاربع
عشرة خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين منعوتا بالعدل والرأفة

قوله موسومًا بطاعة الخلافة يعني كان اسماعيل بن احمد مطيعًا للمعتضد امير المؤمنين في مدافعة عوادي عمرو بن الليث وهو اخو يعقوب بن ليث من خرج على الخليفة واخذه ولذا للمعتضد وناصبا مما عدته المناصبة اظهار العداوة السلام

فربر من نواحي بخارى على شط جيحون قبالة اهل الشط نقل من اليمني

موسومًا بطاعة الخلافة وقام بعده أبو نصر أحمد بن إسمعيل فملك ست
سنين وثلاثة أشهر وفتك به نفر من غلمانه بفربر ليلة الخميس لسبع بقين
من جمادى الآخرة وكان مقتفيًا بآبائه في إيثار النصفة واختيار الأحدوثة الحسنة
اقتداء الأبناء بالآباء في اختيار أفضل السنن واتباع أحمد السير إلى أن طوت الدنيا صحائف
أيامهم كعادتها في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وسلف السعيد الشهيد
أبو الحسن نصر بن أحمد فملك ثلاثين سنة رفيع العماد قوي العماد وري الزناد
وتلاه في إرث الملك نوح بن نصر وهو الحميد فملك اثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر
وسبعة أيام وتوفي ببخارى يوم الثلاثاء لإحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر
سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وانتصب منصبه عبد الملك بن نوح فملك سبع
سنين وستة أشهر وأحد عشر يومًا وعثرت به دابته فسقط إلى الأرض
سقطة حمل منها ميتًا وذلك عشي يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من شوال سنة
خمسين وثلثمائة ~~وخلفه في الولاية أخوه منصور بن نوح خمس عشرة سنة وتسعة~~
~~أشهر توفي ببخارى يوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلثمائة~~
وخلفه في الولاية أخوه منصور بن نوح ... وعشرين سنة وتسعة أشهر توفي يوم الجمعة لثلاث
عشرة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة وملك بعده أبو الحارث منصور
بن نوح سنة وتسعة أشهر واعتقله بكتوزون بسرخس يوم الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت
من صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وبويع أخوه عبد الملك بن نوح فما استقرت
قدمه في الولاية حتى خرجت على يد السلطان يمين الدولة وأمين الملة ...
وشالت نعامته نطارًا إلى بخارى وقبض إيلك الخان عليه وانتزع ولايته من
يده فكانت مدة إمرته ثمانية أشهر وسبعة عشر يومًا وخلص لذلك جناب
السلطان كورة خراسان واتسق بعد ذلك بزدادي أسباب الجلالة
وجعلت تتضاعف في رتب العلاء حتى بما يفتر له ثغر الأعين عن مفتتح صنع
ممنوح وذكر على هامات العلا مرفوع وباب إلى فضل المنى والآمال مشروع

اي ما طلع هلال الشهر وكنى بالاضطراع عن استهلال
وبالشهر عن الهلال حوفه عن تنوين الشعر جمعنا
يوم الصاحل من براشيان وهو مزيد الغرج ما بين الكفر
والاسلام وهو من مشتقات الصنعة

شالت نعامتهم اي ارتفعت ... منهلهم تقول العرب شالت نعامة القوم اذا تفرقوا وارتحلوا عن منهلهم
بكر قوم الحبشة المعترضة على الاذن بين هما خشبتان جولهم
البير يوضع فوقهما البكرة فما دام الحي مقيمين تكون نعامتهم على مائهم
يستقون الماء فاذا تفرقوا ودفعوا النعامة ونقلوها الى منهل آخر فصار
شولها اي ذنبها كناية عن تفرقهم

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ذكر الأحوال التي
جرت بين الأمير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن أحمد والي سجستان مرة
وبينه أخرى وما جرى بعد ذلك من الطوائل والترات التي تمخضت عن
السلطان يمين الدولة وأمين الملة التي عطفته إلى انتزاع الملك من يديه
وما جرى خلال ذلك من وقائعه في الهند إلى أن استتب له ما أراد في أمره
بعون الله ونصره قد سبق في أول الكتاب ذكر الأمير خلف بن أحمد فيما رآه
السديد منصور بن نوح من ردّه إلى بيته وإظهاره على خصمه إلى أن تهادت
زجر الفتن بخراسان تفرغه اشتغال الولايتين بما دهاهما من الاستجمام
والارتداع والاستظهار بما تخرجه له أرض سجستان من صنوف الارتفاعات
حتى اتسع همه لطلب الفضول والزيادات ومنازعة القروم والسادات
ولما انتصب ناصر الدين سبكتكين لمواقعة ملك الهند جيبال حين تورد حدود
الإسلام على ما نطق بشرحه صدر هذا الكتاب اغتنم خلف بن أحمد اشتغاله
بست عن الحفظة وخلوها عن الشحنة فأسرى إليها من أنقاض بيعتها واقتض
عذرتها وحرف كلمة الدعوة عنها وغمس يده في أموالها جبايةً وجمعها
فما وعاها إلا لما أفتح الله ناصر الدين على الكافر اللعين عطف العنان
إلى بست ممتعضًا من غدره محتفظًا من سوء حفاظه فاتقاه أصحاب
خلف بظهور العار وأعقاب الأدبار والصغار وهمّ ناصر الدين
سبكتكين بمناهضته واستخار الله في مناجزته فأرسل إليه خلف بن أحمد
من تنازل عليه في ذلك البعث مخاطبة على حكم الموالاة في حفظ ولايته وتقمّن
تصحيح ما صار في جبايته ويتبرع بزيادة تقوم مقام الأرش عن جنايته
تفاديًا عن ثقل وطأته على أعماله وتصونًا عن عرّة الانتضاح به
في قتاله فتغابى ناصر الدين عن سوء غدره واكتفى منه
ببذل الإعتاب وتمّ طالبه بتصحيح المال حتى أجراه وارتهن به بعض خاصته

يشير بالجولة الى المكاشفة التي وقعت
بين ابي علي السيمجوري وبين عسكر الدولة نوح
بباب نيسابور وقد مضى شرحه في الذكر الماضي

فكانت بينهما من بعد
وكانت الحال قايمة على جملة المسالمة الى ان حدث من امر ابي علي ابن
سيمجور في الجولة التي اتفقت له بباب نيسابور كما سبق شرحه ما ظهر تقربا
الى ناصر الدين بما عدته على خصمه ومرافدته بنفسه وساير اهل جملته
امتنانا عليه بظاهر المظاهرة واضمار التشفي عن ابي علي بمعونته
الحاضرة وقوته الباهرة اذ كان ابو علي قد وتره بقصد حصاره وعروه
في عقر داره واقتياده بسيوف انصاره وصحبه الى قوهج في جمهور
اتباعه واشياعه ثم خلفه بها ناصر الدين سبكتكين صيانة له عن
كلفة السفر وابقاء عليه من خطة الخطر وسار الى طوس لمواقعة ابي
علي وطلب الثار المنيم عنده حتى اذا طرده ونفض من شغل تلك الحرب
يده رد الى خلف بن احمد اصحابه متقلين بالنعم الباهرة موشحين
بالخلع الفاخرة يقدمهم الجنايب المراكب ويردفهم النجايب والرغايب
فعادوا وانا انثنوا ما الذي كان من امله زلو سكتوا اثنت عليه الحقايب فصفت
لذلك شريعة الحال بينهما عن تلك الموارات وتجلت عن عرض المداجة
والمداجاة الى ان عبر ناصر الدين سبكتكين النهر الى ما وراءه لمدافعة
ايلك الخان عن ولاية الرضي برفق المناصحة او خرق المكافحة ثم اقتضته
صورة الحال مسامحة ببعض تلك البلاد على ان يسلم له سايرها ويامن
عنت الخيب بادنيها وحاضرها وترامت اليه انباء ذلك مكاتبة خلف بن
احمد ايلك الخان مزهفا لعزمه ومغريا اياه بحربه طمعا في ليث
نواحيها وغزنة وما يليها وانضافت اليه بلاغات وعوارض بدت
له من جانبه في امر ابي علي واظهار الندامة على ما سبق من معونته عليه
والمجاهرة على رووس الاشهاد معرضا بان اجتياح الملوك شوم
واستباحة البيوتات لوم وضعف في الراي معلوم وطار الغضب
بناصر الدين كل مطار وجدت نخوة الانتقام بالبدار الى ارض

٥٩

سجستان الى طرف الخليل وشفا الداء العجيل ثناه كاتبه ابو الفتح علي بن محمد
البستي عما نواه بالقول الرقيق والراي المويد بالتوفيق والرشد بالتلطف على ذلك الحريق
واراه ان بعض البلاغات زور وان القايل كالقايل ماخوذ ومعذور وان
قلوب الرجال وحوش نافرة وطيور في جار الجو سابحة فما يستمكن منها الا باعمال
الحيل في نصب الحبايل وتمكين الجوارح ورمي البنادق ونصب الخيوط والمطاعم
ثم لمن ايسر الا انقاع عن حبالة القانص وارسال الفاغر شرك الصايد كذلك
لا تنصطاد القلوب الا باشراك الصنايع والعواطف ولا تنقاد الا بازمة الايادي
والعوارف ~~ولا تنقاد الا بازمة الايادي والعوارف~~ ولا تستفاد الا بتبديل
النوالة والطوارف ثم الكلمة الجافية تهيج واخذها وتطير واقعها وتكدر
عليها مشارعها وتلا عليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق
بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم فسرها
له حتى نزل عن ظهر التعجل الى ارض التمهل وانشا ابو الفتح رحمه
الله في شرح ما دار بينه وبين ناصر الدين بنفسه

اذا شئت ان تصطاد خيرا اخي لب ... وتملك منه حوزة القلب والخلب
فاشركه في الخير الذي قد رزقته ... وادخله بالاحسان في شرك الحب
الم تر طير الجو تهوي مسفة ... لحب كقطر من ذرى الجو منصب
كذلك لا يصطاد ذو الراي والحجى ... حبابات القلوب بلا حب

وكتب خلف بن احمد بعد ذلك متنصلا عما عزي اليه ومتبريا مما القي
وعفا ناصر الدين عما جال في صدره من امره واغمض له عما اشتاحه من
قلبه وغلب غدره وثبت باقي عمره على مكاتبه الى ان اتاه اليقين
من ربه فانتقل الى جوار رحمته وعفوه وبلغ السلطان يمين الدولة وامين
الملة طيحة الزمانة باظهار الشماتة فاستشهد قول القايل

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تجهز لاخرى مثلها فكان قد
تمنى رجال ان اموت وان امت ... فتلك سبيل لست فيها باوحد
لعل الذي يبغي ردائي ويدعي به ... قبل ان يكون هو الردي
فما عيش من قد عاش بعدي بنافعي ... ولا موت من قد مات قبلي بمخلدي

ثم أسرّها في نفسه مترقباً ميقات الفرصة في الإيقاع به والاستشفاء منه إلى أن
ورث ملك خراسان نقي الأطراف عن عثرات الخلاف سليم الأكناف
من عثرات الشقاق وقد كان خلف بن أحمد عند قيام السلطان
باستصفاء المملكة قد بعث ابنه طاهراً إلى قهستان فملكها ثم عدل منها
إلى بوشنج فاستولى عليها وكانت هراة وبوشنج برسم بغراجق أخي ناصر الدين
سبكتكين فلما وضع الله عن السلطان أوزار تلك الملاحم أتاه عمه يستنفره
في طرد المتغلب عن ولايته وتلافي ما حل من نكايته فأذن له فيه وسار حتى
إذا شارف بوشنج تلقاه طاهر بن خلف بمن والاه من العصبة الخشن الجلد
فتناوشا الحرب تقطيعاً للهام من خطوط المفارق وقطاً للأجسام من خصور
المناطق واشتفافاً للأرواح بأرشية الرماح واختطافاً للرؤوس بمعوج كبيرات
الرؤوس ثم حمل بعضهم على بعض فذهبت الميامن بالمياسر والمياسر
بالميامن وانفلّ طاهر من بين يديه هزيماً وقد كان قبل أن شمّر للحرب
أصاب كؤوساً يستيقظ بها أعين الطعن والضرب فتعاون عليه ثارات
من كاس وباب حتى غفل بها عن وثيقة التحزم وذهل معها عن بصيرة
التحفظ والتحرز فغرّر بنفسه في اتباع خصمه اغتراراً بخيال سكره فلم يشعر إلا بابن
خلف قد كرّ عليه بضربة أقعصته ونزل للوقت إليه من قطف علاوة
أخدعيه وانتشرت الهزيمة على الفريقين فلم تعرف الغالب من المغلوب
ولا السالب من المسلوب خلا ابن خلف فإنه تقفى آثار فلّه بمن ردهم إلى محله ورد
النعي على السلطان فناله من الغم لقتل العم ما ينال الواله الثكل لحميمه وواحده
والولد لانتقاص صنو والده واستدّ لهما أنف ابن خلف على الحلق الشنف
ونابيه وباطيات البلاء عليه وعلى من يليه وجلس بحرب أن البقر تبحث
عن المدية بروقيها والنملة يقضي عليها نبات جناحيها ولو عقل الفراش
لما عشا ما عاش إلى ضوء نار ولا تهافت في مصرع بوار

أساريب الفرس في أخبارها مثلاً وللأعاجم في أمثالها مثل قالوا إذا أجمل جانب منيته
أطاف بالبير حتى يهلك الجمل ٩ وزحف السلطان في شهور سنة تسعين وثلثمائة
إلى خلف بن أحمد وهو محتجز بحصار اصبهبذ قلعة بينها وبين مجرى النجوم
قاب قوسين بخندق عميق تحول عن مراماتها الأبصار وتحار دون مراماتها
الأطيار فحاصره بها ممنوعاً من نسيمة الهوا ممنواً بضيق الاضطرار متجرعاً
مرارة القرار ولذة الفرار حتى نحب الروع روعه وزحزح روحه فاستشعر
الخضوع والطاعة وأظهر الخشوع والضراعة وسأل المستكين أن ينفس عن خناقه
ويرخي من حبل إرهاقه على أن يفتدي بمائة ألف دينار وبما يليق بها من خدمة
ونثار وتحف ومبار فأجابه السلطان إلى ما استدعاه ووكل به من اقتضاه
المال حتى استوفاه وغادره كما هو في إسار الحصار ورعناء الوثاق وفي
نفسه قصد سجستان لكنه أحب أن يجعل غزوه في الهند مقدمة لما توخاه وصدقة
وصدقه بين يدي نجواه تبركاً بما يجري على يده من ارتفاع راية الدين
واتساع ساحة اليقين وإنارة كلمة الصدق وإغارة قوة الحق فتوغل بلاد الهند
متوكلاً على الله الذي هداه بنوره وقضى له بالعز في مقدوره وبالنجح في تصاريف
أموره حتى انتهى إلى مدينة برشور فخيم بظاهرها وبلغه اجتراء عدو الله جيبال ملك الهند
على لقائه واستعجال القضاء بمجاورة فنائه فاستعرض الخيول من أنجاد رجاله
وسائر الغزاة والمطوعة في جملته واختار للجهاد خمسة عشر ألف عنان من
فحول الرجال وقروم الأبطال وحظر أن يختلط بهم زيادة الاختيار
وبهرجة الانتقاد حتى إذا خلص بعددهم عن الانتخاب واجتلاهم كأنهم
الضراغم أو أسود الغاب دلف بهم إلى قتال الجبن اللعين بقلوب
كالهضاب ثابتة ونزوع صبر على روح الإخلاص نابتة وأقبل الكافر
الفاجر في اثني عشر ألف فارس وثلاثين ألف راجل وثلثمائة فيل تئن الأرض
من وطء أطرافها وتخف من ثقل أخفافها حتى أناخ قبالة السلطان متطاولاً

قوله فمن مكتوف فمن فيه لبيان جيبال المسوقين الى موقف السلطان

قوله وحفدته جمع الحافد وهو ولد الولد قال الله تعالى وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة

الاداء التهنيه والاغراء قال الله تعالى تؤزهم ازا اي تغريهم على المعاصي ... يقال لهزت الشيء اي ضممت بعضه الى بعض ... قوله انتصف النهار اذا بلغ نصفه ... الانتصاف الانتصار يقال انتصف فلان على عدوه

لعدده ونقصا ولا بقوة باعه وبله بطن كثرة الجموع تطوي كتاب الله طيا

او تغني من امر الله شيئا ولو درس الجاهل كتاب الله لقرأ كم من فئة قليلة غلبت

فئة كثيرة باذن الله وابرز الكافر بمكانه جانحا الى المطاولة ومتحرزا بالمدا

والمراوغة انتظارا لمدد وراءه من ابطال الجيوش واوباش القبائل والشعوب

فاعجله السلطان عما حلم به من تعلله بالمطاولة وتاخير المقاتلة ونشط عليه

ابطال اولياء الله فاوسعوهم حربا ونهبا ومشقا ورشقا وجرحا وحزا وحتا

وشحنا حتى اضطر الى الدفاع وصلي بنار القراع فاصطفقت عند ذلك الخيول

وخفقت الطبول وزحفت الفيول واقبل بعضهم على بعض يتصاولون وترامت النبال

على الخصال ترامي ولذلك صارم بالخشل ونلالات متون القواضب تلالؤ

برق الغيم خلف الغياهب ودارت رحى الدنا ... فاضحى كحاجح الانوار وكان اولياء

الله على جماهير المكذبين يومئذ نهم ارا ويحثونهم ركضا وحمزا الى ان تنصف

النهار الا بانتصاف المسلمين من اعداء الله المشركين وحكموا السيوف في زهاء

خمسة الاف رجل بسطوهم على العراء واطعموهم سباع الارض وطيور الهواء

وحبل على صعيد المعترك خمسة عشر فيلا مغروزات الجراب باطراف النشاب

محزوزات الخراطيم باسياف اللهاذيم واحيط بجد الله بجيبال وبنيه وحفدته

وبني اخوته وذوي الحسب من رهطه وذويه فسيقوا بحزائم القسر والاسر الى

موقف السلطان كما يساق المجرمون الى النيران وجوه عليها غبرة الكفر

ترهقها قترة الخذلان من مكتوف الى الظهر قسرا او مسحوب على الخد جرا

او مضروب على القذال صبرا وحل مقلد جيبال عن نظيم مرصع بفرائد

الدرر وجواهر الزهر واليواقيت الحمر تقوم بمائتي الف دينار واصيب اضعافه

في اعناق المقتلين من قرابته بين قتيل واسير والمطعمين شيئا في صبغ

ولبس ونفل الله اولياءه ما فات حد الاحصاء وجاوز جهد الحصر والاستقصاء

واغنمهم خمسمائة الف رأس من رقيق العبيد والاماء وآب السلطان بمن

الجيرة بالكسر ما عرضه البعض للاجتبار ... قولهم لا ابكما اخلفت الجيرة والدة ... اي الجيرة تعلو والدة تسفل ... تماسك بعضها ... قوله طلحة ... والدبران من منازل القمر وكذلك ... ونطق باساميها ومستعار ... يناسب حال المخذول ... مساويها ومخازيها

61

معه من العساكر غانمين وافرين

معه من الاولياء الى المعسكر غانمين وافرين ظاهرين ظافرين شاكرين لله رب

العالمين وفتح الله على السلطان من دار الهند رضا يتضايل بلاد خراسان

في جنبها طولا وعرضا وانفقت هذه الوقعة الباهر اثرها السائر في الآفاق خبرها

يوم الخميس الثامن من المحرم سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ولما وضعت هذه

الحرب اجمالها وحطت عن الظهور اثقالها احب السلطان ان يصرف

جيبال وراءه ليراه بنوه وذووه في شعار العار واسار الخسار ويستطير مهابة

الاسلام في ديار الكفار فوافقه على خمسين راسا من جفان الافيال وارتهن

ابنا وحافدا له على الوفاء بها على الكمال وعاد الكافر وراءه حتى اذا استقر

بمكانه كاتب ابنه انندبال يشكو اليه ما عراه من الفاقرة الكبرى والداهية

العظمى وساله سؤال الخلف ان يؤدي عنه الضمان بما عزوها ان تساق الى تلك

الفيول وصرف الرسول وسيقت حملتها الى السلطان فامر بالافراج عن

تلك الرهائن وكسع ادبارهم نحو تلك المدائن وحدثت نفسه اندبال

بان اباه قد لبس بردة الخزي وعض على جذع الهرم وتطلع عليه

نسر الاسر ودبر ازاله وعورته عوز الامتحان وتالت به شوكة الخذلان

فلاحار ان يلقي جنته ويتقاضى عليه الزمان دينه ومن سنتهم المطاعة فيهم

ان من حصل منهم في ايدي التابعية وهم المسلمون اسيرا لم ينعقد له من

بعد رياسة ولم تستتم له زعامة وسياسة ولما راى جيبال حصوله في

حبل الهرم وقتلها ملكه آثر النار على العار والمنية على الدنية فبدا بشعره

فحلق ثم تحامل على النار حتى احترق ولما استتب للسلطان ما اراد وانقاد

له ما اقتاد ارتاح لغزوة اخرى يطرز بها ديباجة مقامه ويعلم بجمالها

عذبات اعلامه فمال نحو ويهند فضرب عليها بكلكل الاقتدار حتى

انتهبها صغرا واعتاض منها بعد العسر يسرا وبلغه ان ابا ذخطوا ... من

الهنود بشعاب تلك الاعلام واستتارهم بخمر الغياض والآجام فتبحتهم بين

قوله والمنايا سودا وحمرا اي تلون لهم اسباب الهلاك ويقال الموت الاحمر يعني الموت على ما هابه من الالوان المنكرة فبعض يرونها على مثال صبغ ودم وبعضهم على مثال اسود مسود وقد يسرط بالسواد لان تركيب ح م ر دل على الشدة وقد مر قوله

التألب الاجتماع يقال هم عليه ألب واحد اي متفقون مجتمعون

قوله صدئت طبعت والصدأ الطبع في الحديد وفي الحديث ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها قال ذكر الموت وتلاوة القران
قوله الزيود جمع الزيدة وهي الحرف الناتي المشرف من الجبل

بالتحزب للفساد والتألب على العناد فاغزاهم جيشا لم يرخ حبالهم ونفرت
قبل الوصول الى وصالهم فولغت فيهم السيوف حتى رويت من نجيع ما بهم وصدئت
من مخالطة احشائهم وتعارت من لحوم طلابها كالوعاث في زرود تلك
الجبال يبرزن الكواكب ظهرا والمنايا سودا وحمرا وذاقوا وبال امرها وكان عاقبة امرها
خسرا وانقلبت رايات السلطان الى غزنة خافقة بالنجح الشائع والفتح
الرائع والحول المتين والنصر المستبين وقد اشرق وجه الاسلام وابتسم
ثغر الايمان وانشرح صدر الملة وانقصم ظهر الشرك والبدعة وقد
كان خلف بن احمد عند انصراف السلطان عن وجهه عهد الى ولده
طاهر في اعمال سجستان واسند امورها اليه ايثارا له على نفسه وحل عن الكرم
الملك اليه تبركا وتيمنا تثبيتا لها في ملكه قبل استحقاقه اياها بارثه لغرض
السلطان باستعفائه عن الملك واقباله على النسك واعتياضه تواضع
العبادة عن ترفع السيادة ليقطع خروج الامر عن ابنه طمعه عن قصده
وحصلت لما تنفست المدة على ما ولاه نطقت شواهد الجحود في اختياره
وبان تنبه لواحظ العقوق من ابنه فلم يزل يلاطفه ويداريه حتى اعماه
عما يراه فيه ثم تمارض في الحصار المذكور واستدعى ابنه لقبول الوصية
وتسليم الودائع الخفية فتغافل عن سر التدبير وتلقى شر العقاب والتكبير فاقبل
اقبال طرفة بن العبد على خصلتي الضبع من ضرب الجيد وجز الوريد
وقد كان خلف بن احمد كمن له مقانب من جيشه فاحاطوا به احاطة
خيل الزبا بجذيمة الوضاح الى ان حصل في معتقله وحصل في مكمن اجله وبقي
في السجن على حاله الى ان اخرجت جنازته مجللا لاعلنه في قتل نفسه والجناية
على روحه ودمه ولما سمع طاهر بن زيد صاحب جيش خلف بن احمد وسائر
القواد بسجستان ما جرى في امر طاهر دخلت في طاعته ضمائرهم ونغلت
في هواه سرائرهم وانتقضت خوف الاسوة فيه مرائرهم وضبطوا تلك

المدينة على طاعة السلطان ومشايعته وارسلوا اليه بما اوجبوه من التمسك
بحبل الطاعة والتنصل بين الجماعة وسالوا انهاض من يتولى تسلم الناحية
منهم ليتبادروا الى بابه ويتعطروا بلثم ترابه ففعل السلطان ما سالوه وجزاهم
الخير على ما تعلوه واقيمت الدعوة بها للسلطان في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة
ولما فتح الله له ارتجاجها ويسر له انفراجها عزم على قصد خلف وحسم دائه وكفاية
الخاصة والعامة عوادي مكره ودهائه وهو يومئذ في حصار الطاق ومن صفته
انه ذو سبعة اسوار رفيعة الجدران منيعة البنيان وثيقة الاركان يحيط
بها خندق بعيد القعر فسيح العرض منيع المخاض لا يعبر الا من طريق
جسر يطرح عند الحاجة اليه ويرفع وقت الاستغناء عنه فعسكر السلطان حواليه
محيطا به من جوانبه احاطة المحيط بنقطة المركز وجعل يستقري بالراي
وجه الحيلة في طم ذلك الخندق وكبسه ليستبق الفارس والراجل خوضه
وعبوره وكانت حوالي معسكره منابت اثل وطرفاء واشجار احتفاف والتفاف فعرض
على اهل عسكره خاصهم وعامهم وراجلهم وفارسهم عضد ما يمكنهم عضده منها اضغاثا
وحزما تلقم عرض الخندق ليستطح المجال المختبر وباكر الناس ذلك فلم تشرف
شمس النهار على التكبيد حتى اعرض عرض الخاصة من جانب باب الحصار للركوب وتلب
اليه عند ذلك الخيول وبعضها الفيول فمانع اصحاب خلف بن احمد من شرفات الحصار
يقذفون الاحجار واستعلت الحرب بينهم ترمي بشرر كالقصر وتمخ على القصرات بالفرس
والقسر ثم زحف الفيل العظيم الى باب الحصار فاقتلعه بنابيه وزخ به في الهواء وحط
الى الارض خالي الوقت وقتل من اصحاب خلف الجم الغفير والجأ الباقون على اعراف الحاجب الى
السور الداخل وحمل عسكر السلطان على الحصار وتماسك اصحاب خلف فوق شرفات السور
الاخر مناضلين عنها باحجار المجانيق واطراف الحراب والمزاريق واطلع خلف بن احمد عند
اشتداد الخطب على ملتقى الفريقين فراى هول المطلع وتموج الفضاء بعفاريت الانجاد
في على شاطين الجياد وتطاير النبال كرجل الجراد وتراءي الحراب كغدر الى السحاب وفيح الدماء

كسح السماء وعاين الفيل تلك الصورة تناول بعض أصحابه بخرطومه فرمى به في الهواء
قاب رمحين ثم تلقاه بنابيه وأقبل على آخر يريد وسمه بميسمه ثم انحى على
الباب يحنيه فزعزعه بعضادتيه واقتلعه بضبات الحديد عليه فاستطار
عند ذلك قلبه وجاش جأشه وارتاع روعه واضطره هول المقام وفزع الاصطلام
إلى طلب الأمان واستعانة السلطان فكف عنه يد الإحراج ووضع عنه سوط
الانتقام كرمًا عند قدرة الله يديه وأطربه بشوق حضرته وأقبل خلف بن أحمد على
بذلة الجائزة حتى استعذر له على السلطان فنزل وأهوى إلى الأرض بشيبته
البيضاء متعززًا بذل الخدمة وغشي البساط من نثار الجواهر والفرائد بما أشعف
النهار وخطف الأبصار إيثارًا لما أثيب عنه بما أذاقه من برد العفو والرحمة وحماه
من حسم الروح والمهجة فتكرم السلطان بالترفع من شدة وضمه عند
التقريب إلى صدره تناسيًا لما سبق من هناته وتغابيًا عما تقدم من جهوله وترك
وحكمه في احتمال ما أحب من نقل يساره وذخائر حصاره وخيره في المقام
حيث شاء من ديار ممالكه وأمصاره فاختار أرض الجوزجان استرواحًا إلى نعيم
هوائها واستعذابًا لنمير مائها واتساعًا في مراتع الصيود حول أرجائها فأمر
السلطان بتسييره إليها في هيئة ذوي الهيبة معافًا بلباس الصيانة عن عورة
المهانة فأقام بها قرابة أربع سنين في ظل النزهة وساعة القناعة بما
هو فيه ثم أنهي إلى السلطان مراطنة بينه وبين ايلك الخان مطفقات سر ما
إليه ورسالات أغراه بها عليه فاقتضاه الاحتياط نقله إلى جردين القاء عليه
من صدد ما أضيف إليه واتهامًا للصنيعة لديه واحترامًا سامًا يلجأ إليه
من إبطال ذلك الاتصال وكثير ذكر الغلس تبقى هنالك على جملته إلى
أن حقت عليه القضية واخترمته المنية وذلك في رجب سنة تسع وتسعين
وثلثمائة وأمر السلطان بحفظ جميع ما تخلف عنه على ولده أبي حفص
وتقريره في بلده وتمكينه من خلعته وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه
حين رمى بي الزمن وصرفني عن الملك السيد

من ذا الذي لا ينال الدهر صفحته ، ولا يلين إلى الأيام صعدته
أما ترى خلفًا شيخ الملوك غدا ، مملوك من فتح العبد الذي بليته
وكان بالأمس ملكًا لا نظير له ، فاليوم في الأسر لا ينتاش أسرته
وكان خلف بن أحمد مخشي الجناب من أطراف البلاد لسماحة كفه وغزارة
سيبه وإفضاله على أهل العلم وجريه ربك ملح على ألسن الشعراء والعلماء بما
هو سائر ذكره في الآفاق طائر وكان قد جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير
كتاب الله تعالى لم يغادر فيها حرفًا من أقاويل المفسرين وتأويل المتأولين
ونكت المذكرين واتبع ذلك بوجوه القراآت وعلل النحو والتصريف وعلامات
التذكير والتأنيث ووشحها بما رووه عن الثقات الأثبات من الحديث
وبلغني أنه أنفق عليهم مدة اشتغالهم بمؤونته على جمعه وتصنيفه عشرين ألف دينار
ونسخته موجودة في مدرسة الصابونية لكنها تستغرق عمر الكاتب وتستنفد
صبر الناسخ إلا أن تتقاسمه النساخ بالخطوط المختلفة وأخبرني أبو الفتح
البستي قال نظمت ثلاثة أبيات من غير قصد لتبليغها إياه لكنها
سارت على ألسنة الرواة إليه فلم أشعر إلا بصرة فيها ثلثمائة دينار أحيى
بها على بعض ثقاته صلة لي على ما قلته وعملته والأبيات :

خلف بن أحمد أحمد الأخلاف ، أربى بسؤدده على الأسلاف
خلف بن أحمد في الحقيقة واحد ، لكنه مربٍ على الآلاف
أضحى لآل الليث أعلام الورى ، مثل النبي لآل عبد مناف

ويتعلق بها قريب من هذه الصورة حديث إبراهيم بن هلال الصابي وذلك أن
رسولًا لسيف الدولة كان قدم بلد السلام فطلب شيئًا من شعره عن لسان
صاحبه فتابعه به إلى أن أزف ارتحاله وأتاه عند الوداع متجلجلًا بتأخره فأعطاه

إن كنت خنتك في المودة ساعة ، فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكًا في العلى ، وجحدته في فضله التوحيدا
قسمًا لو اني حالف بغموسها ، لغريم دين ما أراد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة حمل إليه صرة فيها ثلثمائة دينار موسومة باسمه
وللشيخ أبي الفتح فيه أيضًا

من كان يبني على الذكر والثريا ... او يرتجي عطف دهر قلّبا وجفا

او كان يأمل عند الله منزلة ... تنيله قرب الابرار والزلفا

او كان ينشد مما نابه خلفا ... تلقيم الملك العدل الرضي خلفا او كان يطلب مما يستسلف

ولا يرى عن جانبه ولا حيفا ... الوارث العدل والعليا من سلف حموا بعلياهم في نصره

المؤثر الفضل في انجاس دجه ... فان رادعها اثر السريا اذا اثرى عنو بحكومة

سيفا اذا ما انتضى حقا له انتصفا ... والسيف ابلغ للاعداء موعظة لمن

صليف حماه حرح الصلفا ... وان بدا كلف في وجه مكرمة جلى بها الكلف عن وجهها الكلفا

رضاه يصرف عمن يستجير به ... صرف الزمان اذا ما نابه صرفا اذا اتشعر نجابة

تحط ونته ... اغنى الورى وكفى جدواه ... وكفى بخطبه يبلغ الافلاك خائفة والشمس حاجبة

والبدر منكسفا ... يرى التوقف في يمنى عن وقت ... وفيما نابت عن راى مشكل وقفا

يصل ضيفي انامله ... اعاد حظي سمينا بعد ما عجفا ... ينهى امواله كي يستفيد بها

عزا يوازي اعقابه الشرفا ... والمرء للمرء في تخواله هدف ... ان لم يكرّ ماله من

دونه هدفا ... لا يلحق الواصف المطري معانيه ... وان يكن سابقا في كل ما وصفا

وانشدني ابو الفضل الهمذاني قصيدته التي يمدح بها خلف بن احمد واولها

اشمس الضحى ما هذه الجيب الحلل ... اصدار الضحى حال وجيد الضحى عطل

لك الله من قمر اجوب جنوبه ... كاني في اجفان عين الردى كحل

وفيها يذكر اياه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والتجسس وطنه

يذكرني ترب العراق وحيه ... لك الله لا يسليه مال ولا اهل

اذا اوردوا الحجاج والبقيا لهم ... بقوا رئيح مع هما النجل والشجل

يسائلهم هل ابته الترح آيه ... الحما انهي لم يعد له شغل

اضا تشبه حال الطالته يك ... الاخرة نقص انشامة نضل

يقولون في حضرة الملك الذي ... له الكنف المأمول والنايل الجزل

وناضت على مطره خلفيه ... بها للعراقي عز ولا بنها عزل

يذكرهم بالله الاصل فيهم ... لئن اجتنا تقولون انه هزل

ولما بلونا كم بلونا ملوككم ... فيا طيب ما نبلو ويا صدق ما نتلو

وانشدني السيد ابو جعفر محمد بن موسى الموسوي بيتين ذكر انهما مكتوبان على باب

من سره ان يرى الفردوس عالية ... فلينظر اليوم الى ايوان كيوان

او سره ان يرى الرضوان عن كثب ... بملء عينيه فلينظر الى الباني

ثم وصفت بسجستان للسلطان فقلت عيون الفتن وسقطت نجوم المحن وانقطعت

اطماع الخلق فيها عن التعصب والتحزب وغضت ابصارهم دون التوثب

والتغلب فرجع السلطان الى غزنة باهر الاثر عالي الظفر بما صنع الله له في

رامه وبلغ نحو المراد سهامه وشفعه بانتزاع المدينة العذرآء واستصفاء

المملكة الغراء واطلاع ذروة الرجاء وادراع لامة العز والعلاء وانشدني

ابو منصور الثعالبي لنفسه في فتح سجستان من قصيدة

سهلت بعزة وجهك الايام ... وتزينت بفعالك الاعوام

وتصرفت بك الليالي همة ... يعيى بها الافهام والاوهام

ولقد فرشت بها على الكفيل ... تتزاحم الاساد والآرام

في وانتضيت سيف علاك كل مدينة ... بكر عليها للاياس ختام

نهدى زوج استغلقت ومنعت ... وكانها الاعلنل حرام

نعتنها واجتبتها ومنحتها ... نفراهم بفضائل الكلام

وتعلقت والايام في الورى ... بيتا يحيد يشيد الايام

تلك نصر الله والفتح الذي ... ترتهى بكتيبة وصفه الاقلام

باجل احوال واين مقلم ... واتم اقبال يليه دوام

ورحم الله البليغ ابا الفضل الهمذاني حيث يقول في السلطان يمين الدولة

تعالى الله ما شاء وزاد الله ايماني ... الافريدون في التاج ام الاسكندر الثاني

ام الرجعة قد عادت الينا بسليمان ... اظلت شمس محمود على انجم سامان

واستبى الى بهرام عشيه ابن خط قال اذا ما ركب الفيل للحرب او الميدان
رات عيناك سلطانا على منكب شيطان فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان
فما يغرب بالمغرب عن طاعتك اثنان ومن واسطة الهند الى ساحة جرجان
ومن قاصية السند الى اقصى خراسان لك السرج اذا شئت على كاهل كيوان
ابا والى بغداد ويا صاحب غمدان تامل ما ياتيك على سبعة اركان
يقلن اساطين ويلعبن بثعبان عليهن تجافيف يشهرن بالوان
وياجوج وماجوج من الجند بموجان واستخلف السلطان
على سجستان المعروف بقنجي الحاجب احد الحشميين من قواد ناصر الدين
سبكتكين فحسنت في السياسة سيرته واشتد في الرفق واللطف بالبرى
والعنف على المريب بصيرته ثم ان طوائف من نجوم الفتنة ونجوم الشر
والعصبية ابطرتهم رفاهة العيش ورفاغة الامن وفسحة الحال وسعة المجال
فتحزبوا انهم بتقلدهم من يفضهم على العصيان ويومهم الى الخروج على السلطان
تعرضا للبلاء وتحككا بالشقاء وتجرءا على سوء القضاء فابرزوا صفحة الخلاف
واخترطوا نصل الشر من الغلاف فلما راى السلطان انتقاض سجستان
على خلفائه وامنائه بادر اليها في عشرة الاف رجل من نخب العسكر ومعه صاحب
الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين والتونتاش الحاجب وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي
زعيم العرب وحصر المردة العتاة في حصار ارك ووكل خيول عسكره بجوانب
الاسوار واقتسم بينهم محال ذلك الحصار ونشبت الحرب بعد العصر يوم
سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وخاض السجزية غمرتها ساعة متوازرين على المدافعة
متظافرين على الممانعة والمقارعة حتى اذا اوهنهم السلاح واثخنتهم الجراح
لاذوا بالانحجار والاعتصار بسور الحصار وظهر اولياء السلطان على بعض جوانب
السور في ظلمة الديجور فنادوا بشعار الملك المنصور فانهزم الفجار وملك عليهم
الحصار وبسطت ايدي القتل والضرب على من نفضتهم الدور ولفظتهم المساكن

والقصور فمن رؤس منبوذة واعناق مجذوذة ووجوه مكبوبة وجماجم على الارض مصبوبة
وهام الآخرون على وجوههم يتساقطون من كسح الادبار في الانبار ويلوذون من رهب
الاخادع بالمخادع ويفزعون من شن الغارات الى المغارات والطلب يقطع
دابرهم ويلحق باوائلهم اواخرهم حتى خلت سجستان من غيث شرارهم وسلمت من
بث شرارهم وفتح ابنية تلك المملكة على السلطان فتحا ثانيا وملكا تاليا فلم
يسمع على الايام بمثله في غلق الظلام واستفاضت هيبة السلطان في اهل
سجستان حتى باتت لياليهم عن دبيب العقارب وصرير الجنادب وانشد بعض اهل
العصر على تقفية النصر يا ايها الملك الذي بذ المعالي يقتحم لازال الغر لك
باسمان اجل ثغر تفتتح وانشدني ابو منصور الثعالبي له في هذا الفتح
الشهير والفتح الكبير يمدح السلطان يمين الدولة وامين الملة
يا خاتم الملك ويا قاهر الاملاك بين الاخذ والصفح علتك عز الله من فاتح للارض مستول على الفتح
لك رايات تنطق بالنصر بل تكاد تملي كتب الفتح كم اثر في الدين اثرته يقصر عنه اثر الصبح
وكم هنى للملك شيدتها تثنى عليها السن المدح فاسعد بايامك واسعد بها الاعدا بالكبح وبالذبح
وكر فيها عالي القدح ممتع الملك على القدح ثم جعل السلطان سجستان طعمة لاخيه
صاحب الجيش ابي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين مضافة الى نيسابور ونواحيها ولايته
في بلاد الشرق فنصب لخلافته عليها ابا منصور نصر بن اسحاق وزيره ووكل بها
تدبيره ورضي لما تقدمه وتاخيره فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية واتقان السياسة
وانعام الحراسة بما تم من عدالة الزمان بثقافته وزينة الكمال باوصافه وعاد السلطان الى غزنة
الى بلخ على استيناف الجد في غزو الهند على ما سنذكره في موضعه ان شاء الله تعالى

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وانتقاله الى مملكته بعون الله ونصره بعد طول التقلب في التغرب

قد كان شمس المعالي اقام بخراسان ثماني عشرة سنة
يصابر الدهر على وقاحة وتنصف حالاته لم تغمز الحادثات قناته ولم تقرع
النائبات صفاته ولم تنتقص وانزاء الايام مروءته ولم تنتقض على اختلاف احوالها حبوته

ونجمه في السماء منحوس ولم يبق من اصحاب الجيوش وزعماء الجمهور من لم يضرب له بسهم في نوافله ولم يرجع الى
بحظ من عطاياه ونوافله ولم يخل منه احد من ذوي الحشمة بسلام الاحظى منه بالجام
والحسان والجنيبة الوان وافراس مطهمة حسان فعلى الاكتاف خلعه ولباسه وتحت
الخيام مراكبه وافراسه وحشو البيوت بدره واكياسه وقد كان آل سامان يفزعون
برهة الى مملكته حيازة لقصب السبق في اذالته على خصمه وافاء ملكه الحيل
فيقطعهم توالي الفتوق من كل وجه عليهم اصابة اغراضهم في امرهم والهمة تصير
التجارب مداراة المحنة حتى ينتهي زمانها وينقضي على التمادي اوانها اذ كان الاضطراب
في المحن كالاضطراب في حبل الخناق ما يزداد صاحبه على نفسه حركة الا ازداد اختناقا
وهلكة ومما ينضاف الى روائع شعره قوله قل للذي بصروف الدهر عيرنا
هل عاند الدهر الا من له خطر اما ترى البحر تعلو فوقه جيف وتستقر باقصى
قعره الدرر فان تكن نشبت ايدي الزمان بنا ومسنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد وليس يكسف الا الشمس والقمر ولما وطئ ناصر الدين
سبكتكين عراص خراسان واقدره الظفر بابي علي كونها ارتاج للقائه وما ينتجه
من نصرته واعلائه ثم اتفق له من الانقلاب الى بلخ ما حال بينه وبين مراده وقصر
مدة على جملته الى ان انقرض امر ابي علي بن سيمجور بحكم الشغل به وانحدر الى
طوس في طلب ابي القاسم السيمجوري فجدد عند ذلك شمس المعالي عهده به
والطف كل منهما صاحبه بما لا يفي به بيان ولا يتسع له حساب وحسبان وجرى
ذكر فخر الدولة صاحب الري واستظهاره ببدر بن حسنويه صاحب الاكراد
والفوارس الانجاد فاراد ناصر الدين سبكتكين ان يستظهر عليهم بكماة الترك ورماة
الحدق من كتائب الاتراك الخانية فارسل حاجبه الكبير التونتاش الى ايلك
الخان يستنجزه حكم الحال التي تفارقا عليها بما وراء النهر من الاتحاد في الوداد والاشتراك
في الملك بامداده لعشرة الاف رجل من نخب رجاله وشهب ابطاله وضرب شمس
المعالي وراه على ميعاد معاده ورجع ناصر الدين سبكتكين الى بلخ مستعجل الامر

ومنتظر الوصول العدد الذي فاستأثر الله به قبل ان عاد الرسول وتحين
المسؤل فحبط عليه ما صنع وضوح دونه نبت ما زرع وتوسط وجوه الناس
بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين شمس المعالي في اسعاده ورده
الى معاده على مال يقضي به حق عنايته ويضاهي حسن بلائه في تخفيف رجائه
وتحين مكايد الغواية فاطمع الوفاء به لغاية شهر من زرايه بجرجان لمكان يحمله
بجمل ما يلتزمه على ما يدر له من اجلابها ويحصل من اخلافها وانه يحاشي بعد انتقال
الملك اليه خبط رعيته بالحيف والعسف الجأ عليها بمرود الحزن
والنسف فاعمل السلطان يمين الدولة وامين الملة ما اهمه من امر اخيه وشغل
الخاطر باخيه عن تقديم اظهاره وتعجيل رده الى اوانه فاستمهله ريثما
يكفي ملامه ويقتضي الشغل عرامه وسار الى غزنة حتى يسر الله له اثباتا
ودا اوى على يديه جراحها وكان ابو القاسم بن سيمجور مقيما بقومس فلما
مضى فخر الدولة لسبيله انحاز الى جرجان متغلبا عليها وكاتب شمس المعالي
قابوس بن وشمكير في الاستعداد اليها ليقوم بتسليمها اليه وتقريرها في يديه
فسار على سمت الروغد حتى اتى جرجان وابو القاسم بن سيمجور باستراباذ
وقد جهز من الري ابو العباس فيروزان بن الحسن في جماهير المشاهير
من قواد الديلم والاكراد وكان قد اطمع ابو القاسم من جانبه في ولاية
قهستان وهراة وامر بمعاودة خراسان للاعتضاد به والاستظهار
بخدمته وعديده فجرد عزمه للانصراف فضرب تلك المواعيد بالاخلاف
غير حافل بما لحقه من الكدر بخذلان من جشمه نصرته واستقلته على ما تحت يده
وقدرته وسار نحو اسفرائن فانقلب شمس المعالي الى نيسابور على جرم
النهل استيفانا بالوثوب المقتطف الرخا ويختر في الحال ترتبهما بما حوته رحم
الليالي من جنين المقدور في كلاءة الله الميسور على المعسور ولما راى امر آل
سامان مختل النظام مختلة العراقي والاوذام ولا تزداد على الرقع الا خرقا

وهل الرأي إلا فيما تمخض الرأي فيما يقيم ما مال من أمره ويحوش عليه ابد ملكه
وكانت زبد مخضه أن رتب الأصبهبذ شهريار بن شروين الجيل شهريار
لاستصفائه ثم سار نحوه بمن تحت لوائه وعلى الجبل يومئذ رستم بن المرزبان خال
الأمير أبي طالب رستم بن فخر الدولة صاحب الري فتناهدا للقتال على تصميم
في الاحتراس بالتراس والادراع لباس الباس وشد عليهم الأصبهبذ شدة شردتهم
بين المهامه والدكادك وأقحمتهم لهوات المعاطب والمهالك وأصاب
منهم غنيمة جسيمة بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة وأقام الخطبة بالجبل
على شمس المعالي قابوس بن وشمگير وكان باني بن سعيد أحد أعيان الجيل
وشجعانهم مقيما عند الاستندارية في طوائف من أضرابه يتابعهم في
ظاهر الأمر وناظرا إلى موالاة شمس المعالي من نقاب السر واتفق أن نصر
بن الحسن بن فيروزان لفظته المضايقة بناحية الديلم إلى حدود الاستندارية
فطمع في مطالبتهم عليها ومن احمتهم فيما نقل من جمرات أنيابها بمن طرده
عنها وقبض على خاله أبي الفضل اصفهبد فبعث به إلى اردن وما يلي ذلك
بباني بن سعيد نصرا انتساعا على نصف أهل ربها أبو العباس الحاجب في زمان
الفتن من عسكر الري فأجلياه عنها هزيما تقفوه الصفاح وهشيما
تذروه الرياح وطير عند ذلك كتبه إلى شمس المعالي بذكر الفتح الذي
أتيح على شعار موالاته واستشعار طاعته وموالاته وإظهار التنصح باستطلاع
راياته فقصد عن نيسابور سائر العسكر نحو جرجان وتحيز باني بن سعيد عن مضامة
نصر إلى استراباذ مجاهرا بشعار صاحبه وتجمع إليه من أبناء الجيل من كان
يسلك شعب هواه ويستلم ركن طاعته ورضاه وكتب شمس المعالي إلى الأصبهبذ
بالانضمام إلى باني وجمع إليه الجيش فيما تبع وأجرد الشد على عضد
بنا ابرد واصدر ففعل ما أمره وتسامع أبو العباس فيروزان بن الحسن
بنابيهما وهو مقيم بجرجان فنهض لكفاية أمرهما وإخماد ما التهب من

جمرهما

جمرهما نحو استراباذ ونبتت فيهما حدود القواطع من حديد المدارع
ومدارق الزرافات من مفارق الهامات وكادت الهزيمة تشتمل بأصحاب باني بن سعيد
لولا انقلاب الأكراد والعرب في عسكر الديلم عليهم ببيض الظبى وزرق
العوالي المساعد بن بهار شمس المعالي فانهزم أبو العباس فيروزان بن الحسن
بمن معه فتركب الطلب أكتافهم فأسر هو ونيفا عشر من نظرائه من وجوه القواد
في جملته وأسرى بقية الفل نحو جرجان وقد تقدم إليها قابوس بن شملين
الأمرين خركاش أحد أقاربه فوافى انهزامهم إليها إطلاله عليها وتسامع
الفل به فتفجروا ازمة وعوسلا وضلوا فلا يستطيعون سبيلا واضطروا إلى
استئناف الهزيمة زرافات على ثبرج وملجانوز جرح وخوطب شمس المعالي قابوس
بخبر الفتح وما هيأه الله له من عظيم النجح فسار إلى جرجان وقد شرح الله
صدره وجلا عن الكسوف بدره وتنسخ باليسر عسره وزاد على القدر قدره
ودخلها في شعبان سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ولبعض كتاب أهل العصر عند
زفاف الملك إليه قصيدة أولها

الملك ما لم يعنه الجد غدار ... والحزم ما لم يزنه الصبر خوار
وللكريم إذا الأيام زلن به ... عن المنى بثبات النفس أعذار
كم فاضل وجنان المجنون به ... حيفا على حسك اللأواء جرار
وكم جريح قريح القلب ذي عبر ... وكم قتيل وما للسيف آثار
وكم فقير بلا جرم وخائنة ... وكم غني وللأيام أدوار
سير سريع ودور غير منصرم ... نصب العيون ودون الغيب أستار
وكان يخبر حال الدهر دائره ... لم تنبه عن عيار الحال أخبار
وإنما حاصل الأيام مختبرا ... تنجيز راض عن التحقيق تيار
بنى الزمان على من اصطبار له ... وربه الملك في العسر صبار
فاصبر هديت فإن الصبر منجحة ... ومن ورا ظلام الليل إسفار

والدهر ذو غِيَرٍ أصلٌ له نُوَبٌ ... عُسرٌ ويُسرٌ وإحلاءٌ وإمرارُ

والبدرُ يُدركه التمحيقُ منتقصاً ... ويجلُه بضياء التمّ أقمارُ

والنارُ في خلل العيدان كامنةٌ ... وسقطها باقتداح الزند سيّارُ

والجِدّ يُطبع كالصمصام ثمّ له ... من صيقل الدهر إجلاءٌ وإشهارُ

هذا ابن شمس المعالي في سيادته ... له مع الفلك الدوّار أخبارُ

أعطاه من غرر الآمال ما قصُرت ... عن نيل أمثالها في الدهر أعمارُ

مُلكاً وعزّاً وعيشاً راغداً وعلى ... ودولةً ضمنتها نصرٌ وإظهارُ

لمّا كساه دروع الحرص ثانيةً ... فلم يجد منه غير الشكر يختارُ

أبدى نشوزاً عليه كي يجرّبه ... بالصبر والصبر للأحرار مسبارُ

حتى إذا ما قضى من شيمه وطراً ... وللأمور نهاياتٌ وأطوارُ

أمسى لعادته ما أرضاه من خفرٍ ... وخدّه بدم التشوير فوّارُ

فالدهر خادمه والحرص صارمه ... والرأي رايته والخلق أنصارُ

قرمٌ يقضي حياة العالمين به ... كأنه الشمس والأعمار أقمارُ

راح الكرام إلى أوكارنا سلفاً ... كأنه الليل والأحرار أطيارُ

له المعالي سماءٌ والندى شهبٌ ... والمجد ساريةٌ والجود أمطارُ

علاه كالليل والمصباح همّته ... ونقله الجود والآمال سمّارُ

وفيها

تراه تنهزم الأموال عن يده مثل انهزام العدى عنه إذا ثارا

ومجد الدهر قنّاصٌ لهمّته فالجود بازله والصيد أحرار حباه بوتاج السيف ممتزج

وعدله في حزون البأس مبتسماً ... يثنيه إلى الفرد من منتسب وقع سطوته في حرم النار

يوم الهياج صفاح البيض ظلّته والجو من لهب الطعنات ممتد يا أنس الحرب والأرواح راقية

الخطّ التراب يطرف العضب نظّارٌ يرين من دفع العثار سطاها إذ تتبعها جوائح الخيل ثوّار

تنادرت أنجم الأفلاك سطوته إذا الرماح من الأرواح تمتار نهراً في دجنة الأصوات سنّة

ومن تحت جنح الظلماء ثقافٌ للمسرى بينها في الخصب منطقه يبغي رضاه وللمرّيخ زنّارُ

كفته روعته أمراً بمصلحةٍ فما يزيد على الخطور ديّاراً وقد فاض على الظلماء هيبته

فما يضرّ جارٌ له الباس صارمه إن السلامة إن لو ألهمت نطقت يا ربّ أنك لي من سيفه جارُ

يا أيّها الملك الميمون طائره ومن نداه كفيض اليمّ زخّارُ إن الزمان عروسٌ ما لها ابتكار

سوى حصا الرمل مشّاطٌ وعطّار الفعل عندك في وجه الندى كلفٌ يحيم في غرّة الإقبال أدبارُ

ترى العدى من نبات الكيد صائبةً فإن مولاك الحرب إذ تارَ كان ما قدّر من أجفن ظالمه

وما رميت به وحيّ ثديك تحيى وتلتهب الأوتار أمنيّة كأنما أجمت الأوتار أوتارُ

لا زلت في نعمٍ تفضي إلى نعمٍ ... ما طاف حول فناء البيت عمّارُ

لا زلت في نعمٍ تفضي إلى نعمٍ ما طاف حول فناء البيت عمّار
ممتّعًا بسرورٍ غير منقرضٍ حتى يفوق نجوم الأرض أغوار

ولأبي بكر محمد بن العباس الطبري المعروف بالخوارزمي فيه من قصيدة
يمدحه بها وقت مقامه بنيسابور

قامت تودّعني بالأدمع السُّجُم والصمت بين يديها وبين فم
البين أخرسها والبين أنطقها وهذه حالة في الناس كلهم
قد طال ما انهزمت عنا السيوف فلا تجاربينا بجيش الهمّ والغمم
وقد خلعت لجام الاتّباع فلا تلفى تسوّا القنا في ذمّة اللُّجُم
لم يبق في الأرض شيء أهاب له فهل أهاب انكسار الجفن ذي السقم
أستغفر الله من قولي غلطت بلى أهاب شمس المعالي أمّة الأمم
كأن لحظك من سيف الأمير ومن حتم القضاء ومن عزمي ومن كلم
قال الأمير لأخلاق الكرام قفي بحيث أنت فما زادت على نعم
وقال للعلم والآداب لا تردا إلا على فما فاها بلا ولم
القائل القول لو فاه الزمان به صارت لياليه أيامًا بلا ظُلَم
والفاعل الفعلة الغرّاء لو مزجت بالنار لم يك للنيران من حمم
لا تحفلنّ بنضوبٍ لما في يده فقد تجفّ ضروع العارض السجم
قد يجزر البحر بعد المدّ تجربةً ويترك الجذب كرّ الأجدل القطم
ولا يغرّنك أن الدهر جاربه قد يغدر السيف يوم الروع بالبهم
الآن إذ غدت الدنيا بحشمته وقابلته صباحًا أوجه النعم
ترنو إليه فتخفي شخص منقبضٍ لما جنته وتغضي طرف محتشم

وقال للعلم والآداب على النهي بقوله لا تردا إلا عليه والأمر بالمجيء إليه
والمراد ذمهما بحيث لا تردا إلا أهل العلم والآداب الأعلى ولا تنفذا
إلا إليّ فامتثلاه في الحال غير معترضين على أمره ولا متعرضين
عن حكمه

قوله لا كرّ الأجدل القطم لا أجدل الصقر
والقطم الذي يشتهي اللحم من قطم الجوارح
والرجل إذا اشتهيا اللحم وسمي الجوارح
القطامي بالضم والفتح لضراوته
باللحم يريد أن أصحابه وقلة ماله
ليست بدع كالبحر ولشيء تعرفه
من المعرفة والضمير المنصوب
فيه للمدح المعني قلة العدد
ربما يعرض للصقر وإن كان
قطاما لأرزاق بمشاد بر الله
لا يزيد في الجلادة ولا ينقصه
الجلادة

اذا دعت نحوه ساقا نهت قدما والعمر يذهب بين الساق والقدم

خبري تقرّ بها حال تبعدها كذا يكون رجوع الآبق الندم

وله بيت من قصيدة اخرى يقول في نسيبها

شموس لهن الخدر والبيت مغرب فطالعها للبين والهجر غارب

ولكنها شمس المعالي خلافها مشارقة ليست لهن مغارب

وما يقبول الشمس الا وقد راوا فانك شمس والملوك كواكب

اقول لزوار الامير تحطّوا فمن زاره من راجل فهو راكب

وان زاره الفرسان كنت كفيلهم بان يرجعوا والخيل فيهم جنائب

الا ابلغا عني الامير رسالة تدل على اني على الدهر عاتب

الى لم يحل المرء شلك بلدة بها منبر فيه لغيرك خاطب

عليك بهذا السيف فاقض ديونه فللسيف دين عند كفك واجب

فلا يقعدن تغضي الجفون على القذى وفي الارض كوفي ورجّ وحاجب

غريمك هذا الدهر فالزمه لا تغترّ فلن يوقظ الغرّام الا المطالب

وانت ابن عم السيف بل انت عمه وكيف يخاف الاقربين الاقارب

اليس ابوكم وشمكير وجده زيار ومرداويج عمّ مناسب

تحرّك بنا اما لواء ومنبر واما حسام كالعقيقة قاضب

وللقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني فيه من قصيدة اولها

رسالتك بالدمع الذي حرت بعده تذى ناظري من بعد ان كنت ملعبي

امسري خيال الهاجر المتجنب ومجري دموع الزائر المتطرب

اعني على عين اذا ما وعدتها بقربك قالت للدموع تاهب

ولما تداعت بالغروب شموسهم وقمنا لتفريق الفريق المغرب

تلقين اطراف السجوف بمشرق لهن واعطاف الخدور بمغرب

فما سرن الا بعد دمع مضيّع ولا قمن الا فوق قلب معذّب

كان فوادي قبر قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المتاشب

همام يراه المال اسرع جاريا الى حتفه والقرن اخوف معطب

يفض العدى اطراقه قبل عزمه ويطرقهم رعبا ولم يتاهب

وفيه يصف الزانات

وزرق على سمر تطل اذا هوت تلاحظ اعقاب الشهاب المذنب

ترفّعن عن طيش الرماح وزولة السهام وتقصير الحسام المجرّب

تخرّن ظبات البيض ثم وصلنها الهن من سمر الرماح بالكعب

فلن منال السهم في متبعّد وقمن مقام السيف من متقرّب

فتى ما تلاقت همتان بصدره ولا يشهد الخلّى برأي مشعّب

له الهمة العليا والمنصب الذي يتبعه الجوزاء الحاظ متعب

اذا بعض اطراف الرجال تقاصرت عن المجد الفوه كهم التقلب

يراجمهم من شمكير عمك ومن سلف الاصبهبذين بكوكب

ويذهب من مجد وعز ومفخر باثار مرداويج في كل مذهب

وما خلصت للمرء مسعاة والداء المتقابلة بخال مهذب

كلا طرفيه يرجع الطرف خاسيا اذا رامه عن كل اغر محجب

يجوز بخالي اردشير بخاله ويعلو الرّبى عن شاوساسان بالاب

وللعتبي في الهمة بالقوم الى الرى على جملة الانكسار وذلة

الاقتسار وسنة القتل والإسار قطع عليهم سياط العذاب والتعنيف
وملئت عيونهم من نفثات التعيير والتشوير وكان ابو الحسين علي بن
احمد بن حموية على الوزارة فاختار عشرة الاف رجل من الديلم
وفتاك الاتراك ونخب العرب وافراد الاكراد من القواد وسار
بهم في منوجهر بن قابوس وبيستون بن تجاسب وكيا بن فيروزان
ورشاموج بن اخت عظيم الديلم وموسى الحاجب وشابور بن كردويه
وابي العباس بن زجاجي وعبد الملك بن ماكان وهؤلاء رتوت الجيل والديلم
حتى اظل على جبل شهريار وبلغ شمس المعالي اقباله فاستضم اطرافه
واستظهر بشهريار استعدادا لمواقعته وتنجزا لوعد الله في نصرته
وتثبيت دعوته واستتمام ما اعاده اليه من نعمته وجاذب ابو علي
بن حموية مملاة نصر الحسن بن فيروزان شمس المعالي قابوس بن
وشمكير وانقطاعه الى جانبه فواصله بكتب نافثا في عقدته فاتلا
في ذروته نافخا بسحره في سحره وملقيا اليه ان القرابة الواشجة
بين ابي طالب بن فخر الدولة وبينه لو صادفت منه حلمها في الاشفاق
على دولته والانتداب لنصرته لكان احق الناس بسياسة اجناده
وزعامة ممالكه وبلاده وانه الان متى سلك طريق الخدمة وجانب
جانب التهمة وحافظ على حرمة اللحمة لم يعدم ما يهواه من ترتيب
وترحيب وتنويل وتخويل وتفخيم وتقديم واذن له في الانتقال
الى قومس ان يدبر امورها بمقتضاه فارتاح نصر لما شامه من
تلك العقيقة ووثق به على الحقيقة وسار نحو سارية ثم قرض اليه
ذات اليسار وركب ذات اليمين مما يلي طراشك وابا كان حتى اذ انطوى

رتبة قومس اذاع في اصحابه راية في طاعة ابي طالب وانه ما عاش
رتين خدمته ونصير دعوته فاختلفت عليه كلمتهم حين افصح بتدبيره
ورباح بسر ضميره ثم فر ثم رجع الى الاستندارية ونزل الى جرجان في
طلب الامان ودخل نصر في الباقين حتى اناخ بقومس وسال ابا علي بن حموية
تمكينه من بعض القلاع ليحصن فيه عياله واثقاله فمكنه من حصار
جومند داستوطنه واودعه ماله ومن معه ولما امن ابو علي شره
وعادته توجه نحو سارية على قصد جرجان فلما اطمأن بها اسرى
منوجهر بن شمس المعالي الى ابيه عائذا بالله عن عقوقه وكفران ما فرض
الله عليه من حقوقه فارتاع ابو علي بيستون بن تجاسب لاشتراكهما
في نسبة الجيل وارومة ذلك القبيل واشفق من صغوه القلم في خدمة
شمس المعالي وحثه اياه على معاودة سدته واهتبال الغرة في مراجعة
جملته فاخذ بالحيطة في اعتقاله ورده الى الري في وثاقه وانتدب الى
ظاهر جرجان مما يلي قبر الداعي رضوان الله عليه فعسكر به وتواصى اهل
الحفاظ والحمية والانفة الابية من اصحاب شمس المعالي بالترافد في
التجالد والتسابق على التقاتل والتماسك عند التعارك وشدوا احيازيمهم
على القراع وترعوا اطنابيهم للمصاع وناصبوهم الحرب طرفي الصباح
والرواح لا يسامون وقع الصفاح ولا يالمون لذع الجراح حتى
غبر شهران كيوم واحد في مغامسة الكريهة بين تكلف وبديهة
ومني عسكر جرجان بضيقة لانقطاع الميرة والمواد عنهم فاستغمموا

بالنفوس الشريفة وتبلّغوا طول تلك الايام بالبلغ الخفيفة موثرين شرف
المقام على شبع الطعام وردّ الشجاعة على سدّ المجاعة واصاب
الآخرين تلك الضيقة فانتقلوا من الفضا بقرب الدعى الى جانب
محمد اباذ اتساعا في العلوفات من جهة جياشك فتداركت عليهم الامطار
حتى اعوزهم الامتيار وماجت عليهم الارض بالطوفان فتساقطت الخيام
وساخت القوائم والاقدام وعندها برز انصار خجوين شمس المعالي
اهل الحقائق من وراء الخنادق واججوا نار الوغى بضاربة القشاعم ودواهية
الاراقم وثبت بعضهم لبعض من مطلع الفلق الى مسقط الشفق تحكمن
متون الصوارم في شؤون الجماجم وذوابل الصعاد في مناهل الاكباد
وزرق الزانات في سود المهجات حتى اذا زلت بقدم العصر اتى امر الله
بالنصر فحمل الجيل على الديلم حملة لم تستبق منهم طالب ثار ولا نافخ
نار واسر من عظمائهم اصفهسالار كورانكيج وزرهوا وجستان بن اشكلي
واخو محمد بن سالار ومحمد بن وهسوذان واشتملت المعركة على الف
وثلثمائة رجل ممن اضجعهم الحتوف وسطحتهم على الارض السيوف
وافاء الله على الجيل غنائم لا يستوعبها بيان ولا يستشبّها بنان ثم رأى
شمس المعالي ان يعزّ بمداواة الجرحى وبالفك عن الاسرى وضرّهم وراءهم
بالخلع والكرامات والحبية والصلات شكرا لنعمة الله فيما اولاه واكبارا
لقدر منته في تحقق ما رجاه وانشدني ابو منصور الثعالبي ابياتا له في ذكر
هذا الفتح الذي نظمه الله في سلك ايامه والحق الذي اقرّ الله في نصابه بدوامه

الفتح منتظم والدهر مبتسم … وملك شمس المعالي كله نعم
والعدل منبسط والجود منبجح … والشعب ملتئم والجور مصطلم
ألقت مقاليدها الدنيا الى ملك … ما زال وقفا عليه المجد والكرم
شمس المعالي وغيث المشرقين ومن … يليق بالعلى والملك والحشم
هو الامام هو القرم الهمام هو الـ … ـبدر التمام هو الصمصام والعلم
هو الغمام الذي تخشى صواعقه … قهرا وترجو نداه العرب والعجم
هو المقيم وقد سارت مآثره … كأن علياه من دنياه تنتظم
والماء من جوده المأمول منسكب … والنار من بأسه المرهوب تضطرم
والارض من حلمه والريح من عزمه … والروض من خلقه للخلق يبتسم
الله جارك يا من جار حضرته … يلقى السعود عليه الدهر يزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا … وعاش بالفتح منشورا له العلم
يا من اذا اعتصمت صيد الملوك به … امسى واصبح بالرحمن يعتصم
أبل الجيل بذي بالعمر الجديد ودم … للملك تحت ظل الوثوق والقسم
وانشدني الامير ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي في ذلك لنفسه
لا تحسبن شمس العلى قابوسا … من عصى قابوس لاقى بوسا
نعم ولما بلغ ابو علي بن حموية توس منهزما من تلك المعركة
ارسل الى نصر بن الحسن بن فيروزان يسأله تعجيل اللحاق به ليتحاملا
على لمّ شعث الهزيمة وسدّ ما جاش من تخرّق تلك الكشفة القبيحة
ثم اعجله الطلب عن التوقف والتلوم فازحف نحو الري واتاه نصر

فلم يلحقه واستوطن سمنان وتتابع كتبه الى ابي طالب مجد الدولة رستم بن علي
فخر الدولة مستمداً لدعم ما تثلم في الخلل مجداً اذ تراخت المدة على استيناء امداده
واقتبال معونته وانجاده ثم امده بابن بلتكين الحاجب في زهاء ستمائة من شجعان
الغلمان تقوى بهم وتكثر بمكانهم ورماه شمس المعالي بابي سعيد في رجال من الجيل
وكتب الى الاصبهبذ شهريار بن رستم لمعونته وازاحة علته فصمد له صمد نصر
مرخياً عنان التحفظ ومغمضاً جفون التيقظ وقد كان نصر سد الطرق على
ابنائها ستر الخبر وسحبا الذيل الكتمان على اثره فاتفقت اناخة ابي ابن سعيد
عليه على حين تقطع من رجاله وتفرق من اكثر اصحابه فتناوشا الحرب ساعة
ونصر مستعجل وامره في القراع جلل ثم اضطره ابو ... الى الانقلاب على بارح الخيبة
ونشب الهزيمة فيمن تلاحق به وتراخى عنه من ذنابى عسكره وجرى عليهم من القتل والاسر
ما اعتد به نصر في مساعيه عند ابي طالب تتسلى به وجه حاله وجلا عليه صفحة
اقباله وانهض عند ذلك رستم بن المرزبان خال مجد الدولة ابي طالب في ثلاثة
الاف رجل لمدد النصر وعقدت له الاصبهبذية على جبل شهريار فتلقاه
نصر الى دنباوند وساعده على صعوده وامتلاك جدوده فلجأ الاصبهبذ شهريار
الى سارية وبها منوجهر بن شمس المعالي معتصماً بعقوته ومعتصماً بعروته فاصاب اغلا الزمن
غلاء عم بلاده وشمل الكافة داؤه وسببه بسط الايدي بالغارات وانتهاب ما
ادعته الرعايا للرمق من الاقوات فاضطر نصر الى الانصراف عن رستم بن المرزبان
للقحط الشامل والبلاء النازل فلم يتهنه الاصبهبذ عند انقلابه ان ركض
على رستم فاجلاه عنها الى جبل الري منخوباً منكوباً ومخذولاً مغلولاً

تصفقت له ناحيته وانحسمت عنه شذاة نصر وعادته وكان ابو
نصر محمود الحاجب قد الجأه بعض المحن التي دهته الى خدمة شمس
المعالي فمهد له كنفه وحكمه في اصطناع شرفه ووالى الرغاب
والصنائع اليه وملأ من الاموال يديه وسهل ركوب المطالب عليه
ثم رماه في وجه نصر بن الحسن مزاح العلة بقدر الكفاية من ذوي
البسالة والنكاية حرباً بكراً على يده وعواناً على ايدي اعوانه
ومدده ثم حمل على جموعه حملة شردتهم كل مشرد وطردتهم عن
اعين البيد كل مطرد وعلق في حبالة الاسر حسان بن الداعي وابن
هندو وغيرهما من اعيان القواد واصطف على جدالة الحرب من
القتلى ما شبعت به الضباع بل سمنت عليه الوحوش الجياع وانهزم
نصر من بين يديه الى سمنان وكان نصر على جلالة بيته وفخامة عشيرته
ورهطه مغرماً بالظلم مغرى بالحيف والغشم ووافقت ولايته
مدرجة الحجيج وزوار البيت العظيم وزمزم والحطيم فشملهم عنته
في كل سنة بوجوه من المطالبات المختلفة والمعاملات المجحفة
حتى انتشر عنه سوء الاحدوثة وحبط عليه جمال تلك الموروثة
ولعل عثار الزمان به عدوى ضجيج الحجيج عنه بالاستغاثة
حالتي الوقوف والافاضة وواصل نصر الري بكتبه في الاستنفاد
والاستنهاض من صرعة العثار فمد له في طول التطويل بانواع
التعليل والتأميل

مواعد كما اختب سراب المهمه القفر
فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر

وبلغه بعد ذلك أن مجد الدولة أبا طالب وشمس المعالي قد تصالحا
على احتيال في تحصيله والظفر به فتساقطا وضاق بالأمر ذرعا
ونمي إليه أيضا أن بعض قواد السلطان يمين الدولة وأمين الملة
وكان يعرف بارسلان هندوبجه والي قهستان قد أوقع بأبي القسم
السيمجوري وأجلاه عنها إلى الجنابذ فأغذ السير إليها على مظاهرته
والتحصن بأفقه ومضافرته وجعل يخطب في حبله ويفتل
في ذروته بحيله وختله ويزين له قصد الري بعد امتلاكها على
طالبيها ما لبث أن تغلب البنات في طاعته ودخل الهمو[?] في مشايعته
فاغتر أبو القاسم بتغريره وانجر في جريره وسار إلى خوار الري
فتلقاه من ثنى عنان الكتائب من غصبهم لهوات تلك المخارم
والمسارب ولما رأى أبو القاسم أن الأمر جد والطريق منسد
خلف وراءه عاضا على البنان منخزلا لعارض الحرمان وبلغ شمس
المعالي قابوس بن وشمكير انصراف نصر عن وجه الري فقذفهما
بعقارب الأكراد من كل جانب وزجرهم عن حدود مملكته
على عذاب واصب ولما رأيا أن الأرض تلفظهم يمينا وشمالا
وتنفيهم جنوبا وشمالا توامرا على قصد السلطان يمين الدولة
وأمين الملة مستأمنين إليه ومستعديين على الزمان بالمثول
بين يديه تيمنا بحضرته وتوشحا بجمال خدمته فأما أبو القاسم
فهرب على ما سبق ذكره إلى أن أودعه الحبس أسره وأما نصر
فأقام على الخدمة مدة إلى أن أمر السلطان بإقطاعه بيار وجومند
طعمة له فنهض إليهما وأبت عليه همته القناعة بهما فلم يزل

يضطرب في حبالته إلى أن خرج من الري وحمل منها إلى قلعة
استوناوند فجعلت عليه حبسا وساء ذلك مصيرا وقد كان[?]
شمس المعالي بعد ذلك يحنو إلى القلاع فيما بين جرجان واستراباذ
وما وراءها من إحاطة الخلخال بأرساغ البعير حتى
افتتحها بحيله ومكيدته ومراعاة لحقوق الاستسلام والتسليم
وكيده فصفت له تلك الولاية بحدودها وحواشيها وقلاعها وصياصيها
بما أعد من زيد المحقاب فيها واتفق بعد ذلك إخلاد الإصبهبذ
بجبل شهريار إلى جانب المجانبة في طاعة شمس المعالي قابوس
وادعاؤه الأمر لنفسه اغترارا بما اجتمع له من الوفر والنفقة
عليه من العدد الدثر والعسكر المجر فرمى من جانب الري بأبي علي
رستم بن المرزبان خال أبي طالب في صناديد الديلم وفيهم بيستون
بن بنجاسب المقبوض عليه من قبل في البطيحة بموالاة صاحبه
قابوس بن وشمكير فنصبت له الحرب قراعا ومصاعا وثقافا
ونقافا وكان عاقبة أمره أن كسر فأسر ونادى أبو علي رستم [?]
مكانه بشعار شمس المعالي لوحشة كان استشعرها من أهل الري
وأقام الخطبة فيها باسمه وكاتبه بذكر طاعته وشرح ما فتح
الله على يده وهاجر أبو حرب بيستون بن بنجاسب إلى الأرض المقدسة
من فيئة صاحبه وولي نعمته فانشرح صدره وقرت بالإياب عينه
وطاب بالإيناس والإحسان عيشه لو لم يعجله عن الحبوة حينه
وانضاف مملكة الجبل بأسرها إلى ممالك جرجان وطبرستان فولاها
شمس المعالي منوجهر ابنه سمي من لو عاش إلى زمانه لرد عليه عوارى

مفاخره ورجع اليه حلي آثاره ومآثره وانفتحت عليه بحدها على الرويان
وشالوس وما وراءهما من الحدود الاستندارية فصارت ولايته
تشرق بنور العدل والاحسان وتبسم عن ثغور الامن والامان ووصل
شمس المعالي السلطان يمين الدولة وامين الملة بكتبه ورسله في عقد
وثيقة يتحصن بها من ضروب النوائب ويستظهر بها على وجوه
المطالب وقدم بين يدي نجواه من انواع القرب والمبار ما خرج
عن الحد والمقدار حتى تأكدت العصمة وتأربت العقدة واشتبكت
الالفة واستحكمت الثقة وصارت جرجان وطبرستان الى سواحل
البحر وديار الديلم بحكم الحالة المتشجة كما جرى مما لكه التي يحتكم
عليها آمرا وناهيا ويتبسط فيها حاضرا وباديا فلله شمس المعالي
في همة له بين المجرة مجراها وفي بحار الكرم مجراها ومرساها فلم
يسمع في شيوخ الملوك باشرف منه قيمة واوطف ديمة والكرم
شيمة واصدق بارقة مشيمة واوفر عقلا وتحصيلا واظهر
جملة وتفصيلا واغذى للنفس بعفاف الحلمة واجرى للبدن بكفاف
الطعمة وقد فطم النفس عن رضاع الملاهي فلم يعرف اللهو ما
هو ولا البطالة ما هي علما منه بان الملك واللهو ضدان وان ليس
لالتقائهما تدان ولقد احسن ابو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب
في نصرة هذا الرأي بقوله
اذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا برج نجم اللهو والطرب
نعم ولا احرص على انصاف الرعية واخذ باطراف العدل في

٧٥

القضية واروع في الآداب والحكم واجمع بين ذؤابة السيف وذؤابة
القلم ورسائله موجودة في البلاد عند الافراد لكني اكتفي منها
بلمعة من بوارق بيانه وزهرة من حدائق احسانه اذكارا في تصفحها
ما يغني عن التكثر في هذا المكان بها فمنها رسالة انشاها في
الترجيح بين صحابة النبي عليه السلم بعقب رسالته القديمة وقرائنه
اليتيمة وهي

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان اصعب الامور واشرفها بين الجمهور هو الخروج بالنبوة في
الاستعلاء على الخلق بغير القوة لانه تقليب الوجوه عن القبل المعهوده
وادخال الاعناق في قلادة غير معهوده ومخاطبة الخلق عن الحق
الذي لا يدركه ابصار الخلائق وقد اعتلى نبينا صلى الله عليه وسلم
ذروة هذا الشرف وصار لمن سلف من الانبياء خير خلف وفاز بمزية
هذا الذكر العظيم واذاق العرب لذة النعيم ونقلهم الى الثروة
والغنى عن الفقر والفاقة واراحهم من عناية الجمل والناقة
وليس وراءه لابتغاء العلى امد فما فوق السماء للسمو مصعد ثم ضبط
الامر بعده زعيمه على نظامه واقامه في قوامه وهذا ما تولاه
ابو بكر رضي الله عنه حين وضع عمره من غير ان سلم الى احد
امره فانه قام به قيام ثابت القلب مستقل بمقاومة الخطب
غير مفكر في رد راد ولا مبال بمحاكاة مضاد حتى حمى حريم
الدين وجمع شمل المسلمين ولم يرض بان يثلم بيضة الشريعة ثلم ولا
ان يتغير من احكامها حكم فلقب خليفة رسول الله بابتدائه حياطة
دين الله ثم تحصين حوزة الاسلام من عوارض الفساد وعاديه الاعدا

وعاديه للاعداء والاضداد بالمجاهدة في استضافة ديار المخالفين
الى جانب الاسلام ومجامع المسلمين وصوما اتاه عمر رضي الله عنه
لما آل اليه الامر فانه صرف جهده الى الجهاد وكده على افتتاح
البلاد حتى اتسع نطاق هذه الملة وخضعت الرقاب لاهل هذه
القبلة فلقب امير المؤمنين اذ كان نعم العون لرسول رب العالمين
وتدفرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الامر الاعظم والشان الافخم
واطفا لهيب كل ملتهب على رغم من ابى لهب والتام بسعي الشيخين
شعب الامرين الاخرين وبلغ من الاحكام مبلغا ليس فيه مستزاد
ولا يشين بياض غرته سواد ولم يبق للتابعين سوى التمسك بدين
ممهد ومراعاة بنا مشيد فلم يقدروا على القيام به واجتنبوا
ورا اجابته ولما اتت الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه كان منه
ما كان من تبديل زي النسك بزينة الملك وتغيير سيرة الائمة
حين توسع في النعم حتى اجتنى ثمرة ما جنى وتيه به سوطا الى
ولما عادت الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه هاجت الرياح من كل
جانب وبدت الاوابد وتبدلت العقائد وتحول امر الدين من ملك
المغالبة ودول المقابلة المجاذبة ووقعت الخلافة في اخلاف وبرز
الشر من الخلاف وبقي علي رضي الله عنه على اضطراب لا يهتدي الى
مداواة داء الايثار مع شجاعته المشهورة ومآثره المأثورة
وانتهى آخره الى ما انتهى حتى جرى عليه وعلى عقبه ما جرى
فلينظر اذ كان الامر كذلك اهولاء احق بالقدح ام اولئك وقد
مضى القوم وآثارهم في الاسلام كالشمس في الاشتهار والهلال
في الانتشار

٧٦

وصنعهم صابح يجي على الفلاح وليس بايدي الخصما سوى النفخ
والصياح وقرات توقيعا له الى بعض الافاضل يستقبل به حضرته
ليتوخى مسرته مجال لمن سمت به همته الى قصد من تعلو عنده
قيمته ان يحوز على غيره غرجته وليت من سواه زيارته وتحيته
فاما خطه فخط المحاسن فيه ان شئت وشيا محوكا او تبرا
مسبوكا او درا مفصلا او سحرا محصلا وكان اسمعيل بن عباد
اذا قرا خطه يقول اهذا خط قابوس ام جناح طاوس فهو
كما قال المتنبي في هذا المعنى

في خطه من كل قلب شهوة حتى كان مداده الاهواء
ولكل عين قرة في قربه حتى كان مغيبه الاقذاء

ذكر الهدايا التي انعقدت بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين
الملك الخان في التواصل والتصاهر الى ان خلعت يمينه البشر وكشفت
عن عضد الشر

قد كان الملك الخان لما ملك السلطان
خراسان على الغدرة بال سامان اغتنم تطهيره ما وراء النهر عن كل
منتسب الى تلك الارومة ومتشبث بشعب تلك الجرثومة
فلم يدع هناك ناظرا لم الا قلمه ولا ذا جدال الا اجتاحه واصطلمه
ثم كاتب السلطان مهنيا له بما ذخر الله له من خالصة الملك
وصافية الملك وظاهره اليه من ظاهرة العز وباطنة الصنع و
معتدا لنفسه بما قطعه من عنقود رجائه ملاوه على صفقة اقباله
وعلاوة على جماله وترددا السفراء بينهما في وصلة تبل رحم الاكابر
وتوكد اسباب المودة والوصال وتحمي حريم النفقة في الجانبين

وترفع ستر الحشمة في ذات البين وتودي رتبة الاختلاط الى الامتزاج
وقربة الاشتباك الى الاتشاج فتصير النفوس واحدة والسواعد
على وجوه مصالحها متساعدة وانهض السلطان عند المامه كان
بنيسابور في طلب المنتصر ابن ابراهيم ابا الطيب سهل بن محمد بن
سليمن الصعلوكي امام اهل الحديث بها رسولا الى ايلك الخان ضم
اليه طغانجوق الى سرخس في خطبة كريمته عليه ونقلها في
صحبته اليه واصحبه ما عز العقد واخذ من سايرها كالعقبان
يواقيت كالرمان وعقايل الدر والمرجان وعرض الوشي والحبر
ونوادر البرود والحضر وصواني الذهب مملوة من بيضات العنبر
واواني الفضة منضودة بشمامات الكافور وغير ذلك من شارات
الهنود وقطاع العود وذكور النصول واناث الفيول تحت
حروج مغشاة بذوات التعارج من انواع الديباج منطقة
بعصايب تختطف العيون بريقها ويصطخب على الاقتاب معالقها
وعتاق ضوامر كالقداح يجردن لمتون الصفاح وغر كنجوم
الصباح وقوايم تخترق الرياح وسنابك كفلق الصفاح في
مراكب كان اجلى بعضها في قطع عقيق او شعل حريق وحلى
سايرها بنجوم الثريا والنثرة وبنات النعش من زوار المجرة
وقرن ذلك كله باموال على سبيل الالطاف تغمر ذوايب
الاوصاف فسار الامام ابو الطيب سهل بن محمد الى الخان كريما
ينقل كرمة ويحمل من بحر الترك الى ايران درة يتيمة فطلع
الى ايلك واهل بيته طلوع الحجيم طاب ايابة بعد ان طاب

وصف الهدايا

اعترابة والحبيب لطف اعتابه بعد ان قدم نحرة واجتنابه
اعطا ما منه بقدر وقد تاخر عن باب السلطان في ذلك المهم من
الشان ثم لفضله في نفسه فهو الامام المقدم والصدر المجلس
ومن لا يقرب الى رتبته ضرب في ابواب الفضايل وخصوصا في
خلافيات المسايل واقام باوزكند الى ان فرغ من امر الزفاف
وازيحت علته في الانصراف على جناح النجاح مصحوبا بمحمول
الترك من نقر المعادن ونوافج المسك وفره المراكب وعيس
الركايب وروود الوشقا والوصايف وبيض البزاة وسود الاوبار
ونصب الختو واحجار اليشب وطرايف الصين واحدث الحال بينهما
اتحادا فيه المرابح والنعم واستهم فيه الصنايع والخدم
وبقيت على جملتها في التاكد والتاكد الى ان نزغ الشيطان
بينهما تنغلت الضماير واحلت القوى والمراير وتولى السيف
تدبير ذلك الوصال بحل معقوده وفصل مسروده وسياتي
الشرح على الوقايع التي جرت بين السلطان وبين ايلك الخان
في موضعها على الاثر فاما الان فاني اشير الى نبذ
من محاسن هذا الشيخ السفير والكافل في الامر بالتدبير واتبعه
بذكر رجالات خراسان من اعيان رعايا السلطان يمين الدولة
وامين الملة ووجوه الفضل من اوليائه فمن منثور كلامه
قوله من تصدى قبل اوانه تصدى لهوانه
قول منصور الفقيه
الكلب اعلى همة وهو النهاية في الخساسة

وصف الهدايا

ممن ينافس في الرياسة قبل اوقات الرياسة
وقوله العقل اطيب عيش والعدل اغلب جيش
وقوله اذا كان رضا الخلق معسور الادراك فان ميسوره
لا يترك وقوله من تغافل عنك مع علمه بحاجتك الى
عونه وتوفيره طلب عليك علة اذا عاتبته على تقصيره
كانه الم بقول القائل

توقى الناس بان لي واتقى فهم تبع المخافة والرجاء
الم تر مظهرين علي عتبا وكانوا امس اخوان الصفاء
بليت بنكبة فغدوا وراحوا علي اشد اسباب البلاء
ابت اقدارهم ان ينصروني بمال او بجاه او براء
وخافوا ان يقال لهم خذلتم صديقا فادعوا قدم الجفاء

ولبعض اهل العصر فيه

الكلام الامام امام الكلام وفوه يفوه بحر النظام
مزاج معانيه في نظمها مزاج المدام بماء الغمام

وقوله

الا ايها الشيخ الامام ومن له تبلج انق الهدى عن فلق البشر
لئن كنت في الدنيا وانت شاحها غيابا فان الدر في صدف البحر
ولم تحو كل الدنيا لانك دونها ولكن لب الشي يحصن بالقشر
وقد صين نصل السيف تحت قرابه كما صين نور العين بالجفن والشعر

ومن اعيان رعايا السلطان نيسابور ابو نصر احمد بن اسمعيل
الميكالي وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال جملته

فضلا موفورا وادبا مشهورا وعزا معقودا ومالا ممدودا
ورايا كالزند يشار نارا وحزما كالمر مغارا ودهاء يسلخ
الليل البهيم نهارا ونظرا يستشف استار الضماير و
اسرار الضماير وشعرا انقى انسخ والجوهر ذكي المسك
والعنبر رضي المورد والمصدر فمنه قوله

باني العلى والمجد والاحسان والفضل والمعروف اكرم باني
ليس البنا مشيدا لكن شيده مثل البناء يشاد بالاحسان
البر اكرم ما حوته حقيبة والشكر اكرم ما حوته يدان
واذا الكريم مضى وولى عمره كفل الثناء له بعمر ثاني

فاما نثره فالسحر الحلال والعذب الزلال فمما يحلى بما
يحويه من لطف العبارة وحسن الاستعارة ومعسول الاشارة
والبشارة برياض ميثاء الى ترارة ومن منثور كلامه رسائل
منها كتب به الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير اقرانيه كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب العبد وحاله فيما يديمه مولاه من شرف اقباله ورضاه ويفيض
عليه من ملابس فضله ونعماه حال من تقبل عليه دنياه ويستظل
في ظل دولته باولاه واخراه والحمد لله رب العالمين
ووصل كتاب الامير موشحا بدرر خطابه وغرر انجابه وبدايع
بره وافضاله وروايع انعامه واشباله فما اكرم منح من عز
العيادة والبستني من حلل الفوز والسعادة وشرفني به من
التهنية على العافية المستفادة فاوصل عزا يبقى على الايام اثره

ولا يخلو عن الزمان ذكره ومفخره وفهمه العبد فهم من آنس
منه رشدا واقتبس من أثنائه قوة وأيدا وسجد لله شكرا
على ما أفاضه عليه من سجال السلامة ومدّ عليه من ظلال
الفضل والكرامة ورغب إليه في إسباغ العوارف عليه وصرف
المحاذر عنه فأمّا ما أهّل الأمير الجد له من شريف كتابه
ولطيف خطابه ورقّاه إليه من درجة العيادة أولا ومنزلة
التهنية ثانيا وإنفاذ القاصد به ثالثا فإنّ ذلك من نتائج
همّته العالية ودواعي شيمته الزاكية التي تحنو على أوليائه
وخدمه وتعطفه على أغذياء نعمه فليس له في مقابلة ما
أولاه ومعارضة ما كساه إلا الشكر يديمه والنشر يقيمه
والرغبة إلى الله يخلصها في إطالة بقائه وإدامة عزّه وعلائه
والنهاضة بمواجب خدمته ومعرفة قدر نعمته بمنّه وفضله
هذا ولو ملك العبد في مقابلة هذه النعمة على جلالة قدرها
ونباهة خطرها غير بذل المهجة والقرونة في الطاعة
القرينة في الطاعة واستنفاد الوسع والطاقة غاية لبلغها
تقرّبا إلى حقوقه بما يقتضيها ويؤدّي شرط العبودية فيها وحكم
على نفسه بالعجز والتقصير معهما وإذ قد حرم المراد فما يتمسّك
إلا بالرغبة إلى الله في أن يتولّى مكافأته بما لا يسمح به إلا
يده ولا يفي إلا مجده فهذا هو الكلام الذي ليس به عثار
ولا عليه غبار وقد ولي الفضل تحبيره وملك العقل رسمه
وتصويره والقليل منه على الكثير دليل وكلام الجليل
كبيرة جليل

قليلٌ منك يكفيني ولكن ... قليلك لا يقال له قليلُ

وقد أكثر الشعراء في مدحه لكني أثبت للخوارزمي أبياتا من
قصيدة أولها

زفّ المنام إلى طيفٍ خياله ... لو أنّ طيفا كان من أبداله
وفي [illegible]
ولو أنّ هذا الدهر يشكو لم يدع ... شكر الأمير وقد غدا من آله اشباكه
لا ينشف الحاج نائله ولا ... سؤل امرئ نهنهه عن إسآله
الوفر عند نواله والنيل عند ... سؤاله والموت عند صياله
برئ الخلق من سؤاله والجود من ... عذّاله والدهر من عمّاله
وفعاله كمقاله وشماله ... ليمينه ويمينه كشماله
يتجمّع الآمال في أنواله ... فيفرّق الأموال في آماله

ومنها

لا علم إلا عزّه في عزمه ... لا أجر إلا أجاله مرجاله
سمح البديهة ليس يمسك لفظه ... وكأنما ألفاظه من ماله
وكأنما عزماته وسيوفه ... من جدّهنّ خُلقن من إقباله
متلبّس في الخطب يحسب أنه ... من جنسه متلثّم لفعاله
هبني وفيت بقصده عن فضله ... من ذا يفي بالشكر عن أفضاله

وله أيضا من قصيدة أولها

تلك الديار زُرَيّنة الأحقاب ... صنعت بجنبي صنع ساكنها بي
وإلى الأمير ابن الأمير تواهقت ... زجي الركاب برازجي الركاب
لبس الدجى لبس الغراب لريشه ... وغدوا لحاجتهم غدوّ غراب

وقوله وعزايم المعنى ان له عزايم لو تجسمت من سدادها اسهما نفذت في
الايام ولم ينبوا عن صفاتها الحدة نصالها قوله يخطرن بين سياسة
البيت المعنى عزايمه يتبختر بين سياسة نكادتها ورياسة بسيادتها
ويتهن من التنبيه وهو تكبر مثوبة لمن احسن في طاعته وعقاب لمن اسا
في عداوته

والفجر يطرف والظلام كانه فضلات عتب في خلال عتاب
طلبوا امرا انعاله محسوبة ونواله نوضى بغير حساب
غدت المدايح وهي اسماله ولغيره اضحى كالالقاب
والمكرمات كثيرة الخطاب الا انها تابى على الخطاب
متبسم الحجاب مكتئب الجرى نثري الندم مجاز في الحساب
شيم ارق من الهوا والطف من خطا العدو وزدته بصواب
وعزايم لو كن يوما اسهما لنفذن في الايام غير نواب
ماينه الحركات الا انها نارية الاقدام والالهاب
يخطرن بين سياسة ورياسة ويتهن بين مثوبة وعقاب
قد اصبحت الفاظه صور النهى وقوالب الاسماع والالباب
واذا طلت له جنابا واحداجل المؤمل منك الف جناب

وما احد كان الا كما قال ابو الطمحان القيني
واني من القوم الذين هم هم اذا مات منا سيد قام صاحبه
نجوم سما كلما غاب كوكب بدا كوكب تاوي اليه كواكبه
اضات لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منا حيث كان مسود يسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومما يجد من مفاخره نجبا ان له ابو الفضل وابو ابراهيم
عبيد الله واسمعيل ابنا احمد كل منهما بدر في ضيايه وعلايه
وبحر في تياره وثمايه غير ان ابا الفضل ابرع في لطايف
الادب وانظم لقلايد العرب وقد سار له من النظم والنثر
ما يزري حبره بوشي صنعا وزهره بروض منشا فمن فصول

كلامه وصل كتاب الشيخ فاذعنت القلوب لفضله
بالاعتراف واختلفت الالسنة في تشبيهه ببدايع الاوصاف
فمن مدع انه رقية الوصل ورنقة النحل ومنتحل انه عقد
السحر وعقد السحر وقايل هو سلاف العنقود ونظم العقود
فاما انا فتركت التمثيل وسلكت التحصيل وقلت هو سما فضل
جادت بصوب الحكم ووشي طبع حاكه سن القلم ونسيم خلق
تنفس عنه روض الكرم وايضا وصل كتابك
وكان احسن من روض الربيع وربط الوشي الصنيع فلقيته
بحلية الاحسان والابداع وحلية النواظر والاسماع ومسن
الخواطر والطباع وصيقل الافكار والالباب وعيار
المعارف والاداب واجتليت منه تميمة فضل ويتيمة مجد
وثمينة عقد ولطيمة خلق وغنيمة بر تجلو صفحة العهد
وتجيل قدح الانس وتجل عن قدر الشكر كلام اعذب من
فرات المطر واعبق من فتات المسك والعنبر يزري بنور
الخمايل وقد عطرتها انفاس الشمايل ومن منثور كلامه
الفاظه اخلاقك قد اخذت من الورد عرفه ومن الند عبقه
اخلاقه هي المسك لولا فارته والورد لولا مرارته والما لولا
اسراعه الى الكدر والروض لولا حاجته الى المطر ووجهه
البدر لولا محاقه والمشتري لولا احتراقه هو عار من العوار
كاس من العلا وله الشرف اليفاع والامر المطاع والعرض
المصون والمال المضاع وله النوال السكب والراي العضب

يا لهفي على زمن التصابي . اذ الرشا الرشيق لنا صديق
وغصن شبابنا غض وريق ونقل شرابنا غض وريق

ومنه الإباء المر والكرم العذب هو واحد البشر وثاني المطر
وثالث الشمس والقمر لهفي على دهر اكداثه اذ غصن شبابي غض
وريق ونقل شرابي غض وريق النعمة عروس مهرها الشكر
وثوب صوانه النشر النعمة عنده تكتسي من لومه اطمارا
وتشتكي غربة واسارا وفي المغرور يرسف من الرغبة في
حلق ويجري مع الريح في طلق دارت رحا الحرب بين اعمار
تباح ودماء تستباح واجسام تطاح وارواح تسفي بها الرياح
فالسيوف للهامات دامغة والرماح في الاكباد والغة ومن

نظمه قوله

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكل اجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي ويا كبدي صبرا على ما كواك به

وقوله

ضاق ذرعي في هوى قمر قمر القلب وما شعرا
ليت اجفاني به سعدت فترى الجفن الذي فترا

وقوله

تفرق قلبي في هواه فعنده فريق وعندي شعبة وفريق
اذا ظمئت نفسي اقول له اسقني فان لم يكن راح لديك فريق

وقوله

انكرت من ادمعي تترى سواكبها
سلي جفوني هل ابكي سواك بها

وقوله

ان لي في الهوى لسانا كتوما وفؤادا يخفي حريق جواه
غير اني اخاف دمعي عليه ستراه يفشي الذي ستراه

وقوله

انا صديق لمن اراه مهفهفا لا طع فان يكن في دهرنا ذوابنة لا طهو

وقوله

لا تصحبن بالحيوة ذائقة فكل نفس للمنون ذائقة

وقوله

وكل اغنى بنية به غني تمتع بموت او زوال
فيجدي زوى لي الارض طرا اليس الموت يزوي ما زوى لي

ومن اعيان رعايا السلطان بناحية طوس وان كانت بنيسابور دار
قراره ومعتقد ضياعه وعقاره ابو جعفر محمد بن موسى بن
احمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي
بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين.

نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

وقد خدم ملوك آل سامان وعاشر وزراءهم وكتابهم والتقط
محاسنهم وآدابهم فالفاظه ينابيع الحكم واقواله مراتع العقول ومجالسه
حدائق الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل فلم يبق يتيمة خطاب
ولا كريمة صواب ولا غرة حكمة ولا درة نكتة ولا طرفة حكاية

ولا يفقره رواية الآدمي عرضه خاطره ونفقره هاجسه ونصبت تذكره
ومثال تصوره ولا تصدا صفيحة حفظه ولا تدرس صحيفة ذكره
ولا يكسف بدر معارفه ولا ينزف بحر لطايفه ثم هو واحد خراسان
من بين الاشراف العلوية في قوة الحال وسعة المجال واتساع
رقعة الضياع وارتفاع قدر الارتفاع واشتداد باع العز
وامتداد شعاع الجاه والقدر فقد كتبت عنه من نوادر الاخبار
والاشعار ما حكيت بعضه في كتابي الموسوم بلطايف الكتاب وساورد
الان نكتا مما قاله وقيل فيه ابانة عن غرر معاليه فمن شعره في

وشادن وجهه بالحسن مخطوط ... وخده بمداد الخال منقوط
تراه تدمج الصدين في قرن ... بالخصر مختصر والردف مبسوط
لو كان ادركه لوط النبي لما ... نهى لنا ابدا عن مثله لوط

وقوله

ندبت غزالي نحو ملكي حقيقة ... يلذ به عيشي اذا نابني هم
جميل محياه وكالغصن قده ... لطيف سجاياه وليس له خصم

وسمعته يقول حال الجاهل في التدبير كحال الحمير ما لها همة غير اعتلاف مرعى
التبن واتيان الاتن وجرى حديث الوقود والشمس في الشتا فقال

ولا كالسعدان هيهات اين تقع الام الرابة من الام البارة يعني
ان الوقود يلفح ما يقابل البدن بشرره ويدع سايره على خصره
فاما الشمس فانها تقسم الدفء على البدن بالسوا ليشترك فيه
ظاهر الاعضا وباطن الاحشا وقد اكثر الشعرا والادبا فيه فمن ذلك

انا للسيد الشريف غلام ... حيث ما كان فليبلغ سلام
واذا كنت للشريف غلاما ... فانا الحر والزمان غلام

ولابي الفضل احمد بن الحسين الهمداني المعروف ببديع الزمان

انا في اعتقادي للتسنن رافضي في ولاء آلك
وان اشتغلت بهم فلست اغفل عن اوليك
يا عقد منتظم النبوة بيت مختلف الملايك
انا جارك ان لم اكن عبدا لجدك وابن جارك
يا ابن النواظم والعواتك والترايك والارايك

ولبعض اهل العصر فيه

يا عيد البرية عيد المهرجان اتى
اهلا بعيد اتى عيد يهنيه

العيد لألاؤه يبقى الى امدٍ   وعيدنا دائم اللألاء باقيه

لازال سيدنا فى ظل دولته   وظله دائما ممن يواليه

محكّما فى رقاب الارض قدرته   يجنى له ثمر الاقبال جانيه

اعشاره المجد والبشرى بحالته   خرّاجه الدهر والدنيا جوابيه

وبنى بنيسابور دارا فتنافس اهل الفضل فى ذكر بناها ووصف شرفها وسناها فمن ذلك قول البديع الهمدانى فيه

دار قسمت عراصها   تحكى الاباطح والرصافه

من المروّة والنبوّة   والخلافة والضيافه

فيها المصاحف والمعازف   والسلاف والسلافه

لازلت يا دار الكرام   مصونة عن كل آفه

وفيها لابى عبد الله الغواص

يا دار سعدٍ قد علت شرفاتها

بنيت شبيهة قبلة للناس

لورود وفدٍ او لكشف ملمّة

او بذل مالٍ او لادارة كاس

فهي [illegible] الارض طرا اليس [illegible] وكم لى

ومن افاضل العلوية ابو البركات على بن الحسين بن على بن جعفر بن محمد وهو الملقب بحمور بن الحسين بن على بن محمد وهو الملقب بالديباج المدفون بجرجان بن جعفر بن محمد الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب امير المؤمنين رضوان الله عليهم اجمعين نسب تواردت كابرا عن كابرٍ كالرمح انبوبا على انبوب وقد جمع الله له بين ديباجتى النثر والنظم فنثره منثور الرياض جادتها السحاب ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب فمن نثره

فصل له احب ان تكون مكاتبتى للامير انفا لم ترتع وبكرا لم تفترع وسائبة لا تركب ولا تحلب فلا اشوبها بارب ولا انتسب اليها بسبب بل هي خطرة لا يشينها طمع ولا يشوب دعواه عنت ولا طبع على ان الاضطرار يغتفر فى وجه الاختيار والعذر فيه مقبول عند ذوى الاخطار والاحرار وفلان يستنجح الجواد

ولقد نشر جرايد شكره واظهر محاسن النشر خبا بارده فلا
المرض شآ والسادعا وعادة الامير ان يحيي الآمال ويسترق
الاحرار فليجعل شكرنا هذا الامل محظوظا ولا يجعله محظوطا
ان شآ الله تعالى وله ايضا رقعتي هذه وانا عابد
معود وقاصد بالزيارة مقصود اخاطب اصدقائي بما اخاطب
واكاتب اخواني بما اكاتب سمائي وقدة وارضي رعدة تنتابني
الحمى ولا يفارقني الشكوى نفسي نفسان ونفسي نقصان كان
الحول شاطرني فصوله فبلت غرته وحجوله فالربيع من عيني
والصيف في خيشومي والصيف كامن بين صدري وحلقومي وما عرفت
لعلتي هذه سببا الا اني رايت نفس الجرية متشكية فشاركتها
في شكواها ووجدت عين الكرم والكمال شاذية فاحييت عنها
اذاها وقلت ممثلا الا متمثلا ويعود سيرنا وسيدغيرنا
ليت التشكي كان بالعواد ثم ذكرت ما اعد الله تعالى
للعباد من ثواب العلة في المعاد فاستصغرت عند ذلك ما
استعظمته وسهل مسلكي وان استوعرته وقلت نعم الله
تلك النسمة من العلة واعطى الشيخ بها امانا من القلة واعمى
عنه ناظر الزمان ولا طرق له فنائه طوارق الحدثان وتمنيت
اني واصلت غدوي برواحي في زيارة الشيخ مشاهد الجالس
واقبال نحو البر والاذلال وتذليل من العيز والنزوات
وعلى حالتي هذه فاني استريح الى خبر سلامته واجعل نفسي
فدا منه وله ايده الله باهدائه اليّ بدا ومنة ورايه في

اتحافي به موفق ان شا الله تعالى ومن نظمه قوله

واغيد سحار بالحاظ عينه حكى لي تثنيه من البان املودا
سلبت بذكراه عن الصبح ليلة اسامره والكاس والناي والعودا
ترى انجم الجوزا والنجم فوقها كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وكتب الى ابي بكر الخوارزمي

لئن كان ذنبي اني اعتللت فذلك ذنب صغير صغير
وان كان يجرى من اجله فذلك ظلم كبير كبير
صدودك عني صدود الحيوة وصد سوالك يسير يسير
فزرنا قليلا تجد شاكرا لديه القليل كثير كثير

وله ايضا في وصف اللقانق

فان كنت تهوى اليوم اكل اللقانق فبادر الى امثالها جيد الخوانق
الجامع اللذات طيبا وجودة قضى حق قطاه بصنعه حاذق
تراه على المسفود عند صلائه كزنجية زينت بحلي المخانق
فبعض تدلى كالوشاح وبعضه منوط عليه في محل المناطق
فانجح لقيت الخير في حاجة امرئ وفي بشرط الود غير مماذق

ومن افاضل اضرابهم ابو القاسم علي بن الحسين
البراوي الهروي ومن عندي من يستحق ان يقال فيه ما قاله الصاحب
لبعض من كان يجاليه لولا ان قدرة الله عندي جلت
واجد لقلت ليس في القدرة وجود مثله في كماله وفضله
جاوز السبعين وبان من الثمانين واحد الايام منثورا ومنظوما
ونابغ العمام معقولا ومعلوما يثبت للعلم حاكما وشابا

على العلى مخدوما فمن منثور كلامه فصل له من كتاب
وصلت ملطفة الشيخ فلطفت الغليل بردته ووجه
بصبغ الارتياح وردته بخبر سلامته التي نسيمها عندي
نسيم الجنان والوسيلة الى السلوان وقوله فصل
كيف لا اعتد بصنع الله لي في تخلية وده وعقيلة عهده
وتقبلي في الله اخا حين عز الاخاء وعدم بين الاوداء
الوفاء وكاد لا يصدق في وجودهما رائد ولا يظفر بهما
مضل ولا ناشد واصبحت المصافاة مخاتلة ومخاترة والمخا
مكاشرة ومناجرة وقد كان المتحابون في الله اقل من
القليل والاسلام عليه رونق الشبيبة وموفي بردته القشيبة
وله فصل من كتاب كلامي في مخاطبة الشيخ كماثل الانعكاس
شعاع الناظر ورد الفوارة ماء الغمام الماطر على المذهب الذي
ذكره علي بن الجهم في صفة الفوارة

ترد على المزن ما اسبلت على الارض من صوب امطارها

وله من فصل كان كل مجلس من مجالسه للانس روقا وللازدياد
مشوقا فكان مرويا مظميا وموقدا مطفيا ومما انشدت له
من قلائد شعره وان كانت كالحصى تمثيلا تجل عن الحصا اجمالا وتفصيلا
قوله

ربما قصر الصديق المقل عن حقوق لهن لا يستقل
ولئن قل نائل فصفاء في وداد وخلة لا تقل
ارخ سترا على جفاه بري هتك ستر الصديق ليس يحل

وقوله

قالوا اترفق في الامور فانه نجح ومري الدر بالابساس
ولقد رفقت فما حظيت بطائل ما ينفع الابساس بالايباس

وقوله

واخلاق كاطراف الزجاج رفقت بهن رفقك بالزجاج
الى ان عدن زبدا بشهد كذاك تكون عاقبة العلاج

وقوله في مرثية ابي سليمن الخطابي رحمه الله

انظروا كيف تخمد الانوار وانظروا كيف تسقط الاقمار
هكذا هكذا تزول الرواسي هكذا في الثرى تغيض البحار
اوحد الدين والمروة والفضل رمته بسهمها الاقدار
مات من لم يكن لدنياه فتك بنجاه ولا عليه اقتدار

وقد وصف ابو الفتح البستي فضله في ابيات له

ابا القاسم استعبدت ودي بتالد تلاه بلا من لديك طارف
واضعفت شكري حين ضاعفت انعما وقد يضعف الشكر الجنى المتضاعف
اما لي كتاب منك فيه طرائف يهيك من اطرافهن الطرائف
صحيفة احسان تخر لحسنها سجودا اذا ما لاحظتها الصحائف
فواصلني منها شباب مساعد وطاوعني منها زمان مساعف
واصبح منه عاذلا وهو عاسف عادت رخاء ريحه وهي عاصف

ومن اعيان نجوم الدولة ابو نصر العهمي محمد بن
عبد الصمد الشيرازي الكاتب ابن الكاتب والنقاب ابن النقاب
المناقب والبحر ابن السحاب والبدر ابن الشهاب والنار التي
لا تخمدها المذاكاة والسيف الذي لا يألف القراب مضا والسعد

الذي يلي وتبدا السماء زكاء وبهاء فعطارد تلميذ فكر آيته والمشتري مشتري سعادته وثاقب النجم عبد ذهابه وشارق الشمس خادم رايه ورواية خدم ابوه ابو طاهر حسام الدولة ابا العباس تاش على ديوان اسراره بازغا في الصناعة صناعا في البراعة مخلوقا لفصل القول مرموقا بعين الطول يناضل الصاحب اسمعيل بن عباد فيخرق عليه قرطاس الادب ويساجله فيملا الدلو الى عقد الكرب مصعب المصعبي يضاهيه ولا الموصلي يباهيه ولا الفارسي يدانيه ولا البيعي يسع بعض مساعيه تجانس انجم النثرة نثره ويناسب شعرى المجرة شعره فمما بلغني عنه قوله بحسام دولته وصاحب جيشه وحجاب سدته لابي العباس فقد جمع في هذا البيت خصائص اوصافه وضم الى واسطة المدح اقاصي اطرافه دالا على نبوة الاعجاز برهان الاختصار والايجاز واراد الله سعادة هذا الفاضل فهداه نهج ابيه وعدا عن موقف التشبيه فنما نمو الاشيا على طيب التربة والما ليس بنمو القامة والضخامة لكن نمو هلال الظلم وشبوب النار فوق العلم وصفا الخمر مرشوما على القدم واختص بخدمة الامير الجليل ابي سعيد التونتاش خوارزمشاه اذ هو تاج الحجاب وناظر عين الباب فاغراه يمنه حتى لبس الملك فضفاضا وغني عن السواد وان كان عليه بياضا وانتقل بانتقاله عن سمة الكتابة الى رتبة الوزارة وعن حضيض الخدمة الى يفاع الشركة في الامارة فلم يشركه من ابنا جنسه في البلاغة اثنان وساجلني

اعني من بني عبد المدان مدان فمما وقع الي من نسيج قلمه حبير كلمه من كتاب خاطب به بعض اخوانه هو لعل الدهقان يظنني او ثريع مساعدة الزمان مساعدة الاخوان وارضي من صدر الوزارة بقلب كالحجارة فلم يزل نيل المراتب حلالا للعقود قطاعا للاواصر والعهود وكلا اني ما ازداد ارتفاعا الا ازددت للصدق اتضاعا ولا انال على الايام رتبة الا ازددت للاخوان قربة غيري من يصلفه الزمان ويبدله السلطان ويرم عهد الاخوان على اني مهما نسيت عهدا او تناسيت وقلعت آخية الوفا دون من آخيت فلست انسى عهده ولا ارضى قطيعته ومحرم اني قد قيدني باياديه الزهر واسترقني بعطاياه الغر فما ارى له بديلا ولا املك عنه تحويلا اعاذني الله ما بقيت من صدوده ولا سلبني طيب الانس بمنه وجوده وهذا القدر على مبلغ القدرة دال وللمميز البارع متى قصد الانصاف في المدح والتقريظ مجال فهولا اعيان رعايا السلطان في الفضل الواسع والادب الجامع ووراهم من اعلام البراعة واحداث الصناعة من يوحف ذكرهم عن الغرض المقصود بهذا الكتاب ولم استقر اساميهم المذكورين الا انهم بالاضافة الى ساير اعيان البلاد افراد في ارتفاع المراتب واتساع الحظوظ والرغايب واضطراب الصيت في الافاق وصوغ الايادي قلايد الاعناق وسنعود الى ذكر السلطان يمين الدولة وامين الملة ووقايعه التي رضيتها حدود الظباة وان سخطتها نفوس العداة فننمي كل وقعة الى وقتها

فتمّم

وبوبها ونلحق شرح حالها بفوبها الى ان نوفي الكلام حقه
في الاشباع في الحروب التي جرت بين السلطان يمين الدولة وامين
الملة وبين ايلك الخان

ذكر غزوة بهاطية

لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من امر سجستان وكفي
له نابضها وانجاب عنها عارضها ارتاح لغزوة بهاطية فجر
الجحافل مسومين بشعار الهداة التقاة ورايات الحماة الكماة
حتى عبر سيحون وراء الملتان الى مدينة بهاطية فالفاها ذات
سور تزل عن ملاواتها اجنحة النسور وقد احاط بها خندق
كالبحر المحيط في الغور البعيد والعرض البسيط وهي مشحونة
بما الوهم من عدة وعديد ومعمول من حديد وكل فيل كشيطان
مريد وعظيمهم يومئذ المعروف ببجيرا فاستخفته الغرة
بما حوته يده الى البروز من وراء السور مهولا باعداد رجاله
واشخاص افياله ومتطاولا بباع الاقتدار في قتاله وحضا
السلطان عليه نار الحرب ثلاثة ايام بلياليها يرميه بالصواعق
من ظبى السيوف البوارق ويقذفه بالشهب اللوامع من شبا
الرماح الشوارع وواصلها عليهم صبحة الرابع بضرب يطير
الحواجب عن العيون ويزيل القبائل عن الشؤون ورشق يدع
الاجساد مناخل بل مناخر قد انفجرت عروقها واعيت على
السكر بثوقها حتى اذا توجت الشمس قمة النهار اهاب بالشكلة
على الكفار الفجار فتجاوبت نعم التكبير اسلنة الا النصر لله
وتنجز الصادق وعد الله وحمل اولياء الله على ذوي الافك والشرك

كلم يات الواردة في نصرة المؤمنين في قوله تعالى
انا لننصر رسلنا والذين امنوا

٨٧

حملة كشفت صفوفهم وارغمت بالذل انوفهم واقبل السلطان
كالفحل الفنيق يضرب بالكدين ويقد الدارع بنصفين ويسقي
ظماء الكفر من كؤوس الحين وملكت عليهم في تلك الشدة الواحدة عدة
من الفيلة التي كانت تعتدها الكافر حصونا للقلب وتعدها
سكونا للقلب وتماوج الفريقان في غمار تلك الحملة بين ثقف ينثر
ادمغة الهام وطعن ينزف حشاشة الاجسام واعلى الله راية
السلطان بل راية الدين والايمان واهب ريح النصر رخاء واعاد
شدة العيش رخاء فولى المشركون نحو المدينة اعتصاما بسورها
وانحصارا في دورها فاعجلهم الطلب عن الاحتياط وملك عليهم
مداخل الحصار وتعاور افناء العسكر على سد خنادقه وهدم
وثائقه وتظافروا على تفسيح مضايقه وتفتيح مغالقه وقد
كان بجيرا حين غلت مراجل الحرب واختلفت مناجل الطعن
والضرب احس بالهون والعطب وشام برق الويل والحرب
فاندس في عصابة من رجالة رجاله للانحياز ببعض الغياض
والاستناد الى شعف بعض تلك الجبال فسرب السلطان كوكبة
من خواصه في طلبهم فاحاطوا بهم احاطة الازرار بالاعناق
وحكموا فيهم حدود البواتر الرقاق فلما راى بجيرا ما دهاه
عمد الى خنجر في خصره ففتك به حجاب صدره وانتقل الى نار
الله الموقدة التي تطلع على الافئدة جزاء لمن كان كفر وتولى
وجحد الاولى ولا صام ولا صلى ولا سبح ربه الاعلى ثم واقبل
عسكر السلطان فقتلوا المقاتلة وغنموا الاموال الحاصلة

اي الجماعة المقاتلة

وخص السلطان مائة وعشرون راسا من الفيلة بما يضاهيها
من ذخاير الاموال والاسلحة مما عز على غيره مثاله وما كاد
تطفل على جلية جلاله واقام بهاطية الى ان طهرها من انجاب
اولئك الارجاس وادناس اوليك الانجاس ونصب بها من يعلم
جملة الدين بين الاسلام ويبين لهم طرق الحلال والحرام ثم كر
الى غزنة موفور الجلالة منصور اللواء عالي الراي ساير الجد
على خط الاستواء الاماثة وانو منصرفه مواعي امطار
وطوامي انهار وفوارع جبال وقوارع اضداد واقتال
فاستغرق الغرق جل اثقاله وشمل التفرق جملة من رجاله
ووقاه الله آفة تلك المسافة ومهالك تلك المسالك وموبقات
الصالحين وقد كان ابو الفتح البستي يتكره حركات السلطان
بنفسه في تلك المقاصد براي يتسليه من عطارد وحقا
لقد كان يقول ما يشهد به العقول لكن اذا جاء بهرام والسيف
الجسام والبطش والاقدام فقل سقط الكلام وبطلت الصحائف
والاقلام وانشد لي ابو الفتح البستي لنفسه في هذا الباب
الا ابلغ السلطان عني نصيحة يشيعها ود وراي محنك
تجاوز تاج الشمس عزا ورفعة ودلت قدرا كل من قد تملكوا
فاحركات سعيات تديمها تاذوج الشمس لا يتحرك
وهذه مسئلة يتنازعها الوا اهل تحتهم من جعل لاوج الشمس حركة
كساير حركات الاوجات فاما المحققون فقد انكروه ببراهين
هندسية واشكال برهانية

قوله اللخس الحا المهملة الساكنة
الانشاد وادخال اليد بين الجلد واللحم
للسلخ والتركيب يدل على استفساد
والاستنشار

ذكر غزوة الملتان

قد كان بلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة حال والى الملتان
ابي الفتوح في خبث نحلته ودخل دخلته ورجس اعتقاده
وقبح الحاده ودعائه الى مثل رايه اهل بلاده فانف الدين من
مقاربته على فظاعة شره وشناعة امره واستخار الله اكابر
في قصده لاستتابته اوتقدم حكم الله في الايقاع به وامر بضم
الاطراف وكف الذيول وجمع الخيول الى الخيول وضوى اليه
من مطوعة المسلمين من ختم الله لهم بصالح العمل واكرمهم باحدى
الحسنيين في الازل وثار بهم نحو الملتان عند موج الربيع بسيول
الانواء وسيح الانهار بفضول الانداء وامتناع سيحون واخواتها
على ركابها واستصعاب متونها على اصحابها فطلب السلطان
الى انندپال عظيم الهند ان يطرق له في مملكته الى مقصده فمنع
وتمرد واخذته العزة باللوم فابى وتشدد وراى السلطان
غرة الراي في دفعه ذلك الخطب ان يبدا به على عزم جانبه
فيزيل صليفه ويبيح غريفه ويمزق لفقه ولفيفه جامعا بين
الغزوتين وقاطفا جنا الجنتين فبسط عليه ايدي القتل
والاسار والنهب والازهاق والهدم والاحراق حتى مضيق
الى مضيق ونفيه من طريق الى طريق طاويا عليه بلاده
طي السجل بحضرموت برود الى ان صحبت القتام من هنك
جلته الروع وسكرت الظبى من رشف علق الاحشاء والضلوع
وركب اثره في اغوار دياره واعماق رباعه بحر دماء

السهول وقضض الاماعز ويقرى عليه وحوش الجوش ضيق
المداخل رحب المفاوز حتى اصحر بنواحي قشمير ولما
سمع ابو الفتوح والي الملتان بما جرى من امر عظيم الهند وهو
الوجيه الرفيع والسيد المنيع والسيف الصنيع وايس باعه
بشبره وذراعه بفتره وايقن ان عز الجبال لا يطاول
هضبات القور وزرق البزاة لا تساوي بغاث الطيور وعجل
نقل امواله على ظهور فيلته الى سرنديب واخلى الملتان
للسلطان يفعل فيها ما يشاء فثنى العنان اليها مستعينا بالله
على من احدث في دينه او حرث بتوهينه فاذا اهلها في
ضلالهم يخبطون وفي طغيانهم يعمهون يريدون ليطفئوا نور
الله بافواههم والله متم نوره ولو كره المشركون فضرب عليهم
بجران المحاصرة وكلكل المباجرة والمناجزة حزا للغلاصم
وبتكا للايدي من المعاصم وارصادا لهم بالفاقرات القواصم
حتى افتتحها عنوة وشحنها عقابا وسطوة والزمهم عشرين
الف الف درهم يرحضون بها درن استعصائهم ويذرون عن
انفسهم محنة استشرائهم وابائهم وعبر ذكره بما اتاه الله
من نصرة الدين واثارة معالم اليقين عرض البر والبحر الى
ديار مصر حتى ذربت بها مقاماته التي لم ير مثلها عن ذي
القرنين الى حيث انتهى من السدين فارتعدت فرائص السند
واخواتها حذار بطشه وانتقامه وخفتت بها نجوى الاجناد
وطمست صوى الغي والعناد فلله ابو تمام حيث يقول

كرمت غروبا كالامس والخلد دقاق والخطب غير دقيق
جن لا جلدة السماء بخضراء ولا وجه شتوة بطليق
ان ايامك الحسان من الروم لحمر الصبوح حمر الغبوق
معلمات كانما بالدم المهراق ايام النحر والتشريق

ذكر عبوره على الملتان

وقد كانت الحال في الالفة قائمة بين السلطان وبين ايلك الخان
الى ان دبت عقارب الفساد في ذات البين واضطرب الحبل السكن
واشتعل الجمر الهامد وراعى ايلك فرصة المجامرة حتى اذا اصعد
السلطان صعدا الملتان وغارت نحو تلك البلاد راياته
وخفت عن اعيان رجاله ولاياته سرب سباشي تكين صاحب جيشه
واحد قراباته الى كور خراسان في معظم اجناده وشحن بلخ
بجعفر تكين وعدة من قواده وكان والي طوس ارسلان الجاذب
مقيما بهراة مامورا بالانحياز الى غزنة متى نجم ناجم عناد
او نعق ناعق بفساد فاسرع الانقلاب اليها اخذا بوثيقة
الحزم في ترك القتال وتربصا بالجملة غاية الفصال وورد
سباشي تكين هراة فاستوطنها وندب الحسن بن نصر لصحابة الديوان
بنيسابور فرتب العمال وواصل الاستخراج وما يلهم كثير من
اعيان خراسان لاستخفا خبر السلطان من جانب مولتان وشال
الالسنة اهواء القلوب في نوازع الظنون الخائبة زورا او
غرور وامر الوزير ابو العباس الفضل بن احمد بالاحتياط
على الطرق من غزنة وحدود الباميان وتجهيز وسدها بحماة

الرجال على حصانة مداخلها وصعوبة مراكبها وطيّر البريد
الى السلطان بما انبثّ في اطراف البلاد من حيّات العداة
وعقارب الغواة فاعجلته بديهة البلاغ عن استتمام ما
ازعجته عليه الحمية عن مقامه فركب ركوب العاصف اكتاف
الحمام البارق يطوي الارض طيّ المهارق بين ايضاع وايجاف
واهذاذ واعتساف بين سهول وظراب وسهوب وشعاب
حتى القى عصا القرار بغزنة واقام العطايا لاجناد دولته وانشا
جملته وملأ ايديهم بالعطايا والرغائب وازاح عللهم في
المطايا والركائب واستنفر الاتراك الخلجية اخلاس الظهور
وابناء الصوارم الذكور فنفر منهم
جرد على جرد لو كانوا ببشر كانما خيطوا عليها بالابر
وجاش بهم نحو بلخ وبها جعفرتكين فاسرع الكرّ الى الترمذ
اشفاقا من ضغمة الضيغم الخادر واحتراسا من وثبة الارقم
الثائر واستقر السلطان ببلخ موفور الانس والجذل كما تحلّى
صفحة الشمس من برج الحمل وامر باتباع سباشي تكين بارسلان
الجاذب في زهاء عشرة الاف من ابناء الكفاح ومنحة الارواح
باشطان الرماح وسارع سباشي تكين نحو الوادي للعبور
فلم يرعه الا العاديات ضوابح والموريات قوادح فكرّ على
ادراجه حائرا عاثرا وعطف الحزم على ان ينشرح منها
الى النشط على سمت المفازة فاذا الآبار مردومة والمناهل
مطمومة ووديقة الصيف مسعورة واذيال السوافي على المعالم

مجرورة فانثنى الى سرخس وبها المحسن بن طاق وبعض الاتراك
الغزية فاحدق به احداقا سدّ عليه باب الهرب وضيّق
دونه وجه المجال والمضطرب فما نفعه ما قدّر ثم ظفر به سباشي
تكين فقدّه بنصفين بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة من اكابرهم
واعجله ارتداف ارسلان الجاذب اياه عن فضل المقام وروح
الاستجمام فارتحل الى ابيورد ومنها الى نسا وبينهما مرحلة
واحدة كلما صدر هذا ورد ذاك ومتى ظعن ذاك اناخ هذا
يتقاسمان امرار الطلب والهرب حماما ولا يردان المياه الا
لماما وقد كان سباشي تكين قد حصّل صبابة من المال والاسلحة من
نواحي هراة وغيرها فصارت عقلة له دون الخفوف في وجه
النجاة فهو يتيامن مرة ويتياسر اخرى منكوسا على راسه خوف
العار من اسلام ما بردت به يداه واعياه الخلاص بحشاشة النفس
اخرى الا بافرازه عن جملته وتفريغ الخاطر عن الشغل به ولما
قرب ارسلان الجاذب من نسا رحل عنها متوجها نحو سمنقان وازعجه
الطلب نحو جرجان فركب قلل تلك الجبال بين الآجام الملتفة
والغياض المحتفة والمخارق الضيقة والمخارم المضطربة
وتسلّط الكراكلة على اثقاله وافنا رجاله حتى فشت نكاياتهم
فيهم واستامن الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير طوائف من اهل
جملته لعدم المراكب وذهاب الجنائب وانقلب هو على سمت دهستان
حتى عاد الى نسا وجمع ما بقي عليه من تلك الاثقال فاصدرها الى
خوارزمشاه ابي الحسن علي بن مامون وكتب اليه يستودعه اياها امانة

لايلك الخان وحذره ان يمد اليها بغير الصيانة يده واصحبها
رجالة عسكره والعجزة منهم عن صحبته واقتحم المفازة
متوجها الى مرو وكان السلطان قد انحدر الى طوس مزاعيا ما
يسفر عنه ركض ارسلان الجاذب على اثره والصاقه الطلب
الحثيث به فلما بلغ اركوز سباشي تكين عرض المفازة اسرى على
طريق مرو معارضا له في مسيره وناقضا عليه قوى تدبيره
فوصل اليه مخلصا عن وعثاء تلك البيداء ورماه بابي عبد الله
محمد بن ابراهيم الطائي زعيم العرب وسائر قواد رجال يرون
الملاحم ولائم والوقايع نقايع وسيوف الضراب عرايس وصفوف
حملة الكماة فرايس كما قال سعيد بن حسان
فررت من معن وافلاسه الى اليزيدي لأنزداد
فكنت كالساعي الى مثعب موائلا من سبل الراعد
واحاطت به السيوف حيث لاماء الا منابع الافواه ومنى عاصبة
ولا مرعى الا شكايم اللجم ومني عاضبة واسر اخو سباشي تكين في
زهاء سبعمائة من وجوه الافراد وربوت القواد وامر السلطان
بقراجولياتهم فافرغت قيودا لكعابهم وجوامع لرقابهم وحملهم
الى غزنة ليرى اهلها حسن صنع الله فيمن شاقه ونقض عهده
وميثاقه ونجا سباشي تكين في خف من العدد بجريعة الذقن
فعبر جيحون الى ايلك الخان وقد كان ايلك عين جعفر تكين
في زهاء ستة آلاف رجل الى بلخ ثانيا لاستفساد عزيمة
السلطان في قصد سباشي تكين واخراجه فيها ونزل بهم حتى

فرغ الخاطر من امره ووضع ما انقض من الشغل به عن ظهره
ثم ثنى العنان اليهم شد الغض الهواء بغباره واستغرق اوقات
ليله ونهاره فلم يرعهم الا راياته باجنحة النجاح طائرة وخيوله
في صهيل المراح سائرة ولمن لهم السلطان فلما راوا الكمين
انقلبوا منهزمين يختمون دعوة الخلاص بامين امين وتبعهم
صاحب الجيش ليلوا المطمع على ساحل جيحون كاسعا لادبارهم
ومثخنا في غمارهم الى ان عبروه فسلمت خراسان من عيث
نساكهم وخلت من مبثوث جرادهم واضطرب ايلك حنقا لما
جرى على عسكره من الضغطة الكبيرة والصدمة المبيرة
فاستعان بقدرخان بن بغراخان لقرابة بينهما وكيده ولحمة
وشيجة واستجره بحفي مسلته الى ثارة مستنظرا بنصرته واظهاره
واستظهاره فاستجاش احياء الترك من مظانها وحشر بني خاقان
من اقصى بلادها واستنفر دهاقين ما وراء النهر في جيوش تجل
عن الحد والحصر وسار في خمسين الفا او يزيدون حتى عبر
جيحون مدلا بعسكره المائج وبطشه الهائج ومعتضدا بقدر
خان ملك ختن ذي العدة والعديد والباس الشديد والايد
المتين والبسطة والتمكين في رجال كالبخاتي الفوالج فوق
البحور المواج عراض الوجوه خزر العيون فطس الانوف
خفاف الشعور جراد السيوف سود الثياب من حلق الدروع
يحملون جعابا كخراطيم الفيول محشوة نبالا كانياب الغول
ولما سمع السلطان بعبورهم في جمهورهم ومواردتهم طخارستان

سبقه الى بلخ فاستوطنها قاطعا عنها طمعه ومالكا عليه ممتاره
ومنتجعه فاستعد للحرب فخرج السلطان في عساكر الترك والهند
والخلج والافغانية والغزنية انشاء الجد والصدق وابناء المشق
والرشق الى معسكر له على اربعة فراسخ من البلد يعرف بقنطرة جرخيان
وسيح المجال على الرجال رحب الفضاء على الدهماء وزحف ايلك
على محاذاته في عدد الدهم وعسكر المجر فتطارد الفرسان
وتجالد الشجعان سحابة يومهم على رسم الطلايع امام الوقايع
الى ان كفهم حاجز الليل واصبح الناس على ميعاد الحرب فعبا
السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسيات والبحار الزاخرات
ورتب في القلب اخاه صاحب الجيش نصرا ووالي الجوزجان ابا نصر
احمد بن محمد الفريغوني وابا عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي في كماة
الاكراد والعرب وسائر جماهير الهنود وشاعر الجنود ورتب
في الميمنة حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش فيمن رسم من اعيان
الرجال وفرسان الزحف والصيال وندب للميسرة ارسلان الجاذب
فيمن تحت قيادته من نجوم الابطال ورجوم القتال وحصن الصفوف
بزهاء خمسمائة من فيلته التي تميد الجبال من اثقالها وترتج لها الارض
بزلزالها واقبل ايلك فشحن قلبه بخواص غلمانه واعلام فرسانه
وولى قدرخان ميمنته في اتراك الختن من اجام العوامل والجنن
وشحن بجعفرتكين ميسرته في كل الليس كالشجاع المحرج والحسام
المرهف من وقايات الزغف والجحف وتحامل بعضهم على بعض فجللت
المعركة سماء غمامها مثار القسطل وبرقها بريق البيض والاسل

ورعودها صليل السلاح ورشاشها صبيب الجراح واستنزل
ايلك عن صهوات الخيول الى صعيد الارض زهاء الف غلام يفلقون
الشعور انصافا وينصبون وسائط الاهداب اهدافا فانتكوا
بالنبال تجافيف الفيول وشقوا بالنصال سرابيل الخيول ولما
جد الامر واحتدم الجمر واعضل الراي واستفحل الاعداء فزع والي
الخطب بمثله وكاد يخرج بلاء الشر عن حده نزل السلطان
الى صعيد ربوة كان تشرف بها لتدبر عطفات الحرب وتلافي
نزوات ذلك المركب الصعب فوضع لله خده وعفر شعره وارسل
دمعه وقدم نذره ودعا الله ان يحرس ملكه ويحسن فلجه ونصره
ثم وثب الى قعدته من فيلته المعلمة فحمل بها وبسائر خاصته
على قلب ايلك فامتطى الفيل الى صاحب رايته فاختطفه بنابه
من سرجه ورمى به في الهواء من فوقه وتخلل الآخرين خبطا
بخرطومه وشكا بانيابه ودوسا باظلافه وانثال اولياء
السلطان على الآخرين بسيوف تلغ في الدماء وترشف احشاء
الاحشاء فطارت قلوبهم هواء واستحالت قوائمهم هباء وولوا
على اعقابهم نافرين وتبعهم الطلب بظباة القسر والقهر الى ان
لفظتهم خراسان الى ما وراء النهر ولقد احسن السلامي في قوله
وكانما وصف حاله ومدح آثاره وافعاله

يا سيف دين الله ما ارضى العدى لو ان سيفك جثل عن كلب تغلب
ما ان سننت لهم سنانا في الوغى الا اطل عليه منهم ابطل
والروض من علق النحور مضرج والماء من ماء الترائب اشكل

والنقع ثوب بالنسور مطرز والأرض فرش بالجياد مخمل

يهفو العقاب على العقاب ويلتقي بين الفوارس أجدل ومجدل

وسطور خيلك بالقنا بها سهم تنقط بالدماء وتشكل

وامتدح عند ذلك السلطان يمين الدولة وأمين الملة أبو القاسم
الحسن بن عبد الله المستوفي بقصيدة أولها

ظهر الحق ثابت الأركان صاعد النجم عالي البنيان

وهوى للردى ذوو النكث والبغي وأهل الضلال والطغيان

وفيه

ما الذي غرّهم بمحمود المحمود أنجاه بجدّ لسان

بأبي القاسم المعظم ظل الله في الأرض صفوة المنان

من مناويه نهزة للمنايا غرض للحتوف والأحزان

ملك صار من مضى من ملوك الأرض لفظا وجاء عين المعاني

أجهلتم بأنه ملك الأملاك طرا وتاج هذا الزمان

فخر المشرقان بالخطبة واستطالا فاشتاقت المغربان

جمع الله فيه وهو قد بز عالما للكمال في جثمان

ملك هو في الحقيقة عندي ملك صيغ صيغة الإنسان

ملك عادل فذو الضعف والقوة في حكمه سيان

أخذ الهند باليماني ويحوي منا إن أراد بالهندواني

سيفه والمنون طرفا رهان نحو حلق العدو يبتدران

خذ يميني بأن سيخضع حقا لليميني كل سيف يماني

لو عصا خروع تسمى اليمينية ظلت تحكيك في السندان .

شربوا السم عام أول لما عبثوا للشقاء بالأقران
ثم عادوا في العام بالسكر المجد ما المجود والملاح الحسان
فاني المسودة

إنما سيفه شبيه عصا موسى بن عمران صاحب الثعبان

غاب عن غابة الهزبر لغزو الهند مستبين لأرض الرحمن

فسبى واستباح واجتاح منهم وأحل النكال بالأوثان

وقرا أجوليا ثم كيد بسحر فإذا جاءت العصا فهو فان

فانثنى قافلا وقد ملأ الأيدي فيا وفاز بالرضوان

فسطا بأسه بطاغية الترك وأهل الشقاق والعصيان

طلعت راية له فتولوا كعباديد ثلة من ضان

كم قتيل وكم جريح وغرقى وأسير في القيد ذي سفان

طار أيدي سبا عساكر ظنوا أنهم ملكوا على البلدان

خطبوا الملك فاعترتهم خطوب جرعتهم مرارة الخطبان

فنحوا أدرزم في السجون ألوف وألوف تهيم في جرجان

وبمرو وفي القفار إلى جيحون قتلى مأكل الحيتان

جزر للسباع في كل فج طعم للنسور والعقبان

بارك الله ربنا في خميس ردّ عنا خمسين ألف عنان

وكتب أبو الفضل الهمذاني البديع إلى الشيخ الوزير أبي العباس هذ[ا]
ورب الكعبة آخر ما في الجعبة لقد انتصف من رامي القارة
ونجا السيف ما قال ابن دارة ثم لا نزوة بعدها للترك ولا تحلم
بعدها بالملك لقد كان السلطان أذعن لله شعره وعرض على
الله نفسه وفوض إلى الله أمره وأخلص لله نذره وناهض بالله
خصمه وسأل الله حوله ولم يجبه كثرة الملا حوله شد الله
بذلك أزره وقوى أمره وأعز نصره وأقطعه عصره وأطعمه ملكه

حتى قيل قتيل نجا السيف ما قال ابن دارة أجمعا
يريد أن الفعل أفضل من القول

واورثه ارضه ان الظفر باسبابه والموفق يأتي الامر من بابه
وله فصل منه انه اجلاد ثم البلاد ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان كتب الله لاغلبن السلطان زور ان السيف
امامك وخلفك ان الموت قدامك وارضك ارض لمن تاتنا ثم
نومه ليس فيها حلم ان المغازي قد عادت مخازي الا رب ركض
نادم ورب شوط ظالم ورب عبور الى ثبور ورب طمع تهدي
الى طبع الا ان هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماءها وعلى السنة
ذماءها وعلى النفوس دماءها وعلى الاموال نماءها وعلى الحرم
غطاءها اعاد الله به البلاد خلقا جديدا وانشا العباد
نشأ جديدا وعقد الملك عقدا طريفا فما اولى يومه ان يتخذ
عيدا ويجعل في المتصرفات تاريخا وليس العقد مع الله
بالشرطة فاوفوا الله عهده كما صدقكم وعده وانما عهد عند
السلطان ان يحسن النظر وعهد عند الشيخ الجليل ان
يحسن المحضر ومراه من البلاد شيعة هذه الدولة وعبيدها
فان حط عن جملتها العلاوة وازيل عن عرتها الاتاوة فلله
هذا النظر ما احلى ثماره واكرم آثاره ولما وضعت هذه الحرب
اوزارها وافاضت غرة النصر انوارها سنح للسلطان
ان يكبح اعنته الى جانب الهند للايقاع بالمعروف بنواسه
شاه احد اولاد ملوك الهند كان نصبه ببعض ما افتتحه من الممالك
خليفة على سد ثغورها وتحصين اطرافها وحدودها اذ كان
قد استحوذ عليه الشيطان فارتد في حافرة الشرك وانسلخ عن

جلدة الاسلام وراطن زعماء الكفار على خلع ربقة الدين وانفصام
عن عروة الحبل المتين فعن من فوره اليه وصب سيوفا للتقاطر
من دماء مخالفيه عليه ركضا بادر افواج الرياح واختصر
اوقات الاظلام والاصباح حتى نفاه عن مثواه وملك عليه
جملة ما حواه واعاد الى تلك البقاع بهجة ملكه وسلطانه
وحصد نجوم الشرك عنها بحد سيفه وسنانه فذانك برهانان
من ربك في اعلاء دولته واشاعة دعوته واعزاز نصرته وافلاج
حجته ويسر الله له الانقلاب الى غزنة مظاهرا بين نصرين
يتجاذبان فخامة وجلالة ويتباريان نباهة وجزالة وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فتح قلعة بهيم نغر

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد ان فتح الفتحين
واقتدح النجحين عرج على غزنة للاستراحة والتفرغ لشكر
الله على النعم المتناصرة واقام بها شاحذا عزيمته لغزوة
اخرى ترتفع بها خدود الاسلام وتتعفر لها خدود الاصنام
وتنتكس عندها رايات الشيطان في رجل الغواية شدة وحبل
الضلالة مدة اذ كان نجد همته يسومه خلاف الطباع
البشرية في استخشان المضجع الوثير واستحباب الشوك
على الوثير واختيار ترع الاسنة والعوالي على نغم المثاني
والمثالث وترجيح خدود البيض القواضب على خدود البيض
الكواعب كل ذلك لجد يثنيه وصيت يقتنيه وعز يحويه

وسعى يتقرب الى الله بوقته حتى اذا انسلخ شهر ربيع الآخر من
السنة المذكورة استخار الله في صدق ما رامه واسراج ما نوى
الجامه وسار متوكلا على الله الذي طال ما اطعمه نصره وعرّفه
صنعه حتى اذا انتهى المسير به الى شط ويهند لاقاه بريمن
پال بن انندپال في جيوش تجيش بسود الرجال وبيض الصفاح
وزرق الاسنة وسمر الرماح وزمر الدروع ودكن الفيول وافترت
الحرب عن انيابها العصل وتوالت الحملات كما تتهاوى لوامع الشهب
وتترامى نوازع السحب ودارت رحا الطعان والضرب
طاحنة كل ندب شجاع وقرم مطاع وامتدت الوقعة من اول
النهار الى هولة الطفل حتى اكتست الارض لون الشقائق من
دماء الطلى والعواتق وكادت تدور للكفار دائرة لولا ان الله
اعان السلطان على حملة في خواص غلمانه كسعت ادبارهم
ومحت عن مقامهم اثارهم فاغنمه ثلثين فيلا كاشخاص القصور
بل كامواج البحور واقبل اولياؤه يحشونهم ان يثقفونهم
من بطون الاودية والشعاب وظهور الفيافي والهضاب
واقتفى السلطان بنفسه اثر بريمن بال لما رأى مستنجزا وعد
الله في نصرة دينه وتل كل ذي نفاق وشقاق لجبينه
فافضى به الطلب الى بهيم نغر احصن قلعة بنيت على حرف
طود رفيع خلال طخيج وقد كان ملوك الهند واعيان رجالها
وجماعات النساك من ذوي الاملاك بها يدخرونها مخزنة للصنم
الاعظم فينقلون اليها قرنا بعد قرن من انواع الذخائر واعلاق

الجواهر ما يخف وزانه ويثقل عند السوم قيمه واثمانه عبادة
بن غنمهم لما يفيدهم الحسنى ويقربهم الى الله زلفى فصادف السلطان
منها ثمرة الغراب وزبدة الاحقاب مما لا تقله ظهور الاجمال
ولا تسعه اوعية الاحمال ولا ينسخه ايدي الكتاب ولا يدرك
فكر الحساب فحشر عليها جنوده وصرحوا اليها بنوده وانبرى
لقتال مستحفظيها بقلب جري وانف حمي وعزم ذكي وبطش
قوي وراي بالصواب وري ولما راى القوم غصص تلك الشعاب
بمغاوير الجنود وتطاير النبال صعدا كشرر الوقود استفز
الرعب والوجل والوى باحلامهم الخوف والوهل فتخيلت الابصار
تلك الرتوق فتوقا وهاتيك الشرود فروجا والسكون بثوقا
وسخرتهم دولة السلطان فهرت بهم كلاب الادبار والخذلان
واغيتهم وجوه الامن الاحمر جانب الاستيمان فنادوا باشعار
السلطان وفتحوا باب القلعة وجعلوا يتساقطون على الارض
للامان كالعصافير احرجتها البواشق والغيوث جللتها الغيوم
البوارق وفتح الله تلك القلعة على السلطان فتحا يسيرا
وآتاه من لدنه صنعا كبيرا واغنمه مل منفرج النفوس من نبات
المعادن والبحور وزاينات القمم والنحور ودخلها في والي الجوزجان
ابي نصر احمد بن محمد الفريغوني وسائر خاصته ووكّل حاجبه الكبير
التونتاش واسغتكين بخزائن العين والورق وسائر ذوات
الاخطار والقيم وتوكل بنفسه بخزانة الجواهر فنقل منها ما
اقلته ظهور رجاله واستحمل سائرها اعيان رجاله وكان مبلغ

المنقول من الورق سبعين ألف ألف شاهية ومن الذهبيات
والفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة منّ وزنا ومن أصناف
الثياب التسترية والديابج السوسية ما أنطق مشايخ الزمان
والطاعنين في الأسنان أنه لا عهد لهم بأمثالها صنعة وتفوّقا
وتزيينا وتلطيفا وفي جملة الموجود بيت من الفضة البيضاء
كبيوت الأغنياء طوله ثلثون ذراعا في عرض خمسة عشر ذراعا
صفائح مضروبة مهيأة للطي والنشر والنصب والحط وشراع
من ديباج الروم أربعون ذراعا في عرض عشرين ذراعا بقائمتين
من ذهب وأخريين من سبيكة فضة ووكل السلطان بتلك القلعة
من ثقاته من يراعيها ويؤدي أمانة الاستحفاظ فيها وكرّ عائدا
إلى غزنة في ضمان النصر والإظهار وقران اليسر واليسار ولما
مسّت عصاه جانب القرار بها أمر بساحة داره ففرشت بتلك
الجواهر فمن درر كالنجوم الثواقب قد سمت عن أيدي الثواقب
ومن يواقيت كالجمر قبل الخمود أو الخمر بعد الجمود ومن زبرجد كأطراف
الآس نضارة أو ورق الأقحوان غضارة ومن قطاع الماس كمثاقيل
الرمان في المقادير والأوزان واجتمعت وفود الأطراف على
إدراك ما لم يروَ في كتب الأوائل اجتماع مثله لأحد من صناديد
القروم وملوك العجم والروم وحضر ذلك المشهد رسل طغان
خان ملك الترك أخي ايلك فرأوا ما لم تره العيون ولم تبلغه
الظنون ولم يملكه قارون صنع الله الذي أمره إذا أراد
شيئا أن يقول له كن فيكون

ذكر آل فريغون

وقد كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون أيام آل سامان يتوارثها
كابر عن كابر ويوصي بها أول إلى آخر وهم أشراف النفوس والهمم
كرام الأخلاق والشيم وطاء الأكناف لنزاع الأطراف خصاب
الرحال لوفود الآمال دأبهم إجلال قدر الآداب ورفع درجات
الكتاب وافتراض حقوق الأحرار وإغلاء أسعار الأشعار فكم
من غريب آواه إحسانهم ومن أديب أغناه سلطانهم ومن كسير
جبره إنصافهم ومن حسير أنهضه عطفهم وألطافهم وكان
أبو الحارث أحمد بن محمد غرة تلك الدولة وإنسان تلك المقلة
وجمال تلك الجلة وطراز تلك الحلة بما أوتي من كرم خصيب
وكنف رحيب وشرف رغيب ومرتقى همة بعيدة ومستقى نائل
قريب وقد كان الأمير سبكتكين خطب إليه كريمته على السلطان
يمين الدولة وأمين الملة ثم أوجب لولده أبي نصر أحمد بن محمد كريمة
له فانتسجت اللحمة واشتبكت العصمة والتحمت الوثائق واستحكمت
الأواصر والعلائق ولما مضى أبو الحارث لسبيله ورثها أبو نصر
ابنه فأوجب السلطان إقراره على ولايته إيثارا له بفضل رعاية
وعناية إلى أن قضى نحبه في شهور سنة إحدى وأربعمائة وأقرأني
أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المعروف بالبديع كتابا له إليه
جعله مقدمة الوفود عليه فقال فيه من غرائب الأيادي ما يملأ به
يديه ومنه كتابي والبحر وإن لم أره فقد سمعت
خبره والليث وإن لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك العادل
وإن لم أكن لقيته فقد لقيني صيته ومن رأى من السيف أثره فقد

رأى اكثره وما زلت ايد الله الامير اسمع هذا البيت القديم بناؤه
الفسيح فناؤه والرحيب اناؤه الكريم ابناؤه وانشد من هذه
الحضرة ضالتي والعوائق يمنة ويسرة تريني خسرة والزمن
العثور يقعدني ويثور فلم من عام عزمت وآبت المقادير
ونويت وعرضت المعاذير والآن لما وقفت هذه الزورة واختلفت
على اخبار الملك العادل مستقرة واختلفت باخبار افهام مرة
في قوس الطريق ومرة في وتره على اقتفاء اثره حتى بلغت مبلغي
هذا ثم وسوس الي الشيطان بقدر مقدر اني اقصد هذه الحضرة
طامحا في مال او طامعا الى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة
حتى كاد يثنيني عن درك الحظ من طلعته ولم ابعد ما القاه
في خلدي ان يكون وانا انشد الله الظنون ان تتصرف في قصدي
الا الى معرفة او نفعها او خدمة او دعها اومدحه اسمعها
او رجعة اسرعها ثم ادخر هذه الدولة المملكة اغصبها او
راية انصبها او كتيبة اغلبها او دولة اقلبها فاما الدراهم
والدنانير فدفعهما الي ونزعهما من يدي سواء الدى لا اشكر واهبهما
ولا اشكو سالبهما ان لي في القناعة وقتا وفي الصناعة بختا
لا يبعد منال المال اذا اردته ولا يحوجني الى ركوب
العقاب وسلوك الشعاب مهما قصدته بل يجيئني فيضا ويتطفل
علي ايضا وهذه الحضرة حرسها الله وان احتاج اليها المأمول
ولم يستغن عنها قارون فان الحب الي ان اقصدها قصد مؤال
لا قصد سؤال والرجوع عنها بحال الحب الي من الرجوع عنها بمال

قد رمت التعريف وانا انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير
لضيف ظله خفيف وضالته رغيف فليزجر له بالاستقبال
طاير الاقبال والسلام وله فيه لما صدر عن فنائه مثقلا بنعمائه

الم تر اني في سفرتي لقيت الغنى والمنى والاميرا
ولما تراءى شممت التراب وكنت امرا لا اشم العبيرا
لقيت امرا املك عين الزمان يعلو سحابا ويرسو ثبيرا
لآل فريغون في المكرمات يد اولا واعتذار اخيرا
اذا ما حللت بمغناهم رأيت نعيما وملكا كبيرا
فلا يعدم الملك ذا روعة يمون المنى ويبثر النزيرا

ولابي الفتح البستي فيهم

بنو فريغون قوم في وجوههم سيما الهدى وسنا السودد العالي
كانما خلقوا من سودد وعلى وساير الناس من طين وصلصال
من تلق منهم تقل هذا اجلهم قدرا واسخاهم بالنفس والمال
يا سائلي ما الذي حصلت عندهم دع السؤال وقم فانظر الى حالي
اما ترى ان حالي كيف قد حليت بهم الم تر حالي عند ترحالي
فان اكن ساكتا عن شكر انعمهم فان ذاك لعجزي لا لاغفالي

ذكر امير المؤمنين القادر بالله

وانتصابه منصب آبائه الراشدين بدار الاسلام واستقرار الامامة
عليه وانعقاد البيعة له بعد الطايع بالله وما اشتبك من ايالته
وبين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين بهاء الدولة وضياء
الملة ابي نصر ابن عضد الدولة في زمانه

قال الله تعالى وما تنقم منا الا ان آمنا اي ما تكره
منا امرا تكرهونه الا ايماننا بالله

قد كان بهاء الدولة وضياء الملة ينقم من الطايع لله امورًا
يبهاعن غير وفاقه وعدوله بها عن حكم استحقاقه فدعاه ما توالى
عليه من خلاف رضاه الى مراعاة مصلحة الدين والملك باختيار
من يرعى حق الامامة ويتولى حياطة الخاصة والعامة ويعدل
سوى النفس في اتباع الحق واستشعاره ونصرة الدين واظهاره
وحماية الملك من اقطاره وجعل يتلطف في التدبير عليه الى
ان تمكن منه فخلعه واحتوى عليه وعلى ما كان جمعه وذلك في
شعبان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وارسل الى البطايح وبها
القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحق بن المقتدر بالله فاستقدمه
دار السلام لعقد البيعة له سدًّا للثلمة ونظرًا للامة
ارتيادا للالفة واجتلابا للمصلحة الجملة فقدمها في شهر رمضان
من هذه السنة وتسارع الناس الى مبايعته واصفقوا على طاعته
وتراضوا عن طيب النفوس بامامته وتناهوا شكر الله تعالى على
ما اتاح لهم من بركات خلافته ثقة بما اشتهر في الافاق من مناقبه
الغر ومآثره الزهر وفضايله المسطورة على صفحات الدهر
فقام بما قلده الله من طوق الامامة مفوضا اليه امره ومتوكلا
عليه وحده فلم ير في مقره من سرير الخلافة اوقر منه حصاة
واوفر اناة واصلب قناة واصدق تقاة وارضى سيرة
واذكى بصرًا وبصيرة وازكى علنًا وسريرة واتم جلالة وجزالة
واعم سياسة وحراسة نعم ولا اقوى منه جنانا واندى
بنانا واجرى لسانا واعدل عقابا واحسانا وعطفته

٩٨

عاطفة القربى على الطايع لله فاستخصه لمنادمته واجتباه
لمصاحبته والحقه جناح رعايته وحمايته تفاديا من غضاضة
تلحقه في زمانه او نكبة ترهقه في ظل سلطانه وجانب امانه
الى ان فرق بينهما الدهر المولع بالتفريق واخذ الرضي من الرفيق
ورثاه ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي
بقصيدة منها

ان كان ذاك الطود خر فبعدما استعلى طويلا
موفٍ على القلل الذواهب في العلى عرضا وطولا
قرم يسدد لحظه فيرى القروم له مثولا
ويرى عزيزا حيث حل ولا يرى الا ذليلا
كالليث الا انه اتخذ العلى والعز غيلا
وعلا على الاقران لا مثلا يعد ولا عديلا
من معشر ركبوا العلى وابوا عن الكرم النزولا
غر اذا نسبوا الى الغرر اللوامع والحجولا
كرموا فروعا بعد ما طابوا وقد عجموا اصولا
نسب غدا رواده يستنجبون له الفحولا
يا ناصر الدين الذي رجع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي ملئت مضاربه فلولا
يا كوكب الاحسان اعجلك الدجى عنا افولا
يا غارب النعم العظام غدوت محمولا جزيلا
لهفي على ماضٍ مضى الا ترى منه بديلا

وزوال ملك لم يكن يومًا يقدر أن يزولا
ومنازل سطو الزمان على معالمها الجَوولا
من بعد ما كانت على الأيام مرباة نكولا
والأسد تركز القنا فيها وترتبط الخيولا
من يسبغ المنن الجسام ويصطفي الحمد الجزيلا
من ينتج الآمال يوم يعود بالليان حولا
من يورد السمر الطوال ويكشف الخطب الجليلا
وتراه يمنع دوننا وادي النوايب أن يسيلا
عقد الألوية الملوك على العلى جيلًا فجيلا

وأمثال خطباء العراق وشعراؤها كأعراف الجياد على مجلس الخلافة في امتداح القاهر بالله أمير المؤمنين وذكر مناقب آبائه ومفاخر أسلافهم ينابيع الكرم ينابيع الحلم مصابيح الظلم مصابيح الأمم ليوث البهم غيوث القحط والبغي أن مقاماتهم مدونة بالعراق بين منظوم ومنثور وفقر وشذور فلا حاجة بنا إلى تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها وحكى لي أبو محمد عبد السلام بن محمد الهيصم أحد أعيان الكرامية بنيسابور قال قمت في مجلس القاهر بالله أمير المؤمنين خطيبًا بحضرة بني هاشم ومشايخ بغداد وأعيان الحجيج فقلت

خطبة

الحمد لله ذي العزة القاهرة والحجة الباهرة والنعم المتظاهرة الذي عم إحسانه ودام سلطانه ولطف شأنه فلا راد لقضائه ولا مانع لعطائه ولا معقب لحكمه ابتعث محمدًا صلى الله عليه وسلم من خير أرومة العرب مولدًا وأفضل جراثيمها محتدًا وأطولها نجادًا وأرسخها في المكرمات أوتادًا فأيده أحسن تأييد وكادهم أفضل كيد حتى استقل الدين ناهضًا واضمحل الشرك داحضًا وظهر أمر الله والمشركون كارهون فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصى ما طلعت عليه شمس الضحى وعلى آله الطيبين ثم قيض الله من بعده الخلفاء الراشدين لتمهيد الدين وتوكيد اليقين وتوهين كيد الملحدين فبسطوا للإسلام بساطه ونهجوا لأهل الآفاق صراطه إلى أن تأدى الأمر إلى ذوي من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتصمين بنصر الله صادعين بأمر الله معظمين لحرمات الله وهلم جرًا إلى أن تأكدت بيعة الخلافة بأمير المؤمنين القاهر بالله فبهر نوره العالمين وشفى ذكره على المنابر صدور قوم مؤمنين من بعد ما تواتر من أظهر العناد وأنزوا من قصد الفساد وأبى الله إلا نصرة الحق وإدالته ومحق الباطل وإذالته ولقد حدثني محمد بن الفضل الحلواني قال حدثني الصولي عن المبرد أن العباس بن أبي عبدون حدثه أن سعيدًا الخطيب قال لما بايع الفضل بن مروان المعتصم بالله أمير المؤمنين قام في الناس خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه

وقال

بايعت منبسطًا ولو لم تنبسط كفي لبيعته قطعت بنانها
من ذا إليه لا يمد يمينه قطع الإله يمينه فأبانها

ولو اني في خدمة امير المومنين ما يقارب هذا او يشاكله وذلك
انه لما ظهر بيعة او ارد كتابا على حين التوا من التوى ناحية
بلخ وقلت فيها

سبقت بيمني نحو بيعة قادر بالله لما جاكفه يد القدر
ما ضر بيعة التوا من التوى والله مبرمها بكنون الزبر
ولقد اراه اجتي بزوطئ الحصا بوزاته الشرابها ابيل الغرر
فلا خلعن القلب حتى ان ابى ولا قلعن العين ان زاغ البصر

وها انا قد ساعدني توفيق الله حتى وطئت بساط امير المومنين
شاكرا ما انعم الله علينا بولي امير المومنين محمود بن سبكتكين
رسم كاسمه والله نسال ان يديم سلامة امير المومنين وان يبلغه
امله في الامير ابي الفضل ولي عهد المسلمين الغالب بالله ابن امير
المومنين ويلحقه بسعادة ابائه الراشدين واسلافه الطيبين الطاهرين
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله اجمعين

فامر القادر بالله امير المومنين بان تنسخ الخطبة بجملة الفاظها المسطورة
المخزونة ولما انتهت بمنابر خراسان بذكر القادر بالله امير المومنين
على ما اوجبته طاعة السلطان يمين الدولة وامين الملة لامر الله
في انعقاد بيعته واتفاق خليفته وجحده كاتبه بما راه من الانضا
الى ابنه ابي الفضل بعهده في ولاية امور المسلمين من بعده وتلقيبه الغالب بالله
ورسم توقيته واحتجتص والجاري ذكره على المنابر باسمه وطبع
النقود على ذكر تلقيبه فاوجب السلطان يمين الدولة وامين
الملة مطاوعته بما امر ومتابعته في جميع ما رسم فقارن ذكرهما

في الخطب وترافق اسماهما على صفحات الفضة والذهب وسنعود
الى ذكرها الدولة وضياء الملة من لدن استاثر الله بعضد الدولة
وتاج الملة ابي شجاع فناخسرو الى ان افضى الامر اليه واستقر
الملك عليه وقد نطق بذكر كتاب الصابي المعروف بالتاجي من وقائع
عضد الدولة مع بختيار الى ان اظفر الله به فقضى عليه بحد
حسامه وجرعه كاس حمامه واحتياله على ابي تغلب ناصر الدولة بعد
انهزامه الى ان فكر التدبير عليه بابن الجراح احد المتغلبين
من الاعراب على حدود الشام فقبضه لا تناصح بما زاهلها
اليه واطاع اكرهاله حتى اعتقله وقتله وحمل اليه علاوته ما
يغني عن تجديد ذكره ولما مضى عضد الدولة لسبيله وذلك في
شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة عند اشتغال اخيه
مويد الدولة بويه بمحاربة حسام الدولة تاش وعميدها
فايق في عساكر خراسان اجتمع ابناء دولته على ابنه صمصام الدولة
وشمس الملة فبايعوه متوازرين وتوافقوا على طاعته متظاهرين
واتاه الطايع لله امير المومنين في حراقة على ظهر دجلة يعزيه
عن ابيه وقد ثار عوام الناس نظاره حتى اذا قرب
اليه صمصام الدولة فحشم وجعه من رسم الطاعة وحق الكلاءة
وقال له الطايع لله نضر الله وجه الماضي وجعلك الخلف
الباقي وصير التعزية تعره لك لا بك والخلف عليك لا منك
فاذرى على خديه دموع عينيه وبادر الى الصعيد شكرا لما منه
عليه ثم انتصب منصب ابيه فاجرى الامور على استقامة وتدبيرها

كتاب التاجي للصابي من وقايع بخ

بسياسة عامة وكان اخوه الاكبر ابو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة
غايبا الى مدينة واشير من ارض كرمان فلما بلغه نعي ابيه كر
راجعا الى فارس وقبض بها على نصر بن هارون النصراني وزير ابيه
فاستوفي عليه جواصل اموالها وبقايا اعمالها وامتد منها الى
الاهواز فملكها على اخيه ابي الحسين احمد بن عضد الدولة وغلب على
البصرة معها وذلك في رجب سنة خمس وسبعين وثلثمايه ثم استعد
لقصد بغداد طلبا لمكان ابيه واستضافة لما في يد اخيه الى
ساير ما يليه وسار حتى وافاها تلقاه صمصام الدولة بما اوجبه
حق سنه عليه اجلالا ومهابة ومداراة ومقاربة تفاديا من ضرر
استيحاشه وعدوى مساءته غير عالم بان غمدا فردا لا يسع سيفين
ووترا واحدا لا يضم سهمين فقربه اليه ابو الفوارس ورفع
مجلسه ثم خلعه وكحله وامر به الى قلعة كيوستان من ارض عمان
واستولى على المملكة ولقبه الطايع لله بشرف الدولة وزين الملة
فبقي على جملة سنتين وتخرمه حكم الله في جمادى الاخرة سنة تسع وسبعين
وثلثمايه فقام شاهانشاه بهاء الدولة وضياء الملة ابو نصر بن عضد
الدولة مقامه وتجرد لضبط الامور المايرة وتلافي الحال الحايلة وكفل
بالملك كفالة خبير بالتجارب بصير باعقاب العواقب
ومال الاتراك بفارس على صمصام الدولة فابرزوه من معتقله
وحمله غلامه المعروف بسعادة على عاتقه منحدرا به فملك فارس
واموالها وتتبع اموالها فجباها ثم تنكروا له من بعد وقدموا
ابا علي بن ابي الفوارس وعقدوا له الرياسة عليهم ولقبوه

بشمس الدولة ونجم الملة وتجردوا للدفاع عنه والدعاء اليه
فانتدب لمواقعتهم الى الذين منهم افتح هزيمة وغنمهم ابرد غنيمة
فخنسوا الى بغداد صاغرين خاسرين وتحرك فركب بهاء الدولة وضياء
الملة لقتال صمصام الدولة فتناوشا الحرب فصلا كالكعوب
الرماح ما بين المساء والصباح حتى خربت البصرة وبلادها في اكثر
اكثر كور الاهواز وقد كان اولاد بختيار محتبسين في حصار
بناحية فارس فاستنزلهم طايفة من الاكراد الخسروية عن معتقلهم
موججين نار الفتنة باستنزالهم وفك عقالهم فناصبهم الحرب
مستكفا شرهم ومستدفعا باسهم وضرهم فاختلفت بهم الوقايع
بين تلك الفتن الثايرة والاحن الفايرة وكانت عقباها ان جلت عنه
قتيلا وتدمر بهاء الدولة الجلايه عليه فارصد الجناة بطايلته
حتى شردهم كل مشرد وطردهم كل مطرد والجا اولاد
الى الجلاء عن تلك الناحيه وزعيمهم يومئذ سالار بن بختيار الملقب
بنور الدولة وكان من امره انه انتبذ عنها مدحورا مثبورا فاضطربه
الحال الى خفارة التجار في تجاراتهم واجازتهم على مراصد القطع
ببضاعاتهم على خرج يستعين به من جهتهم على مؤن معاشه ودريا
واتبعه بهاء الدولة بجيش واقعوه بكواشير فغلبوه ووصلوا اليه
فقتلوه وحمل منهم غلام راسه الى بهاء الدولة فاستعرض للرجم
الذانبة واللحمة الجانية من تشجعه على ملاقاته فامر بالغلام
فسلخ جلده من قرنه الى قدمه عبرة لمن اقدم على مثل سفك دمه
وبعث بعميد الجيوش الملقب بالصاحب الى بغداد لمراعاة تلك الاعمال

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رماني

واستوفى حقوق بيت المال فاستقرت سيرته وجرت في العدل بصيرته
وعمّ رفقه حجيج بيت الله الحرام فانطلقت بشكره الألسنة الخاص
والعام الى ان قبضه الله فسد مكانه بوزير الوزراء زيادة في النظر
للرعية فازرى على عميد الجيوش في الاحسان الى الكافة واصطناعهم
ورفقا بهم وطرحا عنهم وصفت نواحي فارس وكرمان لبهاء الدولة
منضافة الى سائر اعماله وقعدت الفتن القائمة عن سوقها في زمانه
نعم الامن والسكون وشمل الرفق والهدون واستراح عباد الله مما كان
يقدحهم من وطاة الجيوش ويلحقهم من معرة اختلاف السيوف
وقد كان ابو علي بن الياس قد ملك كرمان ايام عضد الدولة لآل سامان
واقام بها مدة من الزمان لا ينازعه فيها منازع ولا يدافعه عنها
مدافع وكان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان اشفاقا من معرته
للوثة راها في رايه واضطراب تبينه في وجوه شمائله وانحائه
ولهي عنه مدة من الزمان مديدة ومشيكا بذلتها بوسا وضرا وشدة
فاتفق ان اشرف نسوة من نساء ابيه وجواريه عليه فرثين لضيق مكانه
ودبرن في وجه خلاصه وعمدن الى خمرهن فوصلن بعضها ببعض
وخلصنه بها من معقله وتسامع اهل العسكر بخلاصه وانحلال
عقاله فتجمعوا عليه وانقطعوا بجملتهم اليه ممالاة له على ابيه
لجفوات نقموها منه وبلغ ابا علي خبر انحلاله فارسل الى ذوي
التجربة والتاتب باحتشادهم اليه فاظهروا الضجر بمكانه
والتبرم بطول زمانه وساموه مفارقة كرمان ليستقر الامر على
ابنه اليسع بطاعتهم له وتوخيهم موافقته فعرف ابو علي قولهم

بجنب المداراة

بجنب المداراة والاحتمال في عاجل الحال ثم جمع ما قدر عليه من صنوف
الاموال وكر عائدا الى بخارا متخليا بين اليسع وبين تلك الولاية
واقام ثقتيه بشر بن المهدي وترمش الحاجب على خدمة اليسع
وكفاية امره اذ كان حدثا غرا تقتضي استخلاف مثلهما في ردها بهما
وقوة رايهما على حضانة اموره وتبصيره الرشد في وجوه تدبيره
ولما وصل ابو علي الى بخارا بولغ في تعهده واكرام مورده واحلاله
من الايثار والاكبار محل مثله الى ان توفي بها في شوال سنة ست
وخمسين وثلثمائة فاما اليسع فانه ولي امر كرمان فحمى اطرافها
وجبى اموالها وكان اخوه سليمان مقيما بسيرجان واليا عليها
فاغراه بشر بن المهدي به واشار عليه بمعاجلته قبل انتظام شمله
واستتمام رجله فكتب اليه يستدعيه لمهم لا يستغني عن مفاوضته
فيه فامتنع عن الاجابة بعلل اخترعها ومعاذير تحلها وضاق اليسع
به ذرعا ولم يجد من مناجزته بدا فنهض اليه محاربا حتى هزمه
وغنم ماله فوقع سليمان الى بخارا واطمع اليسع نزق شبابه في
مناكبة عضد الدولة ابي شجاع على بعض حدود عمله فكان مثله
مثل العير طلب القرنين فضيع الاذنين وذلك انه لما بلغ مفرق
الحد بين كرمان وفارس اتاه صاحب طليعته بطائفة من المستأمنة
عن عسكر عضد الدولة فاحسن اليهم وصب الخلع عليهم ثم هرب
نفر منهم راجعين وراءهم فارتاب اليسع برفقائهم وظن الزوراء
استيمانهم حيلة او غيلة فاوسعهم تنكيلا وعمهم بالعقاب قطعا
وقتلا واستأمن عنه الى عضد الدولة جملة من رجاله فحملهم وحباهم

وصلهم ومنانيهم فلما راى اصحابه تباعد ما بين الامرين تالبوا عليه
وتنمروا له وتحزبوا وتسللوا من جملته صفقة واحدة الف رجل
من وجوه الديلم الى معسكر عضد الدولة وموناجيه اصطخر
وفسا الظربان بين الامرين فجعلوا يتسللون لواذا ويتفرقون جميعا
واشتاتا حتى انفض عنه عامة اهل عسكره وبقي في خاصة
غلمانه وحاشيته فاضطر الى معاودة واشير فاسرع منها
بعياله وبما خف عليه حمله من اثقاله واموا له نحو بخارا لا يلوى
على احد دون الاغذاذ في السير وطي بساط الارض بحوافر
الخيل فلما اتصل خبره بعضد الدولة بادر على اثره الى واشير
فملكها واستصفى اموال آل الياس بها ثم استخلف عليها كورتكين
جستان ورجع عنها الى فارس ولما ورد اليسع ناحية جوين
من حدود قهستان خلف اثقاله وغلمانه بها وركب الجمازات الى
نحو بخارى للاستنجاد وطلب الامداد فلما وافاها قرب محله
وروعي له حقه واستخص مجلس الانس تخصيصا بمزية الاكرام
والاثرة فلما قدر عليه سلطان الراح لم يتمالك ان قال مستبطئا
لو عرفت قعود الهمم بآل سامان عن اغاثة الراجين لها واللاجين
اليها لطلبت غير هذه الحضرة ملاذا ومعتصما فخشن مس
هذا المقال منه وامر به فنفي الى خوارزم وبلغ اباعلي بن سيمجور
حاله ومقاله فبعث الى جوين من قبض على غلمانه وامواله
فنقلهم واياها اليه غنيمة خالصة عن ايدي الاعتراض والاشتراك
واصاب اليسع بخوارزم رمد اقلقه واكمده واستنفد وسعه

وجلده وحمله الضجر بالالم على ان فقا عينه الرمدة بيده فسالت
على خده وكان ذلك سبب هلاكه وحينه ولم يطر من اعقاب
الالياسية بحدود كرمان بعده احد وازداد عضد الدولة طوله
وعزه ارتفاعا وشمولا الى ان ورثها بهاء الدولة وضياء الملة
فاجرى امورها بمجاريها الموروثة في حفظ الاطراف وبسط
العدل والانصاف ولما ملك السلطان يمين الدولة وامين الملة
خراسان وفتح سجستان وحصل بين ولايته وبين تلك الديار
ذمار الجوار فاتحه بهاء الدولة وضياء الملة بكتبه خاطبا كريمة
وده على صداق قلبه المغمور بموالاته المقصور على تطلب مرضاته
ووصل ذلك بهدايا ومبار لا تنبت برحب صدره وعلو همته وقدره
فاجابه السلطان يمين الدولة وامين الملة الى ما خطبه واوجب
له مثل ما اوجبه واتحفه بما رهن الوداد واكد الاتحاد وقضى
حق المكافاة وزاد وتشوفت الحال بينهما الى ذكر عصمة
تتحد بها البيوت والمراتب وتشترك فيها الاقارب والاباعد فسفر
مشايخ الدولتين في تشبيك اللحمة وتوشيح اسباب القربة الى
ان اتاح الله من ذلك ما عم القاصي والداني فائدته وشمل الحاضر
والبادي والطارئ والثاني نفعه وعائدته

ذكر وقعة نارين

ونشط السلطان يمين الدولة وامين الملة في سنة اربعمائة لغزوة
في ديار الهند ينكا بها قرح نكاياته فيها تقربا الى الله تعالى
واحتسابا للمثوبة من عند الله فنهض نحوها بحث الخيول وبخرق

الحزون والسهول الى ان توسط ديار الهند فاستباحها واذلّ
لقاحها ونكس اصنامها وعرض على السيوف اغتامها وصار
على هينته نحو مقصده واوقع بعظيم العلوج وثبته افاء الله
بها عليه امواله واغنمه خيوله وافياله وحكّم فيهم سيوف اوليائه
يحسونهم بها بين كل سهب وقردد ويجزرونهم عند كل
مهبط ومصعد وردهم الى غزنة فيما حواه من تلك الغنائم الموفورة
سالما غانما وافرا ظاهرا ولما راى ملك الهند ما صبّ الله عليه
وعلى اهل مملكته من سوط العذاب بوقايع السلطان يمين
الدولة وامين الملة فيهم ونكاياته في قاصيهم ودانيهم وايقن
انه لا قبل له بثقل وطاته وخشونة جانبه ارسل اليه اعيان
اقاربه وقرابينه ضارعا اليه في هدنة يقف فيها عند امره
ويسمح له بماله ووفره ويتجرد اوقات دعائه لنصره على ان يقود
اليه بادي الامر خمسين فيلا لا يعد احادها باضعافها ثقل اجسام
وخفة اقدام ويحمل معها مالا عظيم الخطر كثير القدر بما
يضاهيه من مبار تلك الديار ومتاع تلك البقاع وعلى ان يناوب
كل عام بين افناء عسكره في خدمة بابه بالفي رجل بين آيب وعائد
الى اتاوة معلومة يلتزمها كل سنة سنة يتمسك بها من
يرث مكانه ويقوم في كفالة الملك مقامه فاوجب السلطان
اجابته الى ملتمسه لعز الاسلام ببذل طاعته واعطائه الجزية
عن يد صاغرا وبعث اليه من طالبه بتصحيح الاموال وقود الافيال
فتقدم ما وعد وقدّم الوفاء بما شرط وبعث بمن ضمن تحصيلهم الى بابه

من خواص رجاله على جملة الخدمة واقامة رسم الطاعة فانعقدت
تلك الهدنة ودرّت تلك الاتاوة وتتابعت القوافل من ديار
خراسان وبلاد الهند في ضمان الامان وجوار الحيطة والاحسان

ذكر غزوة غور

اتفق للسلطان يمين الدولة وامين الملة فكر في جبال الغور وتمرّد
اهلها وتمنعهم على عظيم عن حلية الدين وسمة الاسلام وحصولهم
في المقلة من عين حوزته والمركز من دايرة مملكته وتاذي المارة
والسابلة بعيث ارصادهم وعيث قطّاعهم وافسادهم لاستطالتهم
بمنيع جبالهم الشواهق ومحارس مسالكهم المتضايقة فانف للدولة
القاهرة من ان يخليها على غلق اقفالها وشد رتاجها فصرم العزم
على تدويخ ديارهم وتذليل رقابهم وانتزاع نعرة الاستطالة
من رؤسهم واستلال وحر العصيان من صدورهم واجلب عليهم
بخيله ورجله معوّلا على صنع الله وفضله وقدّم امامه والي
هراة التونتاش الحاجب ووالي طوس ارسلان الجاذب وسارا
مقتحمين مضايق تلك المسالك الى ان افضى بهما الدروب الى مضيق قد
غص بحماة الغورية ممن لفظتهم القرى القاصية والمجال المتنائية
فتناوشوا الحرب تناوشا بطلت فيه العوامل الا الصوارم في
الجماجم والخناجر في الحناجر وتصابر الفريقان على حر الكريهة حتى
سالت نفوس وطارت عن الهام رؤوس وبلغ السلطان خبر الفريقين
فلحقهم في خواص رجاله وجعل يلجئهم الى ما وراءهم شيئا فشيئا ويملك
عليهم بلادهم شعبا فشعبا الى ان زرقهم في عطفات الجبال الشوامخ

والحقهم بقلل الراسيات البواذخ واستفسح المجال الى عظيم
الكفرة المعروف بابن سورى فغزاه في عقر داره واحاط بمن
جوانب حصاره وهي قصبة تدعى آهنكران وشد عليه الحرب وبرز
الرجل في قرابة عشرة آلاف رجل رجال كانما خلقت قلوبهم من جلاميد
واكبادهم من جلاميد يستأنسون باهوال الوقايع استيناس الظماء
بما الشرايع فصافوا عسكر السلطان مرعدين بالبطش والباس
مبرقين بصوارم السنان وجعلوا يهرون في وجوههم هرير الكلاب
اعياها الفرار واحرجتها الانجاز فامر السلطان بمداركة البشد
عليهم بما اوجبه حكم الاحتياط اذ كانوا استندوا الى معاقل وثيقة
ومعتصمين بخنادق عميقة حتى اذا انتصف النهار على وقاحتهم
في مغامسة الحرب ومصابرة الطعن والضرب اشار بتوليتهم الظهور
على وجه الاستدراج والاغتيال فاغتروا بخدعة الانقلاب
وانقضوا عن مواقفهم الى فسحة الفضا لاغتنام فرصة الانهزام فكرت
عليهم الخيول بضربات غنيت بذواتها عن اخواتها فلم ترتفع منها
واحدة الا عن دماغ منثور ونياط مبتور وصرع في تلك المعركة
الواحدة رجال كهشيم المحتظر او اعجاز نخل منقعر وملك الاسر
عظيمهم المعروف بابن سورى باقربيه وذويه وساير حواشيه
وافاء الله على السلطان ما اشتمل عليه حصاره من ذخاير الاموال
والاسلحة التي اقتناها كابر عن كابر وتوارثها كافر عن كافر
وامر السلطان باقامة شعار الاسلام فيما افتتحه من تلك القلاع
والرباع فافصحت بذكره منابرها واشترك في عز دعوته باديها

وحاضرها ورجع بعد ذلك عن وجهه على جناح اليسر والنجاح والظفر
المتاح وحين راى ابن سورى حصوله في ذل الاسار واستباحة السلطان
ودايع حصاره تبرم بحياته واستراح الى برد وفاته فامتص سما
كان اودعه فص خاتمه فجاد للوقت بنفسه خسر الدنيا والآخرة ذلك
هو الخسران المبين

ذكر القحط الواقع بنيسابور في سنة احدى واربعمائة

وقع القحط بنيسابور في هذه السنة خصوصا وفي ساير بلاد خراسان
عموما فهلك بنيسابور واطرافها دون غيرها مائة الف او يزيدون
وكم دفن منهم باطمارهم لضيق الاكفان بهم وعجز غسلة الاموات عنهم
وكان الناس من بين غلام وشاب وكهل وشيخ وفتاة وعجوز ينادون
الخبز الخبز ويذوبون على انفسهم حتى تغور عيونهم وتجب للموت
جنوبهم ورعوا نبات الارض حتى استحكم الياس عن الزروع
وانقطعت الاطماع عن الربوع وضاق بهم الامر فجعلوا يتتبعون
رمام العظام على رؤس الكناسات تعللا بها ومهما ذبح قصاب
ذبيحة اجتمع عليها الفوج بعد الفوج يتقاسمون نجيعها بالكيزان
والخزف تسكينا لحرة الجوع واجتزاء به عن القوت ولم ينل منهم احد
الا سقط لجنبه وجاد عن كثب بنفسه وعهدي بهم يتتبعون سقاطات
حب الشعير عن الحدوات ومنها ان الشعير لاعيا الانام فكيف
البهايم والانعام ثم تراقى الامر الى ان اكلت الام ولدها والاخ
اخاه والزوج زوجته وظل بعضهم يختلس بعضا من شوارع
الطرق الى الخرابات فيطبخ منه ما شا من الباجات وحرت الاسنان

الهدو والجفر

على الناس لكثرة ما صبّ عليها من لحوم البشر فيبيع في أسواق
وتبيض على أقوام بلا عدد كانوا يغتالون السابلة فيصيدونهم
على هذه الجملة ووجد في دورهم ما يغمر العدّ من رؤوس الناس قد
أكلت لحومهم وصهرت شحومهم فأمّا الكلاب والسنانير فلم يبق
منها إلا العدد اليسير وهاب أوساط الناس وأرباب الحرف
أن يخترقوا وقت العشاء محلة ناحية عن واسطة البلد إلا في عدد
وسلاح جديد وأذكر أن فقيهًا وجيهًا من أصحاب الحديث دخل على
الإمام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي فسأله عن تطاول
بُعد عهده به فقال ليأخذ الإمام عني أحدوثة عجيبة ردّ الله
عليّ بها روحي فضلًا منه جسيمًا وصنعًا كريمًا وذلك أني جعلت
أمرّ بعض العشيات وحيدًا في شارع أشار إليه فلم يرعني إلا وتر
صار في عنقي وجذبت به جذبة ضيقت على مخنقي فبينا أنا أهمّ
بمواتاة الجاذب ومناداته السلامة على ضيق التخنيق إذ وثبت إليّ
من بعض تلك الأوبات امرأة فضربت أنثييّ بركبتها ضربة سقطت
مغشيًا عليّ فلم أشعر بعدها بشيء من مصادر أموري إلى أن أفقت
عن الغشي ببرد ماء رُشّ بين وجهي وترائبي فنظرت إلى قوم أجانب
يتخادعونني عما دهاني ويكاتمونني صورة ما عراني فاكتتمت ساعة
وجبتي لجنبي إذ ركوني عابر من المنازلهم فهرب عنهم من أشفى على
قتلي واستباحة دمي وتركني برمقي وخلّى الوتر في عنقي فصبرت
ساعة إلى أن استوفيت الإفاقة واستعدت القوة والطاقة
وعدت إلى المنزل وسقطت من هول ذلك المصرع على الفراش عشرين

يومًا مدهوشًا مبهوتًا ومرضًا مستوبتا إلى أن منّ الله عليّ بأوائل
الإقبال وزوال الكثير مما مسّني من ألم الاعتلال فبكرت يومًا احتسبت
بالخفة إلى المسجد لإقامة الفرض وصعدت المئذنة على الرسم فلم
أستتم التكبير حتى اختطف عمامتي عن رأسي وهواء إذ صاحبه
به رقبتي فأخطأها لما أراد الله من إنساء أجلي واستبقاء مهلي
فعدلت عن الأذان إلى الصياح بطلب الأمان وجعلت لله عليّ نذرًا
بعد ذلك أن لا أخرج مدة هذه الفتنة من داري إلا والشمس بيضاء
نقية ولا أرجع إليها إلا وفي النهار بقية فهذه هي التي تبطئني
عن الخدمة وأقعدتني عن الرسم في مشاهدة الجملة فقضى الحاضرون
من تلك الداهية وسألوا الله حسن السلامة والعافية وحكي عن
الأستاذ أبي سعيد عبد الملك بن عثمان الواعظ أحد الصالحين من
عباد الله الموقنين والساعين في مصالح المسلمين أنه نقل إلى دار
كان يسكنها المرضى والزمنى من الفقراء وأبناء السبيل في يوم واحد
من أيام هذه السنة أربعمائة ميت عن برح الجوع والمخمصة على
أن يوعز بتكفينهم ودفنهم فأتاه خبازه الذي كان يقيم جرايات
المذكورين من جهته وهو في حيرته يذكر أنه قد بقي في هذا اليوم
بعينه مما كسد على البيع أربعمائة منا خبز فسبحان من يقضي على
من يشاء بالفناء مع إمكان الأقوات ووجود الكفايات وقد أكثر
الناس في ذكر هذا الغلاء والبلاء فمنه قول أبي نصر الزاهي الكاتب

قد أصبح الناس في غلاء وفي بلاء تداولوه
من يلزم البيت يمت جوعًا أو يشهد الناس يأكلوه

ولابي محمد العبدلكاني الزوزني شعر

لا تخرجن من البيوت لحاجة او غير حاجة
والباب اغلقه عليك موثقا منه رتاجه
لا يقتنصك الجايعون فيطبخون بشور باجه

وامر السلطان يمين الدولة وامين الملة بالكتب الى عماله ببسط
الاموال على الفقرا والمساكين واستبقى الله بها مهجات قوم قد
اشرفت على الهلاك وافتكهم من بين حنك الاجتياح فبقيت تلك
السنة على حالها ان ادركت غلات سنة اثنتين واربعمائة فمن الله بازالة
تلك الشدة واطفا تلك النايرة المتقدة وتدارك عباده بعد استحكام
الياس بالغيوث الهامية والينبوع الزاكية النامية ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له بعده وهو العزيز الحكيم

ذكر ما افضت اليه احوال ايلك بعد معاودته ما ورا النهر

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد انكشاف عسكر الترك
عنه يراعي ما يسفر عنه تدبير ايلك الخان واخيه الكبير طغان خان
اذ كان اخوه يمالي السلطان عليه لايمان يزعم لزومها اياه ومواثيق
يدعي انعقادها عليه ويظهر البراة على السنة رسله من تعلق
ايلك في منابذته ومكاشفته والتخطي الى حدود مملكته ويورك
ايلك الذنب عليه في اغرائه بما اتاه ومكاتبته في البعث على ما جناه
ولما ظهر لايلك ان اخاه طغان خان قد جعله عرضة للخيانة وقلد
طوق تلك المكاشفة براة منه وخذلانا اياه وشقا لعصاه
واسلاما لما كسبت يداه راى ان يبتديه فيحسم دا قرابته قبل تحسل

بالسيف وضر جنايته فجمع جيوش ما ورا النهر لقصده واستدفاع
مكره وغدره وسار حتى اذا جاوز اوزكند نحوه سقطت ثلوج
سدت عليه مسالك العقاب المفضية اليه فارتد عن وجهه الى
قابل حتى طاب الهوا وانحسر الشتا وجفت الانداء فكر عايدا على ثاره
لفت المشتري موهنا بناره وكان وردت رسلهما في التنازع الذي
تقدم ذكره فتراجعا القول في البراة عن جناية العبور واحالة
بعضهم على البعض في نقض المواثيق والعهود فجلا امر السلطان
في لغط القول حتى وصلوا بحر النفاق الى برد الاشتفاء واراد السلطان
يمين الدولة وامين الملة بعد ذلك قراءتهم فامر بتعبية جيوشه وحشمه
وخيوله فرتب العسكر سماطين عن جنبتيه في هيئة لو راها قارون
لقال يا ليت لي مثل ما اوتي محمود انه لذو حظ عظيم
وصفت مقامه انه اصطف من غلمانه على التقابل قرابة
الفي غلام من عقايل الترك في الوان الديابج من بين سود وبيض
وحمر وصهب وكهب وخضر وفيما يقرب من موقفه خمسماية غلام
من خاصته على ترتيبهم في مثقلات الروم بمناطق من ذهب مرصعة
بالجواهر واعمدة من جنسه فوق الاكتاف والعواتق وقد اطاف بهم
من عظام الفيول اربعون فيلا على المحاذاة غواشيها دبابيج
الروم بعصايب ومعاليق من الذهب الاحمر مرصعة بكل جوهر ثمين
وياقوت رزين وورا السماطين سبعماية فيل في تجافيف مشهرة
بالالوان مسورة بالجراب والمران وعامة العسكر في سرابيل قد كتب
القيون زردها عن اجتلائها العيون ورتب الرجالة امام الخيول

في التراس الواقية والجنن الحامية والسيوف المرهفة والعوامل
المختلفة وقام بين يديه حجابه كالبدور في ظلم الديجور قابضين
على قبايع سيوفهم هايبين قدره وناظرين امره فاذن لهولاء الرسل
على هذه الهيئة حتى لقوه واقاموا من رسم الخدمة ما افترضوه
ثم عدل بهم الى الموايد في دار قد فرشت بما لم يخل غير الجنة
مزينة للمتقين معدة للعارفين ففي كل مجلس دستور من الذهب
الاحمر بين جفان كالجواض واطباق كبار قد نضد بها من صدره الى
قدمه بما يشاكله من الاواني الفايقة والالات الفاخرة الرايقة
وهيئ الخاص مجلسه طارمة قد جمعت الواحها وعضاداتها نصبات
الذهب وصفايحه وثقب بمسامير من جلسة وفرش من الديباج
المثقلة بما لا يدرك الابصار منه غير حمرة الذهب وفي الصدر
منقلة مقسومة ببيوت مضلعة ومستديرة يشتمل كل منها
على نوع من الجواهر التي اعيت امثالها اكاسرة العجم وقياصرة
الروم وملوك الهند واقيال العرب وحوالي المجلس اطباق وتماثيل
من الذهب مملوة من المسك الاذفر والعنبر الاشهب والكافور
العطر والعود القماري العبق وهلم جرا الى ما يملا الابواع
والايدي من اترجات مصوغة ونارنجات مصنوعة وما يشبه الفواكه
من عقيان وبذخشي وبهرمان الى اواني لم يسمع بمثلها رقة اجسام
ودقة صنعة واحكام وطاف على الرسل ولدان كالدر المنثور
واللولو المكنون براح كالماء المعين ورضاب الخرد العين الى
ان اشفقوا من عثرات العقول فاستاذنوا للقفول وصرفهم

السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد هذه المادبة وراءهم
بما اوجبته همته من تحقيق امانيهم ورعاية حق الملح فيهم وبقي الخانان
على جملتهما في المنافرة والمناقرة والمكاوحة والمكافحة الى ان
توسط السفراء بينهما ففصلوا الامر على ما كف كلا منهما عن صاحبه
على ما سنورد ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى

ذكر فتح قصدار

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة يراعي ما يتجدد من اخبار
الخانين ايلك وطغان خان فيما تنازعاه من الامر فلما بلغه اشتجار
ذات بينهما استخار الله في قصد قصدار اذ كان صاحبها قد
الم بجانب المجانبة واخل بحمل مال المقاطعة اعتزازا بمناعة
مملكته واغترارا بحصانة الطرق المفضية الى حلته ففصل
السلطان عن غزنة الى بست موهما بقصد هراة حتى انتشرت
الاخبار بعزيمته واستفاضت الاحاديث بظاهر امره ثم ركض
الى ناحية قصدار في اغلب الغلب من رجاله ركضة طوت تلك
الجبال الوعرة والمسالك الصعبة فلم يشعر صاحب قصدار
الا بعلامات السلطان حول داره قبل ان يكتحل بضوء نهاره او يحتفل
لشد ازاره فنادى الامان الامان وبرز يخدم السلطان فالزمه
السلطان خمسة عشر الف الف درهم من جملة ما كان الظ به من
اموال عمله فالتزمها ونقد اكثرها وقبض السلطان على عشرين
فيلا ضخاما هايلة كان اعتقلها ليومي بؤسه وباسه ووكل به
من استوفى المال عليه ورجع عنه بعد ان رعى حق طاعته وضراعته

باستخلافه على ما كان يليه وبسط يده في اطراف عمله ونواحيه
الى غزنة ظاهر النجح فايزا قدحه عاليا يده واريا زنده صنعا
من الله تعالى لمن يجتبيه من خيار خلقه لعمارة ارضه وانارة
حجته والله يوتي ملكه من يشاء والله واسع عليم

ذكر الشارين ابي نصر محمد بن اسد والشاه محمد ابنه وما افضى اليه امرهما

قد كان يلقب كل من يلي امر غرشستان بالشار سمة مصطلحا
عليها تنبي عن معنى التمليك ورتبة الاجلال والتعظيم وكان
الشار ابو نصر واليها الى ان اخر ولده الشاه وفيه لوثة مشهورة
فتغلب على الامر بقوة شبابه واستظهاره بمن شايعه من اصحابه فاعتزل
ابوه مخليا بينه وبين ما كان يليه وينفرد بالنظر والتدبير فيه
ومقتصرا على دراسة الكتب ومطالعة الادب اذ كان بهما مولعا
وبلذتهما دون ساير اللذات مقتنعا وكان منتجع الافاضل من
اعماق البلاد ينتابه منهم كل مبدع خطا وبيانا او مبدع
به بلوى وامتحانا فما ينشب يحذر ان ينتابه ويشهد بابه حتى
يستخصب جنابه ويستجزل بره وثوابه وكان صاحب الجيش ابو
علي محمد بن محمد بن سيمجور لما فتح باب الاستعصاء على الرضي نوح بن منصور
رام ان يستضيف ولاية الغرش الى ما يليه وان يجد من جانب الشارين
طاعة له في اوامره ونواهيه فاظهرا التمرد عليه كراهة لاختياره
على ارباب الملك الذين اعطوهم المقادة قدما وسلموا لطاعتهم
تسلما وادلالا بحصانة صياصيهما وقلاعهما ومناعة جوانبهما

تهما

واشياعهما ومحاماة للرضي على حقوق طاعتهما وسوابق حرمتهما
اذ همّ ابو علي بمنازعتهما ملكا ورثاه وطمع في فضل مال اقتنياه
فلم ينفعه ابو علي ان جرّد اليهما ابا القاسم الفقيه احد انياب دولته
واركان دعوته في جيوش كثيفة وخيول على الالاف منيفة
تناهضهما في عقر دارهما متوقلا اليهما قوارع تناطح السماء
وشوامخ تناطح الجوزاء ومتوغلا مخارم تمرد على السلوك
مرود السموم على غلاظ السلوك ينازعهما في تلك المقامات الى
يدار عندها بالرؤوس ويغشى على النفوس ويلجئهما من مضيق الى
مضيق ويفجعهما بفريق بعد فريق حتى اجلاهما عن قرارة بيتهما الى
قلعة ورثاها اباءهما في اخريات هاتيك الجبال لا تزل عن اعاليها
اقدام الغيوم وتحلق دون مبانيها كرام الطيور وملك عليهما
صحون جبالهما وسهول ديارهما ومجالهما بجنبيها ويتتبع ما ينشب الى
كل واحد منهما فيها الى ان صمد الامير ناصر الدين سبكتكين صمد
ابي علي فاسترد ابا القاسم الفقيه شغلا بالبازل القرم عن علي
الثني وبالعقاب المنقض عن الكركي وعلم ان قد انى للوادي
فطم على القري وانضم الشاران الى الامير سبكتكين في نصرة الامير
نوح فانتقما من ابي علي حين ولى هزيما وتعرى عما تولاه واقتناه
حديثا وقديما واجفل نحو جرجان لا يملك رايا ولا عزيما ولم
يزل بعد ذلك حالهما على جملتهما في الامنة والسكون والجاه المصون
الى ان ورث السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان حكما لله
في ارضه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما اذعن

ولاة الأطراف للطاعة والتزام حكم المتابعة واعطاء صفقة
البيعة وترع المنابر باقامة الخطبة وكلهم سمع واطاع
وبذل في الخدمة والقربة المستطاع انهضت الى الشارين في
اخذهما باقامة الخطبة له اسوة امثالهما من ولاة الاطراف
وضمنا الانهاض فتلقيا ذلك بفروض الطاعة والحرص على
الاقتداء بالجماعة وامرا بالخطبة فاقيمت باسم السلطان
بكورة الغرش في شهور سنة تسع وثمانين وثلثمائة وورد على الشارين
كتب المتحازين الى بخارا عن منهزمي يذكرون انهم على الاحتشاد
والتجرد على المعاد فلينظر امرهم عن قريب وليأخذ من الانتصار
وادراك الثار بنصيب فبعث الشار ابو نصر بها الي وخرج رقعة
افردني بها يسألني تاملها وانفاذها باعيانها الى السلطان
ليتقرر حاله في الموالاة ومخالفة ذوي المباداة فكتبت اليه في
جواب رقعته تاملتها اطال الله بقاء الشار فوجدتها تدل على
خدود قد عمل فيها صيقل الوقاحة لجد يسوء عذر صاحبه
يضرب فكيف ان لم يكف عنه كفيه وما نحن في هذا المعنى فيما اوفى
الله مولانا السلطان من الحسنى الا كما قال المتنبي

ولله سر في علاك وانما كلام العدى ضرب من الهذيان

فاما قولهم انا على الانتصار وطلب الثار فتلك امانيهم قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين على انا نقول

لئن كان اعجبكم عامكم فعودوا الى حمص في القابل
فان الحسام الخضيب الذي قتلتم به في يد القاتل

فان قالوا ان العود لعهد فذاك لمن حمد البدء لا لمن ذم وصادف
فيه ما سر لا ما سا وغم وقد راوا في يوم لقائهم كيف شرقت السيوف
النفوس بدمائهم وتحكمت النسور في اشلائهم فان نشطوا ثانية
فها تيك الصوارم ماضية والقشاعم ضارية وما اشبه حال
القوم بما قام به ابن الاشعث خطيبا في قومه فقال يا
قوم انه ما بقي من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب به
يمينا وشمالا فما يلبث ان يموت وكذا المصباح اذا قارب انطفاؤه
توهج قليلا ثم لم يغن ذلك من حينه فتيلا فالحمد لله الذي جعل
سيوف مولانا تخطب على منابر الرقاب اذ جعل السنة اعاديه تخطب
فوق اسرة الارقاق وفي ايدي الرغبة في ان يطيل بقاء مولانا ما برز
يوم من حجاب امس وطلع نفس من قرارة نفس منصورا على من
نابذه وناواه ليودعه من بطن الارض ملحده ومثواه وعن كثب
سيرى الشار كيف يفعل الله بالغاوين ويلبسهم خزي الباغين
ويردهم اسفل السافلين وقبل وبعد فالحمد لله رب العالمين وكان
الامر على ما جرت وتفرست فان ايلك انحدر اليهم فملك عليهم
دار الملك بخارا واخذ معظم القوم اسارى وشرد الباقين في
الارض حيارى نعم وطالعت الحضرة بصورة امر الشارين في الطاعة
حتى حظيا من الاكرام بما توقعاه وحليا من الاعزاز والايثار
بما تطلعاه وحضر الخدمة بعد ذلك الولد المعروف بشاه شار
فصادف ما استحقه من ترحيب وترتيب وحظ من الايجاب والايثار
رغيب وغبر مدة على هذه الجملة ومو من نخوة الاغترار بسمة

الملك ولونه في الطبع وقلما يسلم امثالها عند الملوك على الهلاك
على ذلك محتمل وبلطف القبول والاقبال مقتبل واستاذن من
بعده الانصراف وراءه فصادف اذنا بالمباراة الكريمة مشفوعا
والى الخلع الشريفة فوق الهمة المنيفة مجموعا وعاد الى افشين
قرار منبته ومثابر عزه الى ان عنت للسلطان غزوة احب
ان يحتشد لها فضل احتشاد ويستظهر فيها بما وراء حوله من قوة
وعتاد وامراء جيوش وقواد وامر بالكتاب اليه في استنهاضه
اسوة امثاله ثقة بخصوص حاله وثمرة ما افاض عليه من سجال
افضاله فلذ به اخذا لان عن المكان ولقنه معاذير واهية
الاركان وظل يتردد بين الحران والاذعان الى ان حقت
عليه كلمة العصيان فاعرض السلطان عند ذلك عن تدبيره
واقبل على ما اهمه من امر مسيره حتى اذا دان له ما قصد وظفر
بمن كند وتمرد وعاد بالفتح خافقا لواؤه والنجح شارقا
ضياؤه جدد مكاتبته ايماء الى ما له من خيفة ان اوجسها وابتناء
من وحشة ان لابسها واستبقاء للصنيعة عنده من ان يخضد
اشاءها او يقتطع دون المدى رشاءها فلم يزدد الا كفورا
ونفورا وكان امر الله قدرا مقدورا وعند ذلك جرد السلطان
حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش ونبأه هو الى طوس ارسلان
الجاذب فيمن ضمهم الى جملتهما ووسمهم بالمسير تحت رايتهما
لمناهضة الشار وامتلاك الغرش عليهما واحاقة وبال
العصيان وكفران الاحسان بهما فنهضا في العدة والعديد

مر بعد ذلك الانصراف

والبطش الشديد واستلحقا ابا الحسن المنيعي الزعيم بمرو الروذ
لمكانه من العلم بمعاطف تلك السبل ومخارم تلك الشعاب
القلل فسارا اليهما في رجال قد كدمتهم التجارب ونيبتهم النوائب
يتجمون باطراف القنا على الزبر ويدخلون ولو عرت له
ودمرا على الشارين تلك الناحية فاما الشار الكبير والد
ابو نصر فاستشف استار العاقبة واغتنم شعار العافية
ولاذ بالامان الى الحاجب الكبير التونتاش مظهرا البراءة من
فعل ولده وصادعا بما اشتهر في الخاص والعام من عقوقه
وتمرده وتحمل بشفاعته الى السلطان في ملاحظته بعين من
لم يرتكب جريرة ولم يتغل بريرة ولم يبدل في الطاعة والاخلاص
سيرة فحدره الى هراة بين ترفيه اقتضته طاعته واحتياط
اوجبه خلاف الابن وممانعته وكتب بحاله الى السلطان فورد
في الجواب ما امنه من رهق المواخذة وعنت المعاقبة واما ابنه
الشاه فتحصن بالقلعة التي اووها ايام السيمجورية وهي التي
سبق وصفها في عزة الجوانب ومناعة المناكب وصعوبة
المصاعد والسمو على متون الغيوم الرواكد واستصحب اليها
خواص غلمانه وخزانته وساير حاشيته وبطانته وقصده
الحاجب ابو سعيد التونتاش وابو الحارث ارسلان الجاذب في
الجم الغفير من اعيان القواد وابطال الافراد وتقاسما اركان
الحصار قذفا بالمجانيق المنصوبة والعرادات الموضوعة في
مناوشة للحرب من جهات كادت حشاشات النفوس من هول المقام

امنه رهق

صلا

أن تذوق كأس الحِمام قبل ذوقها بوقع السيوف والسهام ووا
صبوح تلك الحروب بالغبوق حتى هدما أجدا أسوار الحصار
فوضعاه بالحضيض من وقع الجلاميد وصدم المجانيق
أهل العسكر منجبين على سائر الأسوار كالعصم وأقلة في شم الهضاب
أو الأرانب هاربة من غضف الكلاب واشتبكت الحرب على
تلك الحال ضربا بالسيوف القواضب وأخذا باللحى والذوائب
حتى سالت المذانب من دفع النحور واحمرت المنابع من علق
الصدور ورأى الشاه عند ذلك من هول المطلع ما لم يكن
بكان فدعا الأمان الأمان هيهات إن غضاب النفوس إذا صادفت
نجح المرام ووجدا التشفي بالانتقام لموفورة الأذاة في تفعل
أفعالها وتنال من درك الثار منالها وما زالت تلك دعواه وهذه
حالهم حتى أخذوه أسرا واستنزلوه عنوة وقسرا واستبيح
ذلك الحريم بما حواه من درهم ودينار ومال واستظهار وأخذ
حاجبه ووزيره بل نديمه وسميره بل قليله وكثيره فوضع
عليه البهق حتى أعفي بما عرف من ذخائره وخبره من ودائعه
وجلب عامة أوليائه وعماله والمتصرفين في أمور أمواله حتى
عروا عن لباس اليسار وعزت أخلافهم دون الاستدرار ووطئ
أبو الحسن المنيعي عزا ارتفاعات الغرش على ما علم ارتفاعاته منه
قبل المشار فتمكن منها واستخلف هناك من يقوي يده في عمله
وشحن الحصار بكتوال يوثق بأمانته وجلده وبعث السلطان
بعض خواصه لنقل الشار المأسور إلى حضرته أرقاقا لم جهته

علي سبيل

فلما سلم الله جملة في وثاقه نحو غزنة وسمعت بعض الثقات
أنه اتفق للغلام أن يكتب إلى أهله بخبره وما لقيه في حالتي ورده
وصدره وتبشيرهم بمنصرفه فاستدعى الشار في عقاله وأمره
بتولي ذلك بخط يده فأنعم تفكرا ثم أظهر تشكرا وكتب ما هذا معناه
أيتها القحبة الرجبة أترينني أغفل عما أحدثته بعدي من
خيانتي في الفراش وتمزيق ما خلفته عليك من مالي وتحجيفه بأنواع
الفساد لقد أنهي إلي جميع ما ركبته من فجور وشربته من خمور
وضيعته من مالي في كل منكور ومحظور وها أنا عائد إليك
وايم الله لأضعن الدهق عليك وعلى ولدك ولأدقن يديك على
رجليك ولأجعلنك عظة لربات الخدور في الدور بكذا وكذا
واستأنف الشتم حتى علم أنه قد اشتفى واستشفى ثم طوى الكتاب
ودفعه إلى الغلام فطير به بعض ثقاته فقامت القيامة على أهله
وخفن عدوا سعي بهن وحرق من صورهن وفكرن في أمرهن فوجدن
أصوب الآراء تمزيق الدار وتقدم الاستتار وفعلن ذلك
دابات على القلق باثبات على الجوى والأرق فلما وصل الغلام
إلى الدار فإذا هي كالقاع القرق لا يلم بها نافخ ضرمة ولا
متعلق وذمة فبقي حيران وسأل الجيران فأخبروه بصورة
الكتاب وما خيف من الفضيحة بالعقاب فدعا ويلاه ولعن
الكاتب ومن والاه والكتاب ومن أملاه واحتال في رد العيال
بعد أن أكده واحتال جرده وبلغ الخبر السلطان فضحك
لاحتيال الشار عليه وقال كذا حق مثله ممن يستخدم المشار

ممن بيان للضمير في مثله
أي حق من يستخدمه الصائر

كاتبا ويضع حرمته بالاخس جانبا ولما حمل هو الى الباب
السلطان بجريده للسياط تاديبا له على ما اغفله من حق
النعمة وهتك من ستر الحشمة فجردها واخذته عذبات
العذاب فاكثر الضراعة والاستكانة وشكا الذل والمهانة
فلما استوفى التاديب حقه دون ان يبلغ التنكير منتهاه
والعقاب امده ومداه امر بانزاله واعتقاله في موضع يصلح
لامثاله وامر بمواساته والتوسيع عليه في اقواته من حيث لا
يشعره باذنه فيه وفيما اباحه له من الترفيه كرما سرى
في تضاعيف مزاجه ولا الخمر في عروق البشر والما في اصول
الشجر والتمس اسعافه بغلام كان حظيا عنده فرد عليه
واعيد بعض ما نصلحه اليه فاما ابوه المقيم بهراة فاذن له
في ورود الباب ولوحظ بعين الايجاب وابتاع السلطان
منهما خاصة ضياعهما بالغرش حلالها عن عقد الشبهة واستضافه
اياها الى جملة ضياع الملكية وامر لهما باثمان ما باعاه نقدا
صيانة لهما من مس الفاقة وذل الحاجة ورفرف الشيخ الجليل
على الشاباني نصر بجناح الاكرام والرعاية حتى اتاه الداعي
وقام به الناعي وذلك في سنة ست واربعمائة

ذكر وقعة نارذين

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما استصفى
نواحي الهند الى حيث لم يبلغه في الاسلام راية ولم تتل بها
قط سورة او آية فرحض عنها ادناس الشرك وقشع دونها

اغباش الكفر وبنى بها مساجد تقوم فيها دعاة الله بالاذان الذي هو
شعار الايمان راى ان يطوى تلك الديار الى واسطة الهند منتقما لله ممن جحد
توحيده ووضع لعبادة الانداد من دونه تعالى خده ووريده وتحكما فيه سيوفا
طبعت على غرار الاسلام وسقيت بما الايمان وصينت في قراب دين الله
وانتضيت بايدي الاخيار الابرار من اوليا الله فندب الرجال وفرق
الاموال واخلص اليقين واستنصر الواحد المعين ونهض في الطم والرم والليل
المدلهم وذلك في سنة اربع واربعمائة وسار في اخريات الخريف ثقة
بطيب الهوا من جانب الجنوب فاتفق عند اقتحامه تلك الديار ان سقطت
ثلوج لم يعهد قبلها مثلها فسدت مخارق تلك الجبال وسوت بين الاباطح
والتلال وكلح وجه الهوا كلوحا اثر في الحوافر والاخفاف فضلا عن المحاجر
والاطراف وضلت مناهج الطرق فلم تعرف الميامن عن المياسر ولا المقادم
من المآخر واضطرت الحال الى الانعطاف الى ان ياذن الله ثانيا في الانصراف
ولكل شي حد محدود وامد من الوقت ممدود واقبل السلطان على استيناف
العدة والعتاد واستكمال الميرة والازواد واستدعا اعيان الغزاة من اطراف
البلاد حتى اذا تمت العدة والعدد وباهى الحفل باخواته الفرند وتضام
الناس كقزع الخريف من كل وجه منشورا وعن كل اوب محثوثا ومحشورا
واقبل الربيع بطيب المقيل واعتدال برد الغداة والاصيل استخار الله في الرحيل
وسار كالبحر الاخضر تضربه العواصير والامر الحتم جنبه المقادير فكنت
وحوش الارض ماسورة وطيور الجو مقهورة ولو احست الارض لرنت من
ثقل الحديد والمشي الوئيد وحث الابطال فوق القب القياديد وساق امامه

اذ لا يهتدي رواد الأوهام في أعماق تلك البلاد ولا الشمس عليها طالعة والنجوم فيها مستقيمة

وراجعة وجنان الركائب شهرين من أنهار عميقة الأغوار بعيدة ما بين الأقطار

وبوادي تضل في أرجائها أسراب اليعافير وتحار في دهنائها أفواج العصافير

حتى إذا قارب المقصد عبأ الخيول كتائب وميزها عصائب ورتبها كواكب

وقسمها مناسر ومقانب ونصب أخاه الأمير نصر ناصر الدين في الميمنة في كماة

القواد وحماة الأفراد وأرسلان الجاذب في الميسرة في البهم الذكور والبزل الفحول

وجعل أبا عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي على المقدمة في مساعير الحرب أحلاس

الظهور وأبناء الصوارم الذكور ورتب في القلب الحاجب التونتاش وسائر خواصه

وغلمان داره رجالاً إذا اصطفوا فالجبال الشواهق إذ زحفوا فالسيول الدوافق وندبهم عدو

الله ملك الهند تفزع من ناجي الفزع إلى من حوله من تكاكرته وأعيان جيوشه وناصرته

وبجئ إلى شعب حرج المدخل خشن المتوغل صعب المرتقى للتوقل مستعصماً بالأحجار

عن البراز وبالإحجام عن مزدحم الباس وسد مفغر الجبلين بفيله لمراما

الرازون هضاباً نابتة وجبالاً ثابتة وبث النفير في أقطار مملكته يستنهض

من يحمل حجراً أفضلاً عمن يلقم القوس وترا أو يحش بالسيف أثراً ويمد في طول

المطاولة كي يلقي بقوة دانية وعلة وافية ويلجئ أولياء الله إلى الإخلال من فرط

الملال أو النفور من ضيق الصدور ولم يعلم أن الله من وراء المؤمنين وأن الله موهن

كيد الكافرين ولما علم السلطان من نيته في إرجاء القتال وتأخير النزال حلف

إلى عدو الله بقلوب قد صقلها التوحيد وبشرها الوعد وأنذرها

الوعيد ورماهم بالصيلم من حالة الديلم وبالشياطين من الأتغانية المطاعين

رجالاً كالآجال مطوحة بالنفوس مذللة للأعين الشوس أو كالليوث أخرجها

الجوع وأغياها إلى أشبالها الرجوع يتغلغلون في الأسداد تغلغل الثاقب في العيدان

أو البيام في الحيطان ويفزعون البوازخ كالوعول ويتزلون عنها تحدر السيول

ودا أصلها عليهم أيا ما تباعاً تجذبهم بصلتها القيل الى البراز وجذب النار

السليط والمغناطيس الحديد فكلما ثاروا تلك المضايق أتقطهم الفرسان

كما يلتقط الأثراس بها ذق ولم يزل هذا حالهم حتى انضم إلى اللعين أكثر من

آله ولباه ومعظم من دعاه وعنده احتشد للبرور متنبلاً إلى الجبل من حوله

الأنياب كالفلك فجد المصاع واحتد القراع وحمي الوطيس واستوى المرؤس والرئيس

وصار اللقاء كفاحاً فمن آخذ بالتلابيب ومتناقر كاليعاقيب ومضارب

ما بين الرؤس إلى العراقيب وكلما أشليت الفيلة للتهويل والتفخيم والحطم

بالأظلاف والخراطيم مطرقها سحائب الزانات ملتوية كالأراقم منسابة

إلى حدق الفيول ونحر الجلاقم ورأى الكافر مرتع أبي عبد الله محمد بن إبراهيم

الطائي من الغناء وضراوته بإسالة الدماء فانتحاه بأخشن من في جملته

شوكة وأعظمهم شكة حتى أثخنوه ضرباً على الهام وحطماً من خلف وقدام

وهو كالجرون ثابت لا يمل شرف مقامه ولا يكل دون الضرب بحسامه

متسجاً بالروح في نصرة الدين وطاعة رب العالمين ورأى السلطان انجياب

الكفرة عليه فأمد بكوكبة من خواصه لاستخلاصه فاستنقذوه إلى السلطان

مشوقاً بالسيوف منقوطاً بالأسنة كالجرذ فأمر له بفيل يستريح إلى سعيه

عن ألم الجراح بجوارحه فصار ملكاً له يتميز به عن أعيان أهل عسكره

فاستنقذوه

ولم تزل الحرب على حالها حتى أهب الله ريح النصر لأوليائه وأدار دائرة السوء
على أعدائه فأخذتهم سيوف الحق تحسهم من كل مصاد ومنعطف
وواد ومدخل ومغار ومحتسف ومنار وملكت عليهم الفيلة التي أعدوها
حصونا واقية فصارت عليهم عاتية وأفاء الله على السلطان وأوليائه غنائم
رحبت الصدور عن ربتها لاشتراك الكافة في الغنى المقصود
واستواء سهم في كفاية الموجود وفتح الله له نادرين فتحا
طرز به شعار الإسلام إذ لم تبلغه راية الحق من لدن عهد النبي
عليه السلام إلى زمان السلطان يمين الدولة أعز الله به على يده
وصنعا أتاح له التوفيق والتيسير من عنده ووجد في بيت صنم عظيم
حجرا منقورا دلت كتابته على أنه مبني منذ أربعين ألف سنة فقضى السلطان

صح البياض

من جهل القوم عجبا إذ كان أهل الشريعة الغراء والحق المنزل
من السماء على أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وأنا منها في الألف
الأخير وكل ما تساندت به الأخبار من أمارات الساعة موجودة
بأبصار العيون وبصائر القلوب مشهودة واستفتى فيه أعيان الفقهاء
والعلماء فكل أجمع على إنكار ذلك المنقول وعلى تزييف شهادات
شهادات الصخور وعاد السلطان وراءه بتلك الغنائم العظيمة
وكاد عدد الأسرى من العبيد والإماء يزيد على عدد الدهماء ورخصت
قيمتهم لديه فصار أصحاب المهن الخاملة فضلا عن غيرهم من
السوقة يعتقدون عدة من تلك الرقيق وذلك فضل الله الذي
أعز به الدين وأذل به الجاحد والملحدين والحمد لله رب العالمين

ذكر وقعة تانيشر

قد كان أنهي إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة أن بناحية
تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحروب
وأن صاحبها غال بها في الكفر والجحود وغير آل جهدا في الطغي
والجنود وأنه محتاج إلى ذوقه من كأسه ليعلم أن عز الإسلام
عام وأن ليس من سطوة الله سهما كما لسائر أقيال الهند سهام
فعزم السلطان على غزوة إليه يرفع بها راية الإسلام وينسخ
معها ولاية الأصنام ويرغم الكفر عليها بمحبوب الغارب والسنام
وسار في أولياء الله الذين نشأوا على القراع نشأ الأطفال
على الرضاع وضروا بدماء الكفار ضراوة الصقور ببغاث الأطيار
وقطع إلى المذكور أودية لم يقطعها غير طائر أو حيوان عابر

وخرق سباسب لم يطأها نعل ماشٍ ولا نعل حافرٍ وجهل بهم في تلك
القفار علالات الشفاه وبلالات الافواه فضلاً عن سائر الاقوات
حتى صنع الله لهم بان بدؤا منها الى فضاء يفضي الى ناحية المقصود
ودونه نهر صخاب ارضه طراب وصفاح كظبى السيوف حداد
يلقى بشاطئه شعب جبل قد استند اليه الكافر مستظهرا بفيوله
ومتكثرا باقتال رجاله وخيوله واحتال السلطان بفتاك
عسكره في مجاوزة النهر الى اعداء الله الكفرة الفجرة حتى عبروه
من طرفين وشغلوهم بالبأس من كلى الجانبين ومهاجرة الكفاح بين
الفريقين امر السلطان بحملة على الكافر في مخاضات النهر الهايل
والماء الصخب السايل تزعجهم عن طرف الساحل وتقحمهم اشداق
تلك الشعاب والمداخل واشتد الحرب ضربا بالخناجر في الحناجر
وبالقواضب في المناكب واولياء الله في كل حال ظاهرون والكافرون
هم الصاغرون حتى اذا كادتهم شباب النهار حمل المسلمون من
جميع الجهات حملة اوجرتهم لهوات تلك المخارم مضطرين فخلفوا
الفيلة التي كانوا بها معتزين وتبعها اولياء الله يردون الاعظم
فالاعظم منها الى موقف السلطان فلم يفتهم الا من جد في
الهرب اوضاق دون اقتناصه مجال الطلب وصبغ من دماء اولئك
الارجاس ما نجس به النهر الجاري على طهارته وامتنع من الشرب على
غزارته ولولا ان الليل ستر اثرهم لاستلحم الويل اكثرهم صنعا
من الله الذي بعث به رسوله المصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم
وعلى آله الذين ارتضى مظهرا له على الدين كله ولو كره المشركون

فهو على الازدياد الى يوم التناد وانصرف السلطان باولياء الله
غانما موفورا وظاهرا منصورا ومحمودا كاسمه ماجورا وقد
غنم ما يكل عن ذكره انامل التحرير وتضيق عن اثباته ادراج الطوامير
وتطايرت البشاير في الآفاق وخفقت عليها اجنحة الغروب
والاشراق واحمد كتب العالمين على عز الاسلام والمسلمين

ذكر الوزير ابي العباس الفضل بن احمد وما انتهت اليه حاله الى ان مضى لسبيله

قد كان الوزير ابو العباس الفضل بن احمد من خاصة فايق الملقب
بعميد الدولة ومن كفاة بابه وثقات اصحابه وكان على البريد
بمرو ايام سالارية السلطان بنيسابور فنمى الى ناصر الدين سبكتكين
خبر قوته وامانته فكتب الى الرضى يستوهبه لوزارة السلطان
وكفاية اعماله وتدبير امواله ورجاله فاوجب اجابته الى ملتمسه
وخوطب بالبدار الى نيسابور على مقتضى مثاله فاعتمده السلطان
للوزارة واستكفاه مهمات الامارة بعد ان كان يرى مقام الشيخ
الجليل شمس الكفاة ابي القاسم احمد بن الحسن في الكفاية كتابة
وحسابة واصالة واصابة وهداية ودراية وحماية وجباية
اذ لم يكن على شطر آة شبابه بين لداته اغنى منه غناء وامضى مضاء
واذكى ذكاء وادهى دهاء غير ان الامير سبكتكين جنى عليه في ابيه
عند اعتماده لوزارة بست وتدبير اعمالها واموالها جناية
سبق السيف فيها العذل اصغاء منه الى عداته فيما شققوه فيه
من رفيعة ولفقوه عليه من سعاية ووقيعة فاستوحش منه استيحاشا

من بادرة نعله والمسيء نفور والقلوب عن ذوي الإساءة صور وكره
السلطان الاستبداد على أبيه في انتصابه حسب ارتضائه واستكفائه
ووفق الجنوح من وفاته طاعة له في اختياره واتباعا لفلك آرائه
وتحت مداره وقضى الله أن يكون ما يليه حتى تعترف خراسان بأنه عذيقها
المرجب وجذيلها المحكك يتتبع ما يفسده غيره بالاستصلاح
ويستدرك ما أمرضته أيدي الاجتياح ويداوي كل جاني بدوائه
ويرد غابر الماء إلى حاليه فأجرى الوزير أبو العباس الأمور
مجاريها على جملة لم يعرف فيها غير الجباية والاستدرار وقصد
التوفير دون الاستعمار حتى جبى مالا سنين عدة إذ كانت خراسان بعد
مكسوعة بأغبارها لم ينتشر منها دواعي اللبن ولم ينتزع عنها
كواسي السمن فلما احتلبها انتزافا واستنفد ما في ضروعها إسرافا
ومن قبل ما قد حال بينها وبين خصب المراتع وبرد الموارد والمشارع
وضعت لما على ظهورها من فضول دسم وسحت بما وراء عظامها من نقي
مقلسم حتى صارت من فرط الهزال والعجف كالأهلة الحنية بل الأخلة
المبرية وتداعى بالخراب معظم الضياع ووقفت القنى بين الفصوص
والانقطاع وشرك في البلاد أكثر الأكرة والزراع فعندها
أخذ الجار بذنب الجار وألزم القار مؤونة الفار حتى عمت البلوى
وعمت الشكوى واشتملت نوائب البؤس وذهبت حرائب النفوس
وصدمتهم سنة القحط بعقبها فصار الغني محسورا والمتوسط
مفقورا والفقير مقبورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وبقيت
في رقاب خراسان بقايا كل متعذر ومتكسر وتاو ومتحير لو أديت

عن آخر نفقرة منها لم يكف ببعضها فضلا عما جمعته أقلام الاستيفاء
منها فأظهر السلطان ضجرا من تحيير الأموال وتراجع الارتفاعات
وطالب الوزير منها بما اقتطعه وأتواه وضيعه وهو يرجع
القول على سبيل التردد بين المراء والمحالة فمهما عض الجنب
بثقافه أظهر الاستعفاء وجلب لنفسه البلاء وأسلم النفس اختيارا
وآثر الحبس قرارا وتوسط الملأ بين السلطان وبينه على أن يجبر
بعض المنكسر من خاص ماله مما استغله طول وزارته من مرافق
أعماله فأبى أن ينزل عن درهم إلا بجزله وحبسه أبي شامر ولاعه
صنع المتبرم بالعمل المتبغض بالأمل المستسلم للبلية المتحلل
بالمنية واختار عند ذلك السلطان الدهقان أبا إسحق محمد بن الحسين
وسواد ذاك رئيس بلخ لصحابة الديوان واستنظاف البقايا على العمال
والسكان وأفضى إليها سنة احدى وأربعمائة فانحدر إلى هراة
وجبى من الأموال ما درت أخلافه ولانت على المس أعطافه ولم يلبث إلا
يسيرا حتى حمل حملا كثيرا والوزير أبو العباس بعد في صدر الوزارة
والشيخ الجليل أبو القاسم يسعى بينه وبين السلطان على السفارة يروم
انتصاحه إياه لكي ينسد به مكانه ويستند إلى غرض الاستقامة شأنه
وهو يأبى سوى اللجاج في القال لعقول عن صحة المزاج حكما من الله تعالى
عليه لم يسع رده وقضاء سابقا أعيا العالمين صده وما زالت
هذه حالة لزوما للصدر على ما به من ضعة القدر إلى أن ركب بنفسه
قلعة غزنه مستروحا بزعمه إلى الاعتقال عما تولاه وتسمحا بجملة
ما حواه واقتناه فلم يسمع بمثله رجلا يشتري الحبس اختيارا ويستقبل

صرف الزمان بها دارا وغاظ السلطان ما اتاه فاستبذله الخط

ما جناه على امواله ورعاياه فبذل خطه بمائة الف دينار ثم لم

يزل يستدرّ الى ان عرض حال الفاقة وعدم الطاقة ثم استحلفه

السلطان بحيوة راسه على ظاهر افلاسه وعلى اغلاق دمه ان

وجد على الطلب له مال مفرقا ومجتمعا ومدفونا ومستودعا وبقي

على جملة يتنابه اولاده معفى عن الارهاق والتعنيف مصونا

عن التحامل والتكليف الى ان ظهر على ما ذكر له مال عند بعض

التجار بلخ وديعة فاخذوه وامر بوضع الدهق عليه لاستصفا

واستخراج ما وقاه بنفسه وذمائه وما بقي من رمق جاهه وماله

واتفقت للسلطان غزوة حالت بينه وبين مشاهدة حاله

واستبرا ما يصدق او يكذب من مقاله والدهق يستمر به على

الدوم وينال منه يوما بيوم حتى اتاه اجله وحاق به ما كان

يستعجله وذلك في سنة اربع واربعمائة ولما عاد السلطان

وراه سائه ما سمع فيه وهيهات اين المساة وروح مطموسة

ونفس بين اطباق الثرى مرموسة كذلك من آثر المخلوق على

الخالق ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق وقد كان الادرك

له ولد في صدر وزارته يعرف بابي القاسم محمد الفضل فبرع على

ميعة الشباب في وجوه الفضائل والآداب حتى استطار ذكره

واستطال قدره واستفاض نظمه ونثره فمن شعره قوله

في ابيه من قصيدة

لقد ارى ابو العباس جودا على جود الربيع لمعتفيه

ففي احدى يديه ممات قوم وفي اخرى الحيوة لمرتجيه

لقد خضعت لك الدنيا ودانت فهل مرقى سواه فترتقيه

واقبل نحوك الاقبال حتى غدا بصرا وانت النور فيه

فنورز الف نيروز سعيدا رفيع المجد في عيش رفيه

وله احجيه

وزنجية قادت الى القوم بضة لينكحها من كان يعشقها قدما

فقام اليها واحد بعد واحد ولم يرذنبا فعلهم لا ولا اثما

وادركته حرفة الادب فاختطفته يد المنية انضر ما كان

عودا واثبته عمودا وابهره سعودا واجهره قياما

وقعودا وحكى لي بعض اصحابه انه اصبح ذات يوم

يروي بيتا تلقفه في المنام وهو

ارى الدنيا وزخرفها ككاس تدور على اناس من اناس

فلا تبقى على احد كما لا يدوم بقاؤها في كف حاسي

ساحفظ عهده ما دمت حيا وحفظ العهد من كرم النحاس

ورثاه بعض اهل العصر

يا عين جودي بدم ساجم على الفتى الحر ابي القاسم

قد كاد ان يهدمني فقده لولا التسلي بابي القاسم

وسكن الله مكان الماضين بابي الحسن علي بن الفضل المعروف

بالحجاج لفضل ساطع نوره وعلم جاج سوره وحلم ثابت طوره

وجود موكل بانشار آمال الاحرار صوره فتى السن في حصافة

الكهول جبان الراي في شجاعة السيوف ادهم الباس في عزم

السجاجة قدم الحياء فذلق الفصاحة ندب لأعمال الجوزجان
فدرّت على آثار ابناسه وولايته ونقل الى أعمال نسا فضاقت عن
فضفاض كفايته يصون الأعمال صيانة عرضه عما يصدّيه
ويجبي الأموال احياءه شرف أبيه ويميت بدع الرسوم إماتته
ذكر آبائه

تسمو الرجال بآباء وآونة ... تسمو الرجال بأبناء وتزدان
كم من أبٍ قد علا بابن ذُرى شرفٍ ... كما علا برسول الله عدنان

ذكر وزارة الشيخ الجليل أبي القاسم أحمد بن الحسن

قد كان الشيخ الجليل أبو القاسم يلي ديوان الرسائل للسلطان
أيام سالاريته بخراسان وهو أكرمهم نسبًا العظيم حسبًا العريق
مجدًا وحرية الوثيق رأيًا وروية ينادي عليه أقطار الأرض
بفصاحة القلم وسجاحة الشيم ونفاسة الهمم واجتهاد
الدينار والدرهم ودرجه وفاؤه للسلطان على تصاريف الأحوال
الى أن ولاه عرض عساكره في أقطار ممالكه وزاده أعمال بست
والرخج وما والاها بأموالها وارتفاعاتها علاوة على ما ولاه
فقام بجميع ما تولاه قيام من وفقه الله وجرّ عليه جوده ذيل
الآمال من أطراف البلاد فوسعهم جدواه وعمّهم نداه وكتبت
لهم أمانًا من الفقر يداه فأما مروّته فما يؤمن بالمخبر الصادقة
عنه الصادعة الأمر شاهدها عيانًا واستغنى عدول اختباره
عليها سبرًا وامتحانًا وكان الوزير أبو العباس لا يصدر إلا
عن رأيه ولا يحتشم غيره في تصاريف عزماته وإنجاز مهام شأنه

وكانته المعمورة من سلطانه ووساطته بينهما في معظم ما يزجيه
ويزجيه ويجبيه ويبقيه ويذره ويأتيه ويقدره ويفريه
ولما دهت عليه قوة أمره وانكسرت سورة خمرة واتفق للسلطان
أن يرحل نحو ناردين في الغزوة التي تقدم ذكرها استخلف
الشيخ الوزير أبا القاسم على مهمات بابه وأمداد صاحب الديوان
فيما يليه ويجبيه بصواب رأيه وبعثه على مواصلة الحمول عن فرط
جده وغنائه فهو متسم بالوزارة غير متسمٍ بها الى أن اتفق للسلطان
استدعاء صاحب الديوان في عمال خراسان لرفع الحسابات وتقرير
المعاملات فنهض اليه كل رئيس ومرؤوس وشريف ومشروف
ومستعمل ومعزول وسمين ومهزول فاتخذوا الطعم والغمض حرامًا
ووضعوا الأرواح على الراح توكلًا واستسلامًا ووافق وصولهم
ركضة عزيمة السلطان الى الهند فسبّب عليهم لأذناب أهل
عسكره ثم رآه ووكّلهم باستخراجه في مدة يومين لا يتمهم
الركض وضيق رقعة الوقت فعصبوا عصب السلم وسلخوا سلخ
الغنم وأقيموا على جمر الضرب ونكسوا على الهام والقمم حتى
أغتنموها منهم عن تضاعيف اللحم والدم وعندها صب السلطان
على الشيخ الجليل خلعة الوزارة وفوض اليه مهمات الإمارة
وأمره بمحاسبات العمال ومطالبتهم بما صار في ذممهم من الأموال
محكمًا في الحل والعقد مخيرًا بين الأخذ والرد وسار السلطان
نحو مقصده وأقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده فهذب
الأمور ونظم المنثور ووظف الأموال وصرف العمال وردّ صاحب

الديوان ابا اسحق على جملته الى خراسان مستوفيا عليهم ما
يلزمهم من حاصل باق وعتيق وناض وقعد في الدست كالبدر
المنير والسيف الشهير متفردا بالتدبير محتشدا لروعة
الملك وهيبة السرير فلما اتفق عود السلطان الى قرارة عزه
وشاهد الامور في كنف وزارته منظومة العقود مضبوطة
الحدود والاموال وافرة الربوع حافلة الضروع رسم له ان
ينحدر الى خراسان مستنظفا ما وفى او وهى صاحب الديوان
في جبايته واستيفائه ودصر او قصر عن تبرضه وامترائه
فانحدر الى هراة وهيبته تاخذ النفوس بخنقها وتختلج
القلوب عن معلقها ويكاد ينطق له كل مال مخزون ويلفظ
اليه كل دفين مدفون فجمع عن تسمح النفوس باجمعها و
استكراهها عما منعته ما لم يسمع بمثله محمولا من خراسان
اذهابا واوراقا وعصيا دقاقا وغلمانا رشاقا وافراسا
عتاقا وتلاقت الرفايع على صاحب الديوان بما ناله من صنوف
المنافع ووجوه المطامع فسامه السلطان تصحيحها تسليما
وحملا الى بيت المال قريبا فاعتزل العمل ونزل عن كل ما
حصل وفزع من بعد الى خاص املاكه وضياعه ومواشيه
وكراعه وتجمله واثاثه حتى حلي اناثه فحل ما اعتقده
منها على مال مصادرته وما جمع عليه من بقايا عمله وكان الوزير
ابو العباس قليل البضاعة في الصناعة لم يعن بها في سالف الايام
ولم يرض بنانه بخدمة الاقلام فانتقلت المخاطبات مدة ايامه

الى الفارسية حتى كسدت سوق البيان وبارت بضاعة البراعة
والاحسان واستوت درجات العجزة والكفاة والتقى الفاضل
والمفضول على خطتي الموازاة فلما سعدت الوزارة بالشيخ
الجليل ابي القاسم اسعد الله به جدود الافاضل وورد بمكانه
خدود الفضائل ورفع الوية الكتاب وعمر افنية الاداب
تحزم على اولي شحنة دواوينه ان يتنكبوا الفارسية الا عن ضرورة
من جهل من يكتب اليه او عجزه عن فهم ما يتعرب عليه وطارت
توقيعاته في البلاد ولا شوارد الامثال وابيات المعاني
من القصائد الطوال ففي كل ناد نداء بالحانها وفي كل
مشهد شهادة باحسانها فاما الشعر فقد نشر عليه المجون وسعد
به جدوده وفتق بالعذب الرواء صيخوده فاربابه كالعنادب
تغريدا بمناقبه والقماري تسجيعا على الضرب الماذي من ضرائبه
فهو بعدله في الناس غياث ورحمة وبفضله لاهل الفضل ثمال
وعصمة وانفرد بتدبير البلاد والعباد بناء على الاساس وحلبا
على الابساس واخافة على الايمان ومكافاة بالاساءة والاحسان
واسوا لجراح القلوب بمراهم الترغيب وانكارا بمعروف العمارة
سائق التخريب واشارة على السلطان في امور مملكته بما يفيده
عاجل التوفير واجل الثواب الغزير لا جرم انه استتبت الامور بغنائه
وانسدت الثغور على ارائه وكذلك من كان على الحلم ايراده واصداره
وعلى البصيرة ارجاؤه وبداره

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وما ختم به اجله وانتصاب الامر فلك

المعالي الى منصور منوچهر منصبه وميراثه مملكته

وقد كان ذلك الامير على ما خص به من المناقب والراي المبصر
بالعواقب والمجد المنيف على النجم الثاقب مر السياسة لا
يستساغ كاسه ولا يؤمن بحال سطوته وباسه يقابل زلة القدم
باراقة الدم ولا يعرف ادنى درجات العثار وان لم يقصد اليه مراد
ولم يشترك في كسبه اعتقاد غير حز الانتقام بحد الحسام والتغليق
عن مركب الهام لا يذكر العفو عند الغضب ولا يعرف معنى السوط
والخشب ولا يرى الحبس الا ما بين الصفائح والترب وهلك على
خشونة هذا المس وصعوبة هذا البطش فئام من حاشيته لو استبقاهم
على خفة اجرامهم لكان اشبه بالجلالة واليق بالاصالة والعدالة فما
زالت هذه حاله حتى استوحشت النفوس منه وانقلبت القلوب عنه
وسنحت الصدور عليه ومالت عنه الاهوا المايلة اليه اذ كان احد
لا يامن العثرة ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب ملحقا بالخطا
اليسير صارت النفوس مجتاحة والارواح مستباحة والمرء من
البشر لا من ورق الشجر فهو اذا مات فقد فات وليس مما يعود
بعد ما عرى العود وانتقض حاجبا له كان يعرف بحاجب نعيم وهو
احد الكراكلة في حدود جرجان عدم الغايلة والعاديه سليم
الناحية من نزافات الحاشية وكان اعتمد في ضبط استراباذ
وسياستها فرفع عليه انه طمع في بعض رعاياها في منال او مال
الى الانتفاع منها بمال فامر بقتله وتعليقه عن خيط رقبته
وصلبه مفصحا ببراة ساحته ونقا جيبه وراحته وقصود

ما سعى به عليه لو صح اسناده اليه عن افاته نفسه واراقة دمه
فزاد قتله في ايغار الصدور واضغان القلوب وتوامر عند ذلك
اعيان العسكر على خلعه ونزع الايدي عن طاعته وكفاية النفوس
شغلها بثقل وطاته وخشونة سياسته ووافق هذا التدبير منهم
غيبته عن جرجان الى المعسكر بجناشك استبدالا لهوايها عن لفح
الحرور عند طلوع الشعرى العبور فعمي عليه وجه الصورة في
عند علم تلك المشورة فلم يرعه ذات ليلة غير زحام العسكر
بباب القلعة التي اعتصم بها وانتهابهم امواله وافراسه وبغاله
وحرامهم فتشرده واستنزاله فهم في وجوههم من كانوا نزولا
بفنائه مجاورين مزاره حتى انكشفوا عنه صاغرين وولوا على
اعقابهم داخرين ومالوا الى جرجان فتملكوها عليه معلنين شعار
العصيان لابسين عار الكفران وبعثوا الى الامير ابي منصور منوچهر
بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه على الورود لعقد البيعة
له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب استعظاما ما
للجاثة بابيه واكبارا لما نفذ من المكيدة فيه وطمعا في تدارك
الخطب وتلافيه فلما دنا منهم مضربه تواثقوا على طاعته ان
خلع اباه وابتزازه رداء الملك ان اباه فلم يجد في عاجل الحال
غير المداراة ضبطا لما انتشر ورشا على ما استعر وصونا
لستر الحشمة عن الانخراق وابقاء على سكر الفساد من الانبثاق
واشفاقا على البيت من الضياع وعلى الملك من التخطف والانتزاع
وقد كان شمس المعالي لما سمع بنبا القوم واجتماع كلمتهم على

الخلع عطف بمن معه من رجاله الى ناحية بسطام ناظرا ما
يسفر عنه عاقبة التجرب وينتهي اليه نائرة التغلب والتوثب
فلما سمعوا بنبأه حملوا الامير منوجهر على قصده وازعاجه
عن مكانه او رده فسار معهم اليه مضطرا ودافعا بالشر
شرا كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ
فلما وصل الى ابيه اذن له دون من يليه من اتباعه وحواشيه
اذ قام دونه من خاصته رجال يرون الموت شهدا دون خذلانه
والروح وقفا على شكر احسانه فلما وصل اليه كفر طاعة وخضوعا
واسال الادمع الشؤون دموعا وتشاكيا صورة الحادث وتذاكرا
حقي الموروث والوارث وعرض الامير منوجهر ان يكون حجابا بينه
وبين اعاديه وان ذهبت نفسه فيه وراى الامير شمس المعالي
قابوس ان العارض قصار امره وختام عمره وانه احق بوراثة ملكه
وولاية الامر من بعده وسلم خاتم الملك اليه من يده واستوصاه
الخير به ما دام في فسحة من امره وتواضعا على ان ينتقل من
الى قلعة جناشك متفرغا للعبادة الى ان ياتيه يقينه فيسلم
له نفسه ودينه وان ينفرد الامير منوجهر بتقرير الملك في بابه
تقديرا وتقديما وتاخيرا وقدمت لي عمارته على هذه الجملة
فانتقل الى القلعة المذكورة مع من رضيه لخدمته ومعونته
على ضروب مصلحته وعطف الامير منوجهر الى جرجان فولي
الصدر وضبط الامر واخذ يداري القوم ترغيبا وتطميعا
ويمنيهم الاحسان جميعا وهم على جملة النفور خيفة الثبور

اختيار

ما دام شمس المعالي في فسحة البقاء وزمرة الاحياء وما زال الوافي الا
عليه حتى فرغوا من امره ولو اكما زعموا من عاقبة شره ولم يرضوا
به وموه صوارن الاموات حتى كشفوا عن محياه رداء رداه نطابوا
نفوسا حين عدموا شمس المعالي قابوسا وواروه في مقبرة كان ابتناها
لنفسه بظاهر جرجان على سمت خراسان وغدا الناس في معناه
فكان مثله كما قال مهلهل

نبئت ان النار بعدك اوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس
وتفاوضوا في امر كل عظيمة لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وعقد الامير منوجهر المأتم ثلاثة ايام على رسم الجيل في
حسر الرؤوس وضرب الناقوس ورفض المنام وهجر الطعام ولما
تقضى ايام التعزي نسي المقبور واستؤنف على المنهج السرور
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
ولما سمع القادر بالله امير المؤمنين بخبر شمس المعالي واستيثار
قضاء الله به خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا ولقبه بفلك
المعالي مشرفا ومحليا وعزم الله له على الصواب في اختياره
والرشد في ايثاره تفرغ الى السلطان يمين الدولة وامين الملة
معتصما بحبله معتصرا بظله مستظهرا بطاعته مستبصرا
في مشايعته مستغشيا رداء عنايته متلافيا وهن المصاب
بقوة اسبابه ورعايته وانهض عدة من ثقاته بابه بمبار موفورة
ونفايس مذخورة ورسايل على صدق الاخلاص وصفو الانحياض
مقصورة فصادف ما رجاه رغبة في موالاته وحرصا على تعرض

مرضاته وتردد السفراء بينهما على رباية هذه الحال وتوكيد عقد
واحتكم السلطان عليه في إقامة الخطبة له على منابر ولايته
امتحانًا لمصدوقية عقدته في موالاته وأنهض إليه أبا محمد الحسن
بن مهران أحد ثقاته بما رأى أصحابه من نفائس خلعه وكراماته فصادف
منه قريبًا مجيبًا وسميعًا مطيعًا وأمر بإقامة الدعوة باسمه على
منابر جرجان وطبرستان وقومس ودامغان والتزم في السنة خمسين
ألف دينار إتاوة وعلى علمي الطاعة والإخلاص علاوة واستدعى
السلطان على تعقيبه ذلك وقد عزم على غزوة ناردين انجاده
جيشه بطائفة من الجيل والديلم يحسنون حروب المضايق ويغنون
غناء الكماة البطارق فسرب إليه ألفي رجل من خلص الجيليين إن
راموا الوعور فوعول أو قصدوا السهول فسيول وقد أمر بإزاحة
عللهم في أعطياتهم ونصب إليهم من يقيم أود حاجاتهم ويطلق
مرة الحاجة إلى عتادهم وإجراء أرزاقهم واستحقاقاتهم فلما ألحّ
على السلطان بآثاره في القربة مزيد الرتبة وبمساعيه في الطاعة
قضاء الحاجة أنهض نحو جرجان أبا سعيد الحولكي المقدم فضلًا
وأدبًا المحتشم حسبًا ونسبًا لاقتضام يد آل بوصلة تقوم
الكفاءة بخطبتها عنه والطاعة باستيجابها له فنهض في
خفارة الأدب لما يهديه وكفالة الرفق بما يبذره ويأتيه ولم يزل
يأتي الأمر من بابه ويستطلع المراد من حجابه حتى أسمحت قرونه
السلطان لما استدعاه وأوجب الإسعاف بما توخاه ولما انكفأ
الفاضل أبو سعيد وراءه بصورة الإيجاب وعاصاه فمن عقد المجد

للأطلاب حشمه الأمير فلك المعالي معاودة الحضرة مع القاضي
بجرجان وهو شيخ العلم وراوية الحديث ورضيع أخلاف التدرب والتجرب
لتنجز النجاح وتأريب عقدة النكاح فنهضا إلى حضرة السلطان
مقيمين رسم الخدمة وخاطبين ضم السدى إلى اللحمة فرأى السلطان
تحقيق منزول العدة وعصيان سلطان النفس طاعة لرب العزة
وفلذ للأمير فلك المعالي فلذة من كبده وسمح له بزهرة الأرض من
نجوم ولده وأي نجم كان في فلك المعالي مداره لم يبعد عنه داره
أنّى ومدار النجوم الأفلاك وأزواج الملكات الأملاك وجرى من
الاستبشار بإحماد النفوس والهدايا وصب النثار وصوب المبار
كالغيوث الغزار ما أرخ به كتاب الدهر ووسم بميسم ذكره سالف
العصر وعاد الرسولان بمبارك النجح الموقوت وقالا السعد أن يقترنان
في الحوت وعندها تكلف الأمير فلك المعالي حرمة للقرى ونحلة
بين يدي النجوى لا يتبين بإزائه على اختلاف أصنافه وإغراب نقوشه
وأنوافه أن لهمّا إلى قيمة الجوزاء مرفوعة ونية على صدق الولاء
مطبوعة ولم يبق أحد من أركان الدولة وحواشيها والراتعين
حول مراعيها من لم يضرب بسهم من سهام اللطف ولم يشترك في
البر المحفوف بالشرف لاجرم أن السلطان رعى حرمة قرباه وجزاه
عما سمحت به يمناه وأفرد كلًا منهم ومن قواد جيوشه وأفراد حاشيته
بخلع علمت أجانب الملوك كيف شرائط الجود والسماحة بالموجود
وتقضي المجد بعفو الرأي دون المجهود فأما ما صحب حرة الصدف
وياقوتة الشرف فما أطال عهد الدهر بمثله مجموعًا في مكان محمولًا

المراد بالشمس ههنا السلطان وبالبدر نفسه

من خراسان واغرق فالشمس تغني البدر نورا والبحر يدع النهر مسجورا
وقد كان الامير شمس المعالي بعد ان استتب له امره واشتد بظهر
السلطان ظهره دب على اعيان عسكره المشركين في دم ابيه
فصدع ذات بينهم بوجوه الحيل وانواع العلل حتى اباد خضراءهم
وسقى الارض دماءهم واحتسب بزخكاش ومولى القريب العارض
والنسيب المشاق بالداهية الدهياء فانسكل تابلها بين سمع الارض
وبصرها تاباه الرجال ولا باطح وتلفظه القيعان والصحاصح
فهما من جانب الفرار طلبه هامة الماضي بالثار فهام على وجهه
ولا فقيد ثقيف بين تشريق وتغريب وتصعيد وتصويب وكان
احد من اثار ذلك الشر على شمس المعالي وعلى ما تسانده الاخبار به
ابو القاسم الجعفري وكان صاحب جيشه فانحدر الى راس احد كبار
على قفاز يرى كل صيحة عليه وكل حسيس بسهم افوق اجنبيه
فامهله الامير شمس المعالي زمانا حتى ظن ان لم يكن دون شؤون الحزن
شانا ثم اطباه بتطميعه وترغيبه حتى اعلقه بحبالة الاقتناص
وآيسه من الطمع في الخلاص وان لله حكما في امور عباده معلقة
بآماد معلومة وغايات محدودة فليس قبلها مستقدم لما تاخر
ولا بعدها مستاجل لما تعجل فاحتال ابو القاسم حتى انسل هاربا
واعتسف البيد جانبا ثم جانبا وما زال على حاله واحتياله حتى
ورد نيسابور يظن بعض الظن ثم ان انقطاعه الى السلطان
يمين الدولة وامين الملة على تغلغل داخله وارتهانه بسالف
فعله وقابله مع ما تمهد في ذات البين من عقود وما لديه من عهود

اي لان انقطاعه بحل

واشترك فيه من طارف ومتلود يحل عليه عقال آثامه ويكف عنه
ما جرى عليه من باس الله وانتقامه كلا ان سوء الفعال خذول
والقاتل لا محالة مقتول وشر الجزاء ما اومض بالخلاص قبل ابانه واستلفت
مدة النضج على بحرانه انه ليوهمهم الفكاك ثم يعقب الهلاك كالهرة
يطمع الفارة في الخلاص حتى اذا كانت منها على غلوة لحقتها بعدوة
لا جرم ان السلطان لما انهي اليه صورة حاله ومن قبل ما سمع بسوء
فعاله امر برده وراه في عقاله ولقد احسن ابن الرومي في
مقاله

الخير مصنوع بصاحبه فمتى تعلت الخير اعتبكا
والشر مفعول بفاعله فمتى تعلت لشر اعطبكا

ذكر دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير

قد كان دارا بن قابوس بن وشمكير بعد استيمانه من جانب ابي علي
محمد بن سيمجور الى الامير نوح بن منصور الرضي مقيما على خدمته
سهيما في نعمته الى ان فتح الله على ابيه جرجان وطبرستان
فانحاز اليه مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره وصادف من الاشبال
والاقبال ما اقتضاه حكم الابوة والبنوة ثم جدد شمس المعالي
الى طبرستان فقام بها سنين دون تخلفه وذم ما على اوليائه
ومواليه واستنهض منها على قرية الغيث لقتال فاتاه وهو
باشر اباك يريبه صحة ادمه واستوحشته بقدمه فاحسن استقباله
وانزاله ثم دعاه في وقت ارتيابه وركب على قصد مجلسه ثم عطف
عطفة الليث كاكره نحو خراسان بين غياض يشكو الاراقم بينها

ضيق المجال والمضطرب وصعوبة المنساب والمنسرب واستصحب
من رافقه ووافقه من غلمانه واهل الثقة به الى ان عرف شمس
المعالي خبره واشرف لاقتصاص عسكره بما قد طار به الركض
وحال دون منالة الارض ولما شارف حد خراسان رفرفت الامنة
عليه بجناحيها الى ان ورد حضرة السلطان يمين الدولة وامين الملة
فقبله احسن قبول ولقاه حسن مفعول ومقول ومازال يرتبح
منه تموّلا وتخوّلا وتفخما وتجملا حتى اغترّه فضل الانبساط
وعزّ الانتساب بما هدّ قربته وهدم رتبته واستوحش من عارض
الاعراض واشفق من رهق التغير والانقباض فلاذ بظل الليل
مهربا وبات يطوي الارض تقريبا وخببا وامر السلطان بطلبه
واتباع عسكره في وجوه مهربه فالجى حيث قامت الخيول لحفا ولم تجد
السيوف عليه مضربا فقرّ منه على وجهه ملتجئا الى الشاد
المعروف بالشاه لجوار بينهما في الصفا معمورة واصول في ذمام وقرا
مأثورة فلما استقر به المكان وخبر حاله السلطان كتب اليه
فاسترده وخوّفه ان يأتي عليه ما بعده فاضطر الى رده واسلامه
عن يده فبقي في الحبس مدة يكابد بوسا وشدة الى ان وجد
فرصة الانفصال عن رق العقال ففارق معتقله من حيث لم يطمع
فيه احد ولم يكن ليغني عنه لولا المقدور رأي ولا جلد وابت عليه
نجاحة الجنود ان يتم خلاصه ويستتب له مناصه فاعثر عليه
حتى اعيد في وثاقه وزيد في ارهاقه الى ان شرح الله صدر السلطان
لاطلاقه فانشاه نشأة ثانية وانبت ريشه قادمة وخافية

واعاد حاله بالاحسان حالية وبدّه على ايدي الاضراب عالية ووجهه لولاية جرجان
وطبرستان معضودا بابي الحرث ارسلان الجاذب في ذوي النجدة من كماة الرجال
وكفاة الابطال لولا ان الامير فلك المعالي منوجهر سبق تمام الراي باظهار الطاعة
وعرض ما وراء الوسع والطاقة ولما جالت جرمه التقرب دون الاختيار عليه
استرده السلطان الى حضرته فجرى مجرى اركان الدولة واخدان العشرة
لا يفارقه في حفلة ولا يزايله في خلوة ولا يقعد عنه في وقت ركوب ولا ينفرد دونه
دون ركوب الى ان ورد الامير ابو الفوارس بن بهاء الدولة حضرة السلطان
منزعجا عن كرمان لقصد عسكر اخيه اياه مستظهرا به على معاودة مملكته وارتجاع
بيته ونعمته فجمعهم ليلة مجلس دارت فيه الكؤوس وطابت النفوس وجرى حديث
السلف والخلف واعراق من اعرق منهم في الشرف فنطق دارا بما لو سكت عنه
لكان اشبه بحق الحرمة وحكم الحشمة ووجب الاجماع على رضاع العشرة وجملة
امر الانكار عليه على قصد المراداة وركوب المحاقة حتى تأدى به الامر الى
ازعاجه عن مكانه واشخاصه بغصة المتوثب على سلطانه وامر به في غد فردّ في
العقال وحمل الى بعض القلاع وقبض على ضياعه فاجريت مجرى الجوزيات
تستغل اسوة سايرها الى ان سال الشيخ الوزير نابه بردها عليه معونة له على
مصلحة حاله ومؤونة اعتقاله وذلك الجرم سنة تسع واربعمائه

ذكر مجد الدوله ابي طالب بن فخر الدوله

قد كان فخر الدوله كتب الى حسام الدوله
ابي العباس تاش وهو بجرجان منجد ره اليها من خراسان على لسان الصاحب يبشره
بولادته واجرى الله اياه في الصنع بكريم عادته وكان مما كتب قد رزقني الله
ولدا كنيته ابا طالب طلبا للبلاغة في مدته وسميته رستم لانه من اسماء اباته
وارومته فلما اخترمته المنية بايع الناس مجد الدوله الآن التي قامت عنه

كانت اختاً للاصبهبذ بن رستم وسابور ملك الجبل وهي في منعة من اهلها وعزة من جانبها
انضمامها تملكت على الديلم واستأثرت بالامر والنهي والحل والعقد وجرت بينه
وبينها مكاوحات تأدت بهما الى استنهاض بدر بن حسنويه اليه وامتلاك الري
عليه وجرت بينهم مناوشات افضت بالديلم اولاً وباهل الري ثانياً الى بؤس
وفاقة ودماء مهراقة وفتن ليس فيها قدر فواق من افاقة وعن قريب تعود
الخلاف جذعاً وحبل الصلاح منقطعاً فينتج عنه ابادة الرجال واستباحة
الاموال وشرود الصلحاء في البلاد وضراوة السفهاء بالافساد ولما غرض
مجد الدولة بالامر وبما ينقدح على الدوام من شرر الشر آثر الترقي الى الاعتزال
عن سمة الامارة وحمله الاعراق بها بالطاعة على العقوق المفضي بمن تحت رايته
ورعايته الى خطة الاحتناك المستفي بهم على خطة الاجتياح والاستهلاك
فلزم البيت منفرداً بالكتب في الدفاتر ومبيضاً وجه الفضل بسواد المحابر
وانفرد اخوه شمس الدولة بولاية همذان وقرميسين وما والاها الى حدود
بغداد وورث بدر بن حسنويه اموالاً عظيمة طالما حفظتها صدور القلاع
مكتومة وخنقتها خيوط الاوكية من ختومه فلم يلبث الا قليلاً حتى استغرقتها صلات
الرجال واستنفدتها جفوف الآمال بسيمة له في التحقق بالفضل والتخرق
في البذل وقد كان ابن فولاذ ضخم في دولة آل بويه امره وارتفع قدره
وانتشر صيته وذكره والتفت عليه صناديد الديلم ومشاهير الاكراد والعرب
فسال مجد الدولة والكافلة بالتدبير ان يفرزا له عن قزوين طعمة له ولمن معه
ليتكفل بولايتهما وحمايتهما ركناً من اركان دولتهما وظهراً من ظهور جيوشهما يذب
عنهما بسيفه وسنانه متى دهاهما خطب او دخن على نارهما حطب رطب
فضنا عليه بها لضيق رقعة الملك وبكودة الدخل وادليا اليه بظاهر

العذر فقصد اطراف الري على حملة العصيان يفسد ويغير ويقطع دونها
دون اهلها السبل من يمينه وملك عليهما ما يلي جانبه من قرى وضياع ورباع
وارتفاع الى ان استعانا بالاصبهبذ المقيم بفريم فاتاهما في رجراجة فخمة
من الجيلية اولي الباس والحمية فتناوشوا القراع وصدقوا المصاع وجرت
بينهما دفعات ملاحم استلحمت كثيراً من الفريقين واصاب ابن فولاذ في
ساقه نشابة اثخنته فولى تيمن نجيه على سمت الدامغان حتى ألم بها
لرم الرث وعلاج المرتث وكتب الى فلك المعالي منوجهر يستمده
على عسكر الري على ان يقيم له الخطبة ويظهر الطاعة ويلتزم الاتاوة
فامده بالفي رجل يوزن آحادهم بالالف وافرادهم باضعاف بروز الشرف
فرضاً لمن من تحت المشرفيات والتثريب حقاً على من حاد عن المشرعات
ووصل جناحه بمال قضى به حق انقطاعه اليه واعتماده عن ظهر الثقة عليه
ونهض نحو الري حتى اناخ بظاهرها فاعاد الاغارة ومنع الميرة والمادة
وغادر الديلم بها في ضنكة البلاء وضيقة اللاواء حتى اضطر مجد الدولة
ومن ولي التدبير الى اشارته باصفهان فعقد له عليها وخلى بينه وبينها
استمالة لقلبه واستعاذة من شره فعند ذلك طارت نعرة الخلاف
عن راسه وزحلت وجرة العناد من صدره واقبل يروض عسكره على
رشاد وسداد ويغل ايديهم دون امتداد الى فساد وصرف عسكر
الامير منوجهر بذكر صلاح حاله واستغنائه عن رجاله وعطف الى
اصفهان خاطباً لمجد الدولة على منابرها وذلك في سنة تسع واربعمائة
وكان نصر بن الحسن بن فيروزان قد انقطع الى السلطان يمين الدولة
وامين الملة فاقام على خدمته الى ان جعل [illegible] وجومند باسمه

فينهض إليهما وأقام بهما يستغلهما ويتوفر عليه دخلهما إلى أن دعاه مجد الدولة
من الري فاعتسف السبيل إليهما إشفاقاً من عسكر شمس المعالي قابوس
ومكايده وعيون رباياه ومراصده فلما وصل إليهما عرف له حق قرابته
وقوبل بما اقتضاه حكم طاعته واستجابته فبقي هناك سنين مرجوعاً إليه
في الرأي والتدبير وموثوقاً به في التقديم والتأخير إلى أن عزمه على ممالأة
لبعض المخالفين فقبض عليه وحبس في قلعة استوناوند وما زال بها محصوراً
وفي مخلب الامتحان مأسوراً حتى عفي عما جناه ورد ثانياً إلى ما تولاه ووافق مآبه
خلع الديلم لجام الهيبة لعدم السياسة وانفراد مجد الدولة في بيته بالدراسة
وتسلط الديلم فيما شاؤا من غصب في قطع ونهب وكبس ونقب لا يرتدع منهم إلا من
أشعره الله المخافة وأودع صدره الرحمة والرأفة فانبرى نصر بن الحسن لقمع أولئك
الضلال فاجتاح منهم فريقاً وأوسع آخرين تفريقاً وتمزيقاً فلما رأى القوم ما دهاها
في أضرابهم من حصده واستيصاله تجمعوا على قصده وقتاله وأحاطوا بداره
قد أفرغهم لخاصته طلباً ثم انثنى عنهم منهزماً وغادر رملة الدار منهوباً مغتنماً
وما زال يضطرب في محنته إلى آخر مدته ذكر بهاء الدولة وما أفضى
إليه أمره قد كان بهاء الدولة وضياء الملة بعد أن فتح الله على السلطان سجستان
راغباً في موالاته خاطباً لمصافاته مؤثراً لمكاتبته حريصاً على مقاربته لحكم الجوار
الواقع بين الدولتين والصقع الحادث بين المملكتين ووافق ذلك من السلطان
رغبة في مثله من جهته لشرف نفسه وسلفه وبما جمع لهما من الكفاءة في الملك والملاءة
في سعة الملك فسفر بينهما السفراء على إلحام سدى القربة وإحصاد قوى المودة
حتى خلصت القلوب ونقيت الجيوب وتأكدت العهود وتأيدت الحدود وعندها
أحب السلطان أن يجعل المصافاة مجاهرة والموالاة مصاهرة فأنهض القاضي

أبا عمرو البسطامي شيخ الحديث بنيسابور إلى فارس لينبئه فضلاً والوجيه محلاً
والإمام علماً وتحقيقاً والجام لساناً فصيحاً ورأياً وثيقاً وصادف من إجلال
بهاء الدولة وإكرامه وإظهار التلطف عليه في مرامه ما اقتضته جلالة من أصدره
ومساعدة القدر له في كل ما قدره وأقام عليه منقولاً من مجلس الإيجاب إلى متوسد
الإكرام ومن راحة الإسبال إلى عاتق الإكبار غير أن بعيد طلوعه عليه وافق منه علة
أخرجها سوء المزاج بين ألف الراحة والرواح فأعياه نجز المراد على العارض
العائق وقد كان فخر الدولة مهما ببغداد وهو الوزير والنصير ومن إليه
الرأي والتدبير فجشم القاضي إلى ما قبله ليتفاوضا بموجب صرف الرأي إليه وتأريب
العقد عليه فاتفق مع وصوله استيثار قضاء الله ببهاء الدولة وانتقال دعوته
إلى جوار ربه وبايع الناس ولده أبا شجاع ولقبه القادر بالله أمير المؤمنين
بسلطان الدولة فاستتب له طرق الأمر واعتدل عليه عمود الملك وجرى له
الطير بالإقبال وحسن الفال ولما عاد القاضي إلى ما قبله لم يملك له من ذاته
جواباً يقنعه ولا جواراً يشفيه إذ كان دونه دستواً إلى أبيه فصرفه مجللاً
من رسالته وراثة الود والوفا بسالف العهد واشتراط الخلوص بقاصية الجهد
ما اقتضاه حكم الابتداء بغرس الوداد واستثمار الوفا على طول البعاد وقد كان
الأمير أبو الفوارس أخو الأمير سلطان الدولة تجرد الجيوش لقصده واستصفا
تلك النواحي واستخلاص مهامه بره فنهض هو لتلقاهم وكف عادية وأوقدوا
بينهم حرباً أفنت الرجال أكلاً وشرباً واجتاحت الأرواح طعناً وضرباً واستمرت
الكشفة بأتباع الأمير أبي الفوارس فانقلبوا منهزمين وأقبل هو نحو سجستان
يؤم حضرة السلطان يمين الدولة وأمين الملة مستطيباً رجاه ومستنهضاً كرمه
لرده وراءه وقد كان أنهى إلى السلطان خبر إقباله فأمر أبا منصور نصر بن

استحق النايب عن الامير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين بخدمة استقباله
وتكلف لواجب من انزاله وانزال من معه من طبقات رجاله نيفا وعشرة الاف
دينار له من خاص ماله فبلغ ذلك مبلغا شهد من كان شاهدا بسجستان
من قرب ايامها وطرائها ان احدا من ملوك هذه الاقاليم لم يتكلف مثله لاحد من اولاد
الملوك ولم يحك ان مثله يسمح به تيار البحور فكيف قطار الصدور وركب ابو
منصور بذلك نفسه ذكرا عقد بالنجم ضفايره وافاض على الشرق
بعضه وعلى الغرب سائره ولما وصل الى حضرة السلطان اوجب قضاء مقدمه
بالاستقبال وتلقى عظيم قدره بالاجلال وحمل اليه من الذهب والفضه والخيل
المسومه والنعام والانعام بكل ما ينتمي الى قبيل الاكرام ما وقع عند الخاص والعام
موقع الاستعظام ما خلا الهمة التي ترى الدنيا خارجة عن ملكها شعرة من
انشارها وصوفة من اوبارها وغرفة من بحارها بل قطرة من امطارها فاقام عليه
قرابة ثلثة اشهر ضيفا لا يتميز عن الاذنين ارتحاما وشيجة وانسابا قريبة حتى اذا
نشط للانصراف والتمس معونته على عارض الخلاف ازاح السلطان
لما استدعاه فاعطاه فوق رضاه اموالا احفت اقلام الكتاب واوهنت
انامل الحساب وانهض في صحبته ونصرته واقام خدمته ابا سعيد عبد الرحمن
بن محمد الطائي احد مشايخ بابه وافاضل كتابه في رجال قد تعودوا النصر
منذ خدموا رايته فلم يعرفوا وجه الانقلاب الا بالانفال على الاكفال
شعر
تحملت صهوة اخرى شواكلها من طول ما حملت سيبا على الكفل
وتوجه الامير ابو الفوارس فيهم وفي سائر خاصته نحو كرمان فجلا عنها من كان
وُلّي عليها علما بعجزه عن المقاومة وافتضاحه ان تعرض للمحاكمة فملك
تلك النواحي مملكة اياها من قبل واقام بها ابو سعيد الى ان فرق تلك الامور

ودرت الجبايات الشطور ثم لم يروه فيمن كان لوابر سمه وتحت قياده تهوانت
على ذلك مدة من الزمان تمنع حشمة السلطان يمين الدولة وامين الملة
وحرمة الناهضين من اتباع رايته امره وسمة بعنايته ان يقصد
بما يوهم خلافا عليه حتى اذا عاودت تلك الجيوش غزنة وانفض الامير ابو الفوارس
بالتدبير وارتاش بعد التحسير سرب سلطان الدولة عسكرا ثانيا لمواقعته
واستخلاص تلك المملكة عن يده فتلاقيا على حرب اشابت القرون تحكيما
لظبى الصفاح في مخارج الطلى ونحوها اشبا الرماح على مواردها الكلى حتى تشرقت
الارض من صبيب الاوراد وتمخضت من رشاش الاكباد عن بعار زلت قدم
الامير ابي الفوارس نحو كسيرا لا يعرف قبلا ولا دبرا وانتهى الركض
الى همذان حضرة شمس الدولة بن فخر الدولة فقضى فيهم حق القرابة اعظاما
لقدره واهتماما بامره واغتناما للتشكر واستعدادا للنصرة واقام مدة برهة
على هذه الجملة حتى استشعر او اشعر انه مغرور ومقصود والى سلطان
الدولة مردود فنفر نفار الاهيم من ضربة القاتل والوحش من كفة
الحابل ففارق مظنته قاصدا قصير بغداد وسنشرح ان شاء الله من بعد حاله
وما انتهى اليه امره مما كان عليه اوله

ذكر ايلك الخان وما انتهت اليه حاله

قد كان ايلك الخان بعد الكشفة التي انجمت عليه بباب بلخ
وركب ظهر جيحون وعاد وراه يضطرب على نفسه غيظا مما دهاه واسفا
على ما اعياه وما زال يعاتب طغاخان اخاه ويستنصر زحاف على طاو
من قواه وقوته مراده ومغزاه والقدر له معاند والزمان بما كره كايد
حتى طرحه الكمد على فراشه وفجعه عن قليل بطيب حشاشته فاشبعه التراب
بعد ان جرعه الجرض والاضطراب همة كانت معلقة بالاثير محلقة على ملك المدر

غير ان يد القدر فوق يد التدبير وما يغني المرء بالجد اذا وافق الجد سافلة
فمنه رحى تجري لها اليم ماؤه وليس لها قطب بماذا تديرها
وقد ينهض العصفور كسر جناحه وتسقط اذ لا ريش فيها نسورها
وكانت وفاته في سنة ثلث واربعمائة وولي مكانه اخوه فما لا السلطان
يمين الدولة وامين الملة ووالاه وهادنه وهاداه متلافيا بزعمه لما اخلّ به اخوه
ومتوددا من حيث ركب الخلاف ذووه وجاشت من جانب الصين جيوش
لقصد طغانخان في بلاد الاسلام من ديار الترك وساير ما وراء النهر يزيد عددهم
على مائة الف خركاه لم يعهد الاسلام مثلهم على صعيد واحد يريدون ليطفئوا
نور الله بافواههم بغيا طال ما صرع اهله واوردهم لما يورد الهلكى محل مستنفر
من خطط الاسلام حتى اجتمع اليه من رجال الترك واحرار الغزاة المطوعة
قرابة مائة الف رجل واستكت اسماع المسلمين من فظاعة ذلك النبا الهائل
والنبا المائل فارتاعت له القلوب والتاعت النفوس وتصرت الادعيه
والذكور وسار طغانخان مستقبلا لمن اقبل عليه من جموع الكفرة الفجرة
بنيات مقصورة على القتال واستقبال الاجال او ينزل الله نصره ويظهر حزبه تحقيقا لما
وعدهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه حيث يقول وقوله الحق انا لننصر رسلنا
والتقوا اياما تباعا على طاحية لم يذر من فتق العروق وضرب الحلوق وشد الخيول
على الخيول اصوب انواء صب دما ولمع بروق او وقع سيوف وظلمة ليال الرهج
نزال وفي كل ذلك يتولى الله عباده بالايد المبين والنصر والتمكين حتى تقوا
بالصنع المستبين وطلوع الفجر مشرق الجبين وتلاقوا اليوم منصوص عليه على
فيصل الحرب فسد بهرام لها بطاقته وادار على الكفر نعش دهاقته فاما اعدا
الله فتسكعوا واستلوا استوجبوا لكمد ودا بالجدود والبواتك فصبت عليهم من

وهّاجا

لدن راح جبين الشمس الى ان ذكت سراجا وكادت تصير على قمم الرؤوس تاجا
واما اولياء الله فانتشوا نشوة طربوا معها للضرب فوق الهام والعبث بطلا
الحمام لا جرم ان الله حماهم ونصرهم وآواهم واظفرهم فغادروا من جماهير الكفار
قرابة مائة الف عنان صرعى على وجه البسيطة عن نفوس موقوذة ورؤوس منبوذة
مبزوذة وايد عن السواعد مجذوذة نقرى للضباع بل جفلى للسباع والوحوش
الجياع وافاء الله على المسلمين مائة الف راس غلمانا كالبدور واللؤلؤ المنثور
وجواري كالحور العين والبيض المكنون وسوايم غصت بها اقطار البيد وضاقت
عنها اطراز الدهنا وشرد الباقون ورآهم تشلهم السيوف شل الانعام وتخطف
ارواحهم بايدي الحمام وتطايرت البشارات في ديارات الاسلام فنضرت
لها الوجوه وضحكت القلوب وعم السرور وتوفر الشكور وتباشرت الدور حتى
القصور والخدور لطفا من الله لدين ارتضاه ووعد ان يعلي بيد الناصب
قواه ولم يلبث طغان خان بعد ان فرغ من هذه الحرب العظيم باسها الشديد
مراسها ان استاثر الله به فنقله الى جواره وبواه مبوا الصدق بعين من دار قراره
ختما له بالشهادة وقضا عليه بالسعادة فورث مكانه اخوه ارسلان خان ابو منصور
الاصم صنوه في التقية وتلوه في الامور الالهية ثبت المقام في دين الاسلام
لا تعرف له جاهلية ولا تنقم منه عنجهية ولا عجرفية يقيم الصلوات جماعة ويقتبس
العدل سمعا للحق وطاعة وعمر الحال التي كانت بين طغان خان اخيه وبين السلطان
يمين الدولة وامين الملة اظهارا للمصافاة واستشعارا للمواخاة وايثارا
للاشتراك على تصاريف الحالات وخطب السلطان اليه والى اخيه
ايلك كريمة له على ولده الامير ابي سعيد مسعود بن يمين الدولة وامين الملة
فاحسنا الاجابة واغتنما القرابة وتردد بينهما السفر في ذلك مدة على جملة

التمادي ورص الحال باقتسام الايادي الى ان حقت الحقيقة وتمت العمل والو
وانهض السلطان من اختارهم من ثقات بابه لنقل النهيبة الكريمة لجهزت
وديعة تشاح عليهما المكان بعد اصدر الملك ودار ملك الترك تختص بهما الشبل
بن الليث والوبل بن الغيث والتيار بن البحر والصباح بن الفجر الامير الجليل ابو
شعيد مسعود بن محمود ونقلت الى الحضرة ببلخ وقد صحبها من فقهاء تلك الدولة
واعيان رجالها من عن وايمة المشرق وارباب المنطق فادوا امانتي اليد واللسان
على ما الحمد الحال بين الجنبين ورفضت الحشمة في ذات البين وامر السلطان
اهل بلخ بتقبيل الوصول بعقد الاذين وتكلف التحجيل والتزيين فبلغوا من ذلك
مبلغا لم يستبق فيه من الوسع مذخور ولا من الرسم مذكور ومسطور فراى
السلطان بعد ذلك ان يرفع من قدره فعقد له على هراة بين مملكته ونواحيها
وسيره اليها بعد ان وصله بمال عظيم يعز ذخيره ويوسعه تجملا وزينة فنهض
اليها رشيد السيرة حميد السر بين عادل الطريقة فاضل الخليقة خليقا بالملك
على الحقيقة وذلك في سنة ثمان واربعمائة

ذكر الامير ابى احمد محمد بن

يمين الدولة وامين الملة جملة ما يمكن الافصاح به والايضاح عنه من حاله و
وذكر خصاله قول القايل

إن السري اذا سرى فبنفسه ... وابن السري اذا سرى اسراهما

قد جمع له من خصايص الادب والسعي لمعالي الرتب ما دل على انه ابن ابيه
شرفا سمقت على النجوم شرفاته وكما تعرفت لاهل الفضل عرفاته فانه خرج من حضن
الكفالة خروج الابريز من جمرات الشبابك والهلال من نحت الشعاع المتشابك
لم يعرف له طول ايام الايفاع غير الارتفاع الى اليفاع تمرنا على كرم الطباع وتقيدا
للماثور بالسماع وبزلا بما لقفته بزل العماع وارتياضا باداب الثقافة والمصاع

بديل

حتى اذا انزعت براه برد الجرائه ولبس خداه طوق الشهامه راى السلطان
ان يوفيه حق البنوة ويوليه شرط المروة ويجذب بضبعه الى حيث فيضته
الفراسة فيه واستدعته العنايه والرعايه له فن وجه كريمة الامير ابي نصر
الفريغوني والي الجوزجان وهي التي تجمع الى الاصالة جلالة والى الكفاية كفاءة والى النعمة
همة وعقد له على اعمال الجوزجان كما عقد للامير الجليل ابي سعيد مسعود على هراة
وهي التي وليها ال فريغون وهم الذين جعلوا العز افريدون في لحمة المجنون
دني العزاقة والسماحة جيحون وفي ابا محمد الحسن بن مهران كفاية لعونه
وولاية تدبيره فبرز اليهما بروز السيف من يد الصاقل فهمى على اهلهما همي السحاب
الهاطل فاحياهم بندى العدل الشامل وعدل العطف عليهم بين الاياتم
والارامل فعلقته قلوب الخاص والعام وكفته النفوس مؤونة الاستخدام ولما رأى
السلطان حميد اثره ورشيد مخبره ازداد شغفا باثاره وحرصا على اصطناعه
وايثاره فلم تخله من جليل انعام ومزيد حفاوة واكرام وسياتي بيان خبر الاخوين
الجليلين في موضعه من بعد باذن الله ولو

ذكر التاهرتي الرسول

الوارد من مصر قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة منذ نحله الله
عز يمته لغزوات الهند محييا لسنة ابيه ومقتفيا نهج اثاره ومساعيه باحتاعلى
طريق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام والبدع المعترضة عليها في سالف
الايام استبصارا منه في الدين واستظهارا على قمع الملحدين فقرأ الكثير وسمع
التاويل وتتبع القياس والدليل وعرف الناسخ والمنسوخ والخبر الصحيح
والموضوع وتلقف من اصول الدين ما لم يستجزه معه في الدين بدعة وراى
كلما خالف ظاهره تكرا وشنعة وانهي اليه ان عمار بخراسان اقواما ينتحلون
مذهب الباطن المنسوب الى صاحب مصر ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض

بنا وبلاء موضوعة تؤدي الى رفع قواعد الدين ودفع معاقد الحق واليقين
وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله بالرفض والنقض فامر بوضع العيون
عليهم والصاق الطلب بهم وعثر على رجل كان سفيرا بين الملحد وبين
اوليائه والملبين لندائه يعرف القوم بسيماهم واساميهم فنص على عصابة
منهم مختلفي البلدان والاوكار فاشخصوا الى الباب ورجموا تحت الصلب بالاحجار
ولم يزل يفعل ذلك باضرابهم ومن كان يخرج له ذكر بالقائهم حتى التقطتهم حجارة
الرجم والرض عن بساط الارض وقد كان الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحاق بن
محمشاد زعيم اصحاب ابي عبد الله محمد بن كرام غزير الفضل كبير المحل
مذكورا بالديانة الوافية والامانة البادية والتيقظة على الفرق الغالية
والبدع الجافية فوافق راي السلطان على اجتياح من ركب ثنيات
الطريق وعدم في العدول عن مثل مخارق النعم مساعدة التوفيق ونبهه على
عدة زعموا انهم ضلال ولهم في فضول القول وهذر الحال مجال فسلكوا في
اصفاد الاخزين ونصبوا عبرة للناظرين وازداد ابو بكر فيما تقرب به من ظاهر
المحاماة على دين الله والمراماة دون حق الله وتطهير بيضة الاسلام عن
كل ذي ريبة بعيدة او قريبة حشمة اطمعت فيه الرجال وامالت اليه الامال
وابة حشمة وضع الله عليها طابع الدين فهي تجوار النجم علوا ومكان سموا
وكفاك بها فخامة ما ورد في الخبر المروي ان الله تعالى قال للدنيا من خدمني
فاخدميه ومن خدمك فاتعبيه فاستخدميه واتفق بعقب ذلك ان طلع رجل
من ديار العراق ينتسب الى شجرة العلوية يدل بانه رسول صاحب مصر الى
السلطان يمين الدولة وامين الملة بكتاب يحمله وبر يزوده فورد
نيسابور مدلا بسبب النسب ومنتهيا بصلف الشرف فاستوقف الى ان انهي

الى السلطان خبره ووكل الى الحضرة فامر برده الى نيسابور لتقرير ما حمله
على رؤوس الاشهاد وبمرأى ومسمع من كل حاضر وباد صيانة لخاص مجلسه عما
عسى ان يضاف اليه من احالة وسهو تحت رسالة فلما رد التهرتي وفتش
عما صحبه عثر على تصانيف الباطنية واغاليط الشريعة الحنيفية اصح منها
في الاسماع خباط المجانين ووسواس المبرسمين لا توجد في محصول ولا توجد في معقول
ومنقول وناظره الاستاذ ابو بكر على امور جرحته من سله تفاوتت فيها الفلتة
ولم يوجد له على نار الامتحان ثبات ولا الى وجه التحقيق وجاهة لتميز الهنات
وما زال يضرب اخماسا في اسداس الى ان تبين له انه قد اخطا في تحمل تلك
الرسالة وحرم التوفيق في تقلد تلك السفارة وقضى الله ان اشخص الى حضرة
السلطان فلما وردها واستحضر مجلس حفلة قد غص باعيان الاسلام
ساداتها وكبرائها وقضاتها وفقهائها وعلمائها ورؤسائها وهناك الحسن
بن طاهر بن مسلم العلوي ومن قصته ان جده مسلما لم يكن في الطالبية
من اولاد الحسين الاصغر بناحية مصر اوجه منه ولا اغنى واقنى منه فلما
استقر معد ابو تميم المعز بمصر خطب اليه بعض بناته على ولده ابي منصور
الملقب بالعزيز وسبب ذلك على ما قيل انه وجد في داره رقعة فيها

ان كنت من آل ابي طالب   فاخطب الى بعض بني طاهر
فان ذاك القوم كفؤ لهم   في باطن الامر وفي الظاهر
فام من نسبة خوزية   يغض منها النظر بالاخر

فنسبهم الشاعر الى امهم الخوزية بالعسكر لان كورها خوزستان وهي ام محمد
بن عبد الله بن ميمون فاعتل مسلم عليه بان لا واحدة من بناته الا وهي في

في حبالة ونحت عقله تعاديا من اجابته وتحرجا من مصاهرته فلما عرف
امتناعه ذهابا بنفسه عنه وترفعا بنسبه دونه وضع عليه يد الاستقصا
بعد ان اودعه الحبس سنين وخبطه خبط العصا ورق السلم والبسه
عن قضفاض الغنى غلالة العدم وهلك من بعد على يده فقال قوم غيب عن
مجلسه فما يدرى كيف صار امره واين جعل قبره وزعم اخرون انه هرب
من الحبس على طريق الحجاز فاختبر في الطريق وعند ذلك لجا طاهر والد الحسن
المذكور الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم متاما على اهلها ومعه
ابن عم له يعرف بابي علي بن طاهر ختنه على اخته فلما مضى طاهر لسبيله ورث
ابو علي مكانه من الامان الى ان لحق به وقرنه ولداه هاني ومهدي دون الحسن
لاستضعافهما اياه وتقويهما بالمال والجاه عليه فرحل هو نحو خراسان ملتجيا الى
السلطان يمين الدولة وامين الملة في سنة ثلث وتسعين وثلثمائة فلما ورد
التاهرتي رسولا صغر الشريف شانه ووضع فيه لسانه وابى ان يكون له نبات
على دوحة الرسالة وانتساب الى نبعة النبوة وادعى عليه فساد الدين واستحقاقه
ضرب الوتين فخلى السلطان بينه وبين ما يستخيره لنفسه ودينه فيه فقام الحجيع
بضربة غرقته في دم وريده وقد كان القادر بالله امير المومنين كتب الى السلطا
يمين الدولة وامين الملة بما تراقى اليه من خبر الرسول وما يقتضيه الدين من
التصلب عليه وتقديم الجد في الانتصاف للاسلام والمسلمين منه فلما ختم
امره بما تقدم ذكره انهى الى مجلس الخلافة صورة الحال وكعم السيف افواه الجهال
بتقويل القبول بمقتضاه وجرى الخبر على ما اتاه وتوطاه فكان التاهرتي كما قيل
ومن يشرب السم الذعاف فانه حقيق بانياب المنايا النواهش ذكر الامير

ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه قد كان ابو الحسن علي بن مامون
لما ورث اباه مامونا مملكته وقد كان استضاف خوارزم الى الجرجانية خطب
الى السلطان يمين الدولة وامين الملة احدى اخواته تقوية لعمدة الحال
وتشريفا للحمة الوصال فاوجب اسعافه بما استدعاه استكفاء اياه وتوخيا
لرضاه وزف اليه من خطبه ووصل باسبابه سببه ودر التهادي بينهما
حتى الديار دواجن والاسرار لغيب الاخلاص حاجنة وغربت الحال على جملتها
في الانشاج والامتزاج الى ان قضى خوارزمشاه نحبه ولقى بانقراض الاجل ربه وورث
الامير ابو العباس مامون بن مامون مكان اخيه وولي ما كان يليه فكتب الى السلطان
يسأله ان يعقد له على شقيقته عقد على اخيه من قبل فهو تاليه في الطاعة
بل اتم اخلاصا وثانيه في القربة بل اشد اختصاصا فشفع السلطان فيه
داعي الكفاءة واستجد للحال رونق الطراءة وعقد له عليها عقدا خلطه به
بنفسه وفرغ له صميما من قلبه وخلبه ومازال الامر على جملة الاشتراك
والاشتباك الى ان دعى السلطان داعي الاختيار رسومه اقامة الخطبة
باسمه وانهض رسولا يستخرج العمل بما يقتضيه ظاهر حكمه فصادف
ذلك منه حرصا على الاجابة وافتراضا لحق الطاعة غير انه عرض الحال
فيه على من حوله من اعيان اشياعه واتباعه فاظهروا انفارا واصروا
واستكبروا استكبارا وقالوا نحن اتباعك واطواعك ما سلم لك الملك
عن الاشتراك فاما اذا وضعت خدك للطاعة وضعنا السيوف على العواتق
خلعا لك وتمليكا عليك وجهادا فيك فعاد الرسول الى السلطان بما راه
عيانا وسمعه بيانا وعدوا وابا واحس القوم بحمرة الدم من وراجلهم على
ولي نعمتهم بالقول الفظيع والبذا الشنيع وتزعيمهم الامر بالتنكيل

البخاري صاحب الجيش فاوجسوا خيفة وتوامروا على الفتك به غيلة وما
زالوا في التدبير عليه الى ان دخلوا اليه ذات يوم على رسم السلام فاذا
هو صريع كاس الحمام لا يدرى كيف قتل ومن اى وجه اليه وصل فبادروا
بالعقد لاحد ولاده وبسطوا ايدى الاصفاق على بيعته وعلموا ان
السلطان منبعث للحادثة وبصدد قصد الانتصاف للوارثة فتحالفوا
على مقارعته ان غزاهم في عقر دارهم وجزاهم على مسخوط اثارهم ولما انتهى
الى السلطان خبر بغيهم بولى نعمتهم وهو قيم شقيقته وحامى حقيقته
ازعجته قوة الحفاظ للانتقام من اوليك الغدرة الفجرة والمرقة الفسقة فجاش
لمناهضتهم على حمية محجورة وحفيظة على استنفاذات الله مقصورة وكانت
سعادة ايامه قد لفتت اوليك الغواة البغاة عما اتوه استحقاقا للنقمة وبراة
من العصمة وتمهيدا لعذره قريبا وبعيدا في استخلاص مملكة كانت الى عز بالله
نازعة ولباب الاقبال برفق سياسته قارعة فجر الجحافل كالجبال سائرة والبحار
زاخرة حتى اناخ بعقوتهم مستعينا بالله على قتالهم واستنزالهم الى مناهل اجالهم
وسار صاحب الجيش الخوارزمى عامة فواده في ركضة على طلايع السلطان
بياتا نعضهم بانياب الحديد ان لم تسلمهم للتشريد والتبديد فطارحت
خوافي الليل حتى انتقض على ابى عبد الله محمد بن ابراهيم الطائى وهو طليعة
السلطان في كماة العرب حين انتفض الكرى رؤوسهم وشغل برد الصباح
نفوسهم واختلط البعض بالبعض ضربا بالسيوف للفواصل وطعنا بالرماح
للذوايب فطار الخبر الى السلطان بركض القوم فزحف بجيوشه الى
معترك الحرب وثبتت الخوارزمية من لدن طلوع الشمس الى ان حمى
وطيس النهار جاهدين في الهراش مجاهدين دون المساكن والرباع يظنون

ان يظفروا وقد غدروا وان يمن ربائهم في حجور الانعام وان واموا من
تدمى الاكوام هيهات ان الغدر قلادة منظومة احد طرفيها عاجل العار
وثانيه اجل النار ولم تشرف الشمس على التقليب حتى اصحبت الخيول
ثم العقول رجالا لا حلوا حماهم لا قصفت اصلابهم وانتهبت اسلابهم وتلقفت السيوف
هاماتهم وبضعت بها اجسامهم وانهزم الباقون في خمر الغياض على شاطى جيحون
والصوارم من ورائهم تخطف ارواحهم حتى دارت معها تحليتها الطلاق صداقا
واستاسر زهاء خمسة الاف تحجن الله دماهم عبرة للنظار وعظة لامثالهم
من الغدرة الفجار وركب البخارى ظهر الماء مولا للمهرب ومقدرا
خلاصه من العطب ولم يدر بان فعلة السوء تجزيه واقداحه على ولى
نعمته يرديه وان حافر البير لاخيه ساقط لا محالة فيه وجرت في الزورق
بينه وبين بعض اصحابه منافرة حملته على الاستيثاق منه واجبر الملاح
على استقبال المعسكر بوجه الزورق فلم ينشب الا يسيرا حتى حصل في يد
السلطان اسيرا واحضر السلطان مجلسه في سائر القواد الماسورين
يسائله واياهم عن استحلالهم دم صاحبهم من غير جارحة واجترايهم عليه
من غير وطاة عاتبة فرد جواب المستنبل المستقيل اما الباقون فسقط
في ايديهم لا يدرون ماذا يردون وذلك في سنة ثمان واربع مائة وامر السلطان بضرب
الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابى العباس مامون بن مامون خوارزمشاه
وصلبهم اجمعين عليها مع عدة ممن اتهمهم بالدم وعدهم معدا لنا كبين
عن قصد السبيل وامر بالكتابة على جذوعهم تلك المقبرة هذا فلان
بن فلان بغى عليه حشمه واجترا على دمه خدمه فقيض الله يمين الدولة
وامين الملة حتى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين

ابا القاسم محمود بن
ناصر الدين سبكتكين

وآية للعالمين وأمر من بعد بالأسرى فوضعت الأغلال في أعناقهم يقادون
إلى غزنة دار الملك فوجا بعد فوج حتى إذا حصلوا بها وقد امتلأت
منهم العيون وغصت بهم المحابس والسجون من عليهم بالإفراج وفرض
لهم في جملة سائر الحشم والأجناد ووضعهم مواضع أمثالهم من ديار الهند
ربا بالتخوم أقطارها وينفضون عن عيون العين مناكبها وأطرارها
وولي خوارزم حاجبه الكبير التونتاش فقام بها قامعا نجوم الفساد وفاقئا
عيون البغي والعناد إلى أن نصب أممهم وأذعن للطاعة أفناؤهم واستقرت
تلك الأسباب ودرت الأحلاب وذلك تقدير العزيز العليم **ذكر**
فتح مهرة وقنوج ولما فرغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة من مهم
خوارزم وقد انضافت كإحدى أخواتها إلى سائر ممالكه الموشحة بآثار ولايته
الموشعة بأصباغ عدله ورعايته رأى أن يختم صحيفة العام بطابع الاستتمام
إجماما للركائب والركب وتقليبا لرأي الغزو بين جوانح القلب فعدل
إلى بست كالشمس قد جنحت للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال فالدنيا
بها حواشي المطارف أو عواشر المصاحف وعقود المخانق أو نقود
المعصرات العوائق يدبر أعمالها ويروي فيما صار أحمى لها إلى أن أذن
الله له في معاودة غزنة منشئا سحاب القدس في غزوة تحقق إعجاز القرآن
بما تضمنه من وعد الله المنان في إظهار دينه المرموم بسيد البشر
ومولى البدو والحضر محمد تاج الأنام وسراج الظلام صلى الله عليه وعلى
آله الخيرة البررة الكرام على الدين كله وإن سخطت نفوس وضرعت
خدود ورغمت معاطس وأنوف وبعد أن كانت الشقة قد بعدت
عليه وعلى أعوان دين الله السائرين تحت رايته بنور هدايته إذ كانت

١٢٥

الهند قد تحيفت من شواها وأطرافها سبيا وانتهابا وملكت على أربابها
سهوبا وشعابا فلم يبق إلا من أجنه ضمير تشمير ومرد ونفاقا في تصمم عن
كل عزيف وصفير وتصل سهامها ووفود الرياح إلى الخفير واتفق أن حشر الله
من أدنى ديار ما وراء النهر إلى أقصى حدودها زهاء عشرين ألفا من مطوعة
الغزاة قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين الجهاد منتدبين في ذات
الله للاستشهاد يخطبون الجنان بصداق الأرواح ويستامون الغفران
بحد الصفاح فحركت السلطان نهضتهم وذمر نفوس المسلمين
تكبيرهم واقتضى رأيه أن يزحف بهم إلى قنوج وهي التي أعيت الملوك الماضين
غير كشتاسب على ما يزعمه المجوس وهو كبش أقرانه وملك الأملاك بزعمهم
في زمانه فسار وبين غزنة دار الملك وخطة قنوج مسيرة ثلاثة أشهر بسير الركاب
القود والخوانق الشود فاستخار ربه وسار وهجر النوم والقرار وا
من شهد من أنصار دين الله وأعوان حقه رجالا يقتحمون أشداق
المنايا شوقا إلى السعادة بالشهادة وحرصا على الموعود من الحسنى
والزيادة وعبر مياه سيحون وجيلم وجندراهة وإبراوة وبيت وشتلدر
سالما في سالمين وهذه أودية تجل أعماقها من الأوصاف وتمتنع أطرافها على
الأطواف منها ما يغمر غوارب الفيول فكيف كواهل الخيول وتنزهد
أثقال الصخور فكيف خفاف المطايا والظهور صنعا من الله لمن والاه
وغيرة من وجه استدامة رضاه ولم يطأ مملكة من تلك الممالك إلا أتاه الرسول
واضعا خد الطاعة عارضا في الخدمة كنه الاستطاعة إلى أن جاءه جنكي
بن سمهي صاحب قشمير عالما بأنه بعث الله الذي لا يرضيه إلا الإسلام مقبولا أو الحسام
مفلولا فأظهر العبودية عن حاضر التوفيق وضمن الإرشاد باقي الطريق

وجعل نسيه امامه هاديا وتجزع واديا فواديا وكلما انتصف الليل اذن
بالمسير خفق الطبول واستوى اولياء الله على ظهور الخيول يحشون تعب
الركض والشكول الى ان تجنح الشمس غروبا للدلوك حتى استظهر ما يجوز العشر
بقين من رجب سنة تسع واربعمائة وما زال يفتتح الصياصي والقلاع
مبنية على زبود الجبال وحروف القلال تحت تالم متالع الاعناق حتى صحب
البيضا نواظر الاحداق الى ان شافه قلعة برنة من ولاية هردب وهو احد
الذين اعني الملوك بلغة الهنود فاطلع على الارض طلاعة ورمى بموج بانصار
جند الله مسومة من فوقها الترائك ومن حولها الملائك فتزلزلت قدمه
واشفق من ان يستباح دمه فراى ان يتقي بالاسلام باس الله وقد شهرت
حدوده ونشرت بعذبات العذاب بنوده ونزل في نحو عشرة الاف مناد بن عن
الاسلام متفادين عن ولاية الاصنام فحقق الله ميعاده واحسن بفضله انشا
لسعادتهم واسعاده ثم وامتد الوجيف بهم الى قلعة كلجند وهو من اعلام الشياطين
واعيان وليك المدعين يدل على الملوك بعز اقعس ويرنو الى القروم
بطرف اشوس قد قضى الكفر معظم عمره وغني بهيبة الملك وبسط الامر
عن تجشم نهضه وسمره لم يقصده احد الا ارتد عنه مغلولا وعاد عقد عليه
محلولا عزة حال وكثرة مال وقوة رجال وعدة افيال ووثاقة معاقل وحصون
وملك حن مطامع الانام مصون فلما راى السلطان قد قصد قصده
وجرد للجهاد نحو جمعه رتب فيوله وخيوله وراء غياض لو رمت بافراد الابر
لعيتها الارض باطراف الشوك والشجر واغرى السلطان بعض طلايع
جيوشه فثاروا اليهم يخرقون تلك الاجام خرق الامشاط منابت الشعور
بل الاشافي مخارز السيور واعترضت للسلطان طريق من فوق القلعة

المذكورة فلم يرع اهلها الا البحر الاخضر والله اكبر والسيوف لا تبقي ولا تذر
فتثبتوا للجلاد مستقتلين وتواصوا بالمنايا مستبسلين والسيوف
تاخذهم من فوق وتحت تقدهم وتضعهم ما بين لحوم وعظام وهامات بينها تتصل
انصال الكعوب وضربات تتوالى توالي الغيث المصبوب غير ان الله منزل
الحديد ذي الباس الشديد هو الذي اذا شاء قطع واذا شاء نبا وامتنع
كذلك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع احيانا سلط القلائد
فان نالت من اولياء الله فلاجل الاستشهاد وثواب الجهاد وان نبت فلا
كمال اعجاز القدرة واظهار العبرة ليعلم ان الحكم لله في كل مخذول ومعصوم
ومحروس ومقصوم وظل المخاذيل يتناوسون منهم وقد عاينوا اسيافهم
نابية وسيوف اهل الحق عليهم ماضية وحملاتهم واهية وحملات اهل الدين
اولى وثانية يا هؤلاء من جنس الانس ولا من زمرة البشر هيهات ان يقع الحديد
ليعمل في الجبال ولا حس في هؤلاء الابطال حتى اذا اشتد بهم شخص
الطغيان في صورة الخذلان تواصوا باقتحام ما وراءهم من زاخر المياه
يظنون انها تقيهم باس الانتقام وتحميهم كاس الحمام ولا يرون ان الكفر لا
يهدي سبيله وان الله يردي بشر ما يحيى قبيله ٥ لا جرم ان
صفائح الماء وانعت صفائح الدماء وسعوا اقتلا واسارا واغرقوا فادخلوا
نارا ولعد عدد الغرقى والقتلى يزيد على خمسين الفا اصبحوا طعما
للنسور والضباع واقواتا للتماسيح والحيتان وعمد كلجند الى قتالة
فاهلكهما غرسهم كر الحتوف بما بنفسه واغتنم السلطان مائة وخمسة وثمانين
راسا من الفيلة الضخام مضافة الى سائر ما اطرد عليه حكم الاغتنام
من نعم الله العظام وقسمة الراحة الاقسام ولما وضعت تلك الحرب

أو ذرأتها وجلت له الغمام إذ زارها عطف عنانه إلى شط البلد الواقع عليه
اسم المتعبّد وهي مهرة الهند يطالع أبنيتها التي يزعم أهلها أنها من صنع الجانّ
دون الإنسان أبداع أساس وسوف وأعجاز وأوساط وحروف فرأى ما يخالف
العادات ويقصر رواتها إلى الشهادات بل المشاهدات بلدًا مبنيّ السور
من صمّ الصخور وقد شرع بابان منها إلى الماء المحيط بموضوعه أبنيتها فوق
شواخص التلال صيانة لها من مضار سيول الماء ومغار غيوث السماء وعن
جنبتيها ألف قصر شبيهة بسائر الأبنية الوثاقة مشتملة على بيوت أصنام قد
هندمت مفاصل أعلاقها بمسامير تساوي سطوح البناء وتوازي قاورالها
من الحجر ونحت الحفا وفي صدر البلد بيت أصنام يحكي أخواته أو أحسن ويجري
مجرى أضرابه بل أتقن لا يهتدي الكتّاب بأقلام الدواة ولا النقاشون بأطراف
الخامات إلى أمثالها تحسينًا وترويعًا وتقويشًا تختطف الأبصار بريقًا وكان
فيما كتب السلطان به أنه لو أراد مريد أن يبني ما يعادل أشباه هذه الأبنية
لعجز عنها بإنفاق مائة ألف ألف دينار ومائتي سنة على أيدي عملة كملة
ومهرة سحرة وفي جملة الأصنام خمسة من الذهب الأحمر مضروبة على قدر
خمسة أذرع في الهواء منصوبة قد ألقمت عينا واحد منها ياقوتتين لو سيم مثلهما
على السلطان لابتاعه بخمسين ألف دينار استرخاصًا ولم يستثن فيه دركًا
ولا خلاصًا وعلى آخر قطعة ياقوت أزرق ذوي ريًّا من رونق البهاء تزن
أربعمائة وخمسين مثقالًا وخرج من وزن قدمي أحد الأصنام المذكورة
أربعة آلاف وأربعمائة مثقال فكانت جملة الذهبيات الموجودة من أجرام
الأشخاص المنصوبة ثمانية وتسعين ألفًا وثلثمائة مثقال وزادت الفضيات
منها على مائتي قطعة لم يمكن وزنها إلا بعد التفصيل والعرض على كفة المعايير

وهو الذي بناه مهرة الهند جمع ماهر

وأمر السلطان بعد بسائر بيوت الأصنام فضربت بالنفط والضرام وجعلت
سوقها مواطئ الأقدام وسار من بعد قدمائين يؤم قنوج وقد اشتق الفأل له
من تصحيفه فتوحًا وعدّ صنعًا من الله ممنوحًا وخلف وراءه معظم العسكر
تطميعًا للرجال مكانها في لبات لخفة الزحام وتفييجًا له قبل القاصورة
الانهزام إذ كان أمراء الهند على غلب قاتها وفوت أسبابها وأصحابها أطواعًا للملك
لداي قنوج اعتزازًا بمكانه واغترارًا بفخامة شأنه ولم يعبر على قلعة من قلاع تلك
الرباع إلا وضعها بالأرض وعرض أهلها على الإسلام أو السيف وحاز من
السبايا والنهاب والنعم الرغاب ما يعجز أنامل الحساب ووصل ثامن شعبان
إلى قنوج وقد فارقها راجبال حين سمع بإقدامه فراق من لا يرى الهزيمة
عنه عارًا ولا يعد الفضيحة به شنارًا وعبر الماء المسمى كنك وهو الذي يتواصف
الهنود قدره وشرفه ويرون من عين الخلد في السماء مغترفه إن أحرق ميت
منهم ذرّوه فيه لعظامه وظنوه طهرة لآثامه وربما أتاه الناسك من بعيد
فغرّق نفسه فيه يرى أن ذلك ينجيه ومنى في العاجل يرديه وفي الآجل يخليه
ويخزيه ثم لا يميته ولا يحييه وتتبع السلطان قلاع قنوج فإذا هي سبع موضوعة
على الماء المذكور كالبحر المسجور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت للأصنام
يزعم الكافرون أنها متوارثة منذ مائتي ألف سنة إلى ثلثمائة ألف سنة كذبًا وزورًا
وقولًا مأزورًا وعدولًا عن سنن الهدى وكفورًا وبحسب قدمها كانت
عبادتهم لها وإجهاشهم بالدعوات لديها وقد فرّ عنها أكثر أهلها خيفة
الأسر واليتم وحلول التنكيل بآلهتهم الصمّ البكم فمن بين ناج أغاثه نجاؤه وثاو
أباده ثواؤه ولم ينجه من سيوف الحق أرض ولا سماء ففتحها كلها في يوم
واحد ثم أباحها لأهل عسكره فانتهبوها طلقًا حلالًا دينًا ونهبًا وغنمًا

وإذا لاذ وركض منها الى قلعة منج المعروفة بقلعة البراهمة وهم حيّ لقاح
وعتاة ما لهم عن الفساد في تلك البلاد براح فنشؤوا للقراع اشباه العفاريت
عارجة والشياطين ماردة او مارجة حتى اذا اعوزهم الثبات واعجزهم النجاة
وعلموا ان ليس لهم بالمسلمين طاقة وان دماءهم لا شك مهراقة تهاووا من
عرفات الجدران وشرفات البنيان على شبا الرماح وظبى الصفاح استخفافا
بالنفوس والارواح واستبسالا لامر الله المتاح لا جرم ان السيوف اشربت
الارض دماءهم واطعمت النسور اشلاءهم كذلك المنايا اصهار من خطب
اليهما لم تردّه ردّا ولم تجد من انكاحه بدّا واخذ على تعبئة ذلك نحو قلعة اسني
وصاحبها المعروف بجندال بهوز احد انياب الهنود واذناب الجنود ولم يزل
ذا منعة بالملك وسعة في الملك فعرض له راي قنوج منازعا ومادة الحرب
مكاوحا ومقارعا فلم يزد على ان تعبأ وليّاه وتكل على الجنة وراءه وقد احاط
بهذه القلعة غياض متكاثفة كاعراف الجياد وممتد اخلة كاشعار الجداد لا يستجيب
لافاعي بينها الرقاة ولا يستبين البدر خلالها للسراة وقد احاطت بها خنادق قعرات
الجفائر فسيحات الدوائر احاطة الثور بالبريّا فما له عنها انفراج فلما شعر المذكور
بزحف السلطان اليه في كواكب دولته ومواكب جملته فقد قلب فرط
الحذار وجش نبضه وكان ذنب الفار ورأى الموت فاغرا فاه فلم يملك الا ان
يوليه قفاه فامر بقلع قلعته من اصولها وتعويرها على من بهم انفا لحلولها
وتقى اثاره بعفاريت انصاره ينهبون ويغنمون ويقتلون ويأسرون حتى علم
الكافرون انهم هم الخاسرون وكان المخذول يرى ان اعوانه من كماة المغانب
وحماة الاشاهب ورماة الكتائب حتى رأى عسكر السلطان بين تلك المشاعب
واثارهم بالقنا والعواضب والعسيّ المواطر كالسحائب فعلم ان ضرب اللاعب

خلاف ضرب الغالب وقوس الخلج غير قوس النشاشب ولما فصل السلطان
امر جند بال اذاقه في مهرية الداء العضال عطف على جند راي احد اكابر الهند
في قلعة شروة وهو يظن بنفسه ان القائل يعنيه بقوله
عطست بانف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم فذهب
بها عن ان يعطي غيره مقادة او يألف غير التعزز عادة وكانت في غابر الايام
بينه وبين بروجيبال مناوشات تجاحش عن غيوط الرقاب قد امتد حتى
استلحمت رجالا واصطلمت ابطالا ثم قام دست الحرب بينهما فاضطر الى التوادع
والتكاف حقنا للدماء وصونا للاطراف وخطب بروجيبال اليه ابنة ابنه
بهيمال استدامة للالفة واماطة للفرقة واستدفاعا للفساد والاتساح
في اللحمة والاشتراك في البيت والنعمة فلما حصل الختن في يد جعله تحت قلبه وقيّده
وطالبه بعرض ما ذهب له على يد والده فعجز بروجيبال عن فصل قلعته ولد
بيضته واستخلاص ابنه من اسار محبسه غير ان المنازعة لم تنفك بينهما قائمة الى
ان طلعت رايات السلطان على تلك الحدود وسفر صنع الله له في المقصود
بعد المقصود فاما بروجيبال فلحق بسوجنه يواجد المتعززين بحصانة المعاقل
وحصونة المداخل وخشونة المواقل خلاصا بمهجته واعتياصا بزعمه على من هم
باقتصاص اثره واما جند راي فانه استعد للمدافعة واحتشد للممانعة اعتزازا
بوثاقة قلعته ولو ثبت لقلعته وادة لا بمنعته ولو وقف لاختلعته فراسله بهيمال
بان محمودا ليس من جنس اكابر الهنود وامراء رجالهم السود وان السلامة من
مثله تغتنم والجيش باسم ابنه تنهزم وقد رأينا من كان اقوى منك حلمه واعلى
الكه لم يغن لضربة من ضربات جنوده ولم يقف بهضبة من هضبات جنوده فان ادرت
الافتضاح فشأنك او الخلاص فتحرّض ما استطعت مكانك فعلم ان الرجل قد نصحه

وانه ان خالف الحق فضحه فسرب اثقاله وافياله وخزائنه وامواله نحو جبال تتناغى
كواكب الجوزاء واجام توارى خد الارض عن عين السماء وورى بوجه مقصده
فلم يدر اين سار والى اى الاقطار طار امتطى الليل ام ابتغى النهار وكان غرض
النصح المظلوم فى تهريبه وتغريبه اشفاقه من حبالة الاقتناص فسام من كلمة
الاسلام ما سيم اعمامه واقاربه قبل حين اضطروا الى الاستيمان والاستسلام فلما
احاط السلطان بتلك القلعة وافتتحها على حصانة قواعدها ومناعة مراقيها
ومصاعدها وتوسع منها فى علف كثير ومال على اختلاف اصنافه خطير لم يهنه
الموجود وقد فاته الكافر المقصود وضاقت به الارض دون مطلبه وانتزاعه
من يد مهربه فاقتص اثره ركضا نحو خمسة عشر فرسخا بين مناشب اشجار تصك
الوجوه فتدميها ومساقط احجار تصدم الحوافر فتحفيها ولحق القوم ليلة الاحد
لخمس بقين من شعبان وهم يطوون مجاهل الارض هبوطا وصعودا والاطى
التجار بحضرموت برودا واهابا الى اولياء الاسلام وابناء الصلوة
باقتصاصهم وادراع الظلام فى اقتناصهم ثقة بالله الناصر لدينه القاضى
على الكفر بوهنه فلم يتفلت منهم الا قتيل قبل ان مسه حد الحديد واسير تقييد
قبل يد التقييد فاما الاموال فباتت حبا دون الارواح وهى ادون
حد السلاح وحز الجراح لا يعبأ بها او تشفى النفوس من عزوة الكافر عنه
الشمس النار وظلوا يتبعون طراح الخاذل لله اياما تباعا اشتغالا
واغتناما وجلالا بعد ان جمعها الكفار جزافا واما الفيلة فمن بين معقور
ومردود ومتطوع بالعود الى السلطان محمود لطفا من الله تعالى
يتيح له غنائم الاموال حتى يسوق اليه بهائم الافيال لا جرم انها سميت
خداى آورد شكرا لله على الالهام فالانس لا يالف الا بالمغانم ولا يبالى بالمراتع

الا بالحيل الخوادع ان ياتى طوعا فيمحى له الاصنام ويخدم الدين والاسلام ولقد
احسن من قال فيما ذكرنا

قل للامير عبدت حتى قد اتاك الفيل عبدا ... سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو مس اعطاف النجوم جرين فى التربيع سعدا ... او شار فى افق السماء لانبتت زهرا وو ردا

وبلغ ما رد من خزائن الشارب الهارب ذهبا وفضة ويواقيت حمرة وفرائد
مبيضة قرابة ثلاثة الاف الف درهم فاما السبى فالشاهد على كثرة عدده ووفور
مدده وقوع الاستيام على الواحد منهم ما بين درهمين الى عشرة دراهم
ذلك فضل الله ذخره لايام السلطان يمين الدولة وامين الملة
وهو المكنى له بتمام الثواب يوم قيام الحساب فالحمد لله خير معبود و
الشكر على ما اقر به عين محمد صلى الله عليه وعلى آله محمود ذكر المسجد
الجامع بغزنة ولما عاد السلطان يمين الدولة وامين الملة على هيئة النصر
الموكل بقمع الكافر المغرى المكلل بسعدى السماء الزهرة والمشترى الى
دار الملك بغزنة وقد كاد ان يغص ميداناها على عدد الارقاء من العبيد
والاماء حتى استفرغت عليهما اكياس التجار الضاربين اليهما من نوازح الديار
ونوازع الامصار نحو ما وراء النهر الى مرابع العراق ومبادى الاشراق منهما ما
خلط بيضهم بالسود وعدل فى التمليك بين المسود والمسود على عمل بر يبيع جد
ويربع الى امر الاحتساب معناه وكان قد اوعز باختطاط صعيد من ساحة
غزنة للمسجد الجامع اذ كان رسم اختط قديما على قدر اهلها حين عدت
من رمعات البلاد تتخطط داره وشطون مزار ونوافق عوده من ضربه
حصول المراد من تعظيمه وتوسيعه واقامة الجدران على تربيعه فصب
بدر المال على الصناع كما صب دماء الابطال يوم القراع ونصب المشاد فيهم من

احدى النعما الحضرية فهو يطوف عليهم مطالبا بالصدق في الحمد ومعاتبا على زمن
الخلل حتى اذا توسدت الشمس قلة الجبل قام الالسن الموازين ناطقة بالانصاف
وارته بالجزاف فيمسون من اجر بين عاجل على السلطان منقود وآجل على الرحمن
موعود ونقل اليه من اقطار الهند والسند جذوع توافقت قدودا
ورصانة وتناسبت تدويرا وثخانة كأنها استودعت رحام الارض لامر معلوم
وتحجبت باعمارها ليوم محتوم فجاءت ولا الحي كماء ولا العدل استقامة واعتدالا
تبنى عليها الملابسة والسدادود وكأنها صما صما لا تصغي ولا تكاد وقد فرشت
ساحتها بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضرب سحيق على تقطيع النرد اشد
ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المرآة وعقدت عند منتهى الابصار طاقات
كما تتقطع الدوائر على نقط المراكز فلو عاش سنمار لعد في حسنها معد الواقف
العاجز فاما نقط الاصباغ فطالع روضة الربيع ضاحكة الثغور باكية
الجفون تستوقف الابصار وتقيد النظار واما التذهيب فحسبك به ان
صناع الرصافة قد عزت عليهم الحقائق وصح لهم تكليفا لا يطاق وليس
بصفائح الزرياب فقط لكنه صبابات الذهب الاحمر افرغت عن صور الاصنام
المجذوذة والبدد الماخوذة فطفقت تعرض على النار بعد ان كانت
آلهة للكفار وتضرب بالمطارق بعد ان عبدت بالخدود والعناقيق
اوليس الذي ينفق على جدران مساجد الله عبرة للموحدين وغبطا على الملحد
اثم سماحة والكرم راحة ممن يفرغه معبودا وينصبه للنفع والضر مقصودا
نعوذ بالله من رب شوار عار وهو محتاج الى شعار وجزى الله عن الاسلام
ملكا هذه افعاله واعماله وامتحان الروح وامتهان الممنوح في سبيل الله دأبه
ودأبه نعم وقد افرد السلطان لخاصته بيتا في المسجد مشرفا عليه ملعب

البنا موسع الفنا متناسب البنى والآيا والارجاء فرشه وازاره من الرخام كرت
عليه الظهور حتى نقل من ارض نيسابور وقد احيط بكل رخامة مربعة محراب
من الذهب الاحمر مكللا باللازورد في تعاريج من الوان المنثور والورد
من يرها بعينه يقل بلسانه لاستحسانه لا زال هذا الاستاذ ممتعا ببنائه الا
من رأى مسجد دمشق فراعه مرآه وشاقه المنظر حتى ثناه وقضى بان ليس يوجد
شرواه دونك هذا البيت تلزمك المثوبة وتنعكس عليك القضية وينبيك ان الحسن
بعض صفاته والابداع احد سماته وانفال الهند من خدم نعوشه والهمة العليا
قد طمت بعروشه نعم وامام هذا البيت مقصورة تتعارج عليها منصوبة لتسع ثلثة
آلاف غلام متى شهدوا الفرض اخذوا اماكنهم منها صفوفا واقبلوا على اشطار
الاذان عكوفا واضيف الى المسجد مدرسة فيها تشتمل بيوتها من بساط الارض
الى مناط السقوف على تصانيف الائمة الماضين من علوم الاولين والآخرين
منقولة من خزائن الملوك لصيد تفروا عن ديارا العراق ورباع الآفاق
حتى اقنوها خطوط كف ابن شموط مصححة بشهادات التقييد وعلامات التخفيف
والتشديد بينا بها فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين
على كفاية ذوي الحاجة منهم ما بينهم جراية وافرة ومعيشة حاضرة وقد اقتطع
من دار الامارة الى البيت الموصوف طريق يفضي اليه في امن من ابتذال
العيون للواقح واعراض الرجال من بين صالح وطالح فيركب اليه على وقور
سكينة وشمول طمأنينة حتى يقضي المكتوبة ويقتضي الاجر والمثوبة فاما سائر
دور الحجاب وقصور القواد فما يتحقق الاتفاق عليها الا من اتاها اعتبارا
وشاهدها اختبارا فيرى مل الاباطح ابنية تشرف على الهضاب شرفاتها
وتكاد تغني من زهر الجنة غرفاتها وباهت من بلد تحتوي على مربط الف

فيل يشغل كل منهما بشأنه ومايعنيه دارًا كبيرة وخطة وسيعة ان الله تعالى
اذا اراد عمر البلاد وكثر العباد وهو على ما يشاء قدير ذكر الافغانية
ولما قضى السلطان وطر الغيظ بغزنة واقبل الخريف بشفيفه وسجى الوقت
بحاجر رقيقه وقد كان طوائف من الافغانية المستوطنين قلل تلك الجبال الشوامخ
والرعان البواذخ تعرضوا بفعل القطاع لذنابي حواشيه منصرفه عن غزوة
قنوج اغترارًا بمناعة اماكنهم وحصانة مسالكهم وتظنيا لخفاء افعالهم والتباسها
بحبائل امثالهم رأى ان ينتقم منهم بركضة تبيح عليهم اوكارهم وملاجئهم وتخضب
بدماء النحور حاجتهم فجزم على ما دبر وصمم على ما قدر ووري بنهضته نحو اقطار
بغيته ثم ركض عليهم في خاصته ركضا صبحهم في مراقدهم فلم يشعروا الا بحد
الصفائح على برد الصباح ضربات تقطف الرؤوس عن النحور وتفرغ
النحور على النحور صرعى كان جلودهم طليت بها النشاب والعلائم فيا لها نهبة
اتمت عليهم الرقود والت حلفة الا يعودوا وتشهد اليوم الموعود فكم من جثث
فوق الاعلام ورؤوس تحت الاقدام حتى اذا استلحمت السيوف اجسامهم ولم
تستبق الا اياماهم وايتامهم كف الاقتدار وعلا ذروة العز بالاجدار وعاد
تلك الوعور سهولا وكان امر الله مفعولا وعطف الى غزنة مميلا للراي في ان
يستوبل منتجعا والغائب السنة في القرار مستمتعا وبين ان يركب ثنية يمنيه في غزوة
تقشع باقي ضبابات الكفر عن ديار الهنود مجهزا على من كان يضرب بديه
في مهربه كالوزغة المنخنقة لا تلبث ان تموت فابت عليه حمية الاسلام ان يسيغ
على القعود جريضه او يستبقي في مجالس الاغماد بيضه وثنى عنانه نحو الهند في
رجال يرون منتهى الشهوات صهوات الخيول وقصوى اللذات ملاقاة الفحول
ويجتزون بالظهور اسرة مرفوعة وبالعرق لسائل كاوردي القسطل الثائر

وبالاكوار وسائد موضوعة
وبالسموم رياحين مقطوفة
بالاجن الطرق صهبا
مشفوفة صح

مشارع عبير وفتيات ند وبالليل سكنا وقرارا وبالنجوم ندامى وسمارا فمن ثمة
نسب فان اباهم المشرفيات بواتك والزاعبيات فواتك واعمامهم القسي جوازع
واخوالهم النبال فوازع ومازال الخوض بهما بعالجة هادية لم تتضمن قطع عرقاتها
دبه وعين الله ترعاه في كل سعي يسعاه حتى فتح معاقل ولبك المغار بربك
ديارات وليك المدابير فظلت رذايا الفل يضجون بالويل والثبور ضجيج النوق
رواجع بيت الله المعمور ومازال السلطان يمسح بمن امن واطاع ويفتح من
اظهر الامتناع بعد ان اصاب غنائم لا يضبطها حساب ولا يطمع ماوراء الترات حتى
انتهى به المسير الى ما يعرف برا هب غابر المخاض حمى القرالة كالخضخاض يبتلع
الخف الحافر ويبتلع الدارع كما يبتلع الحاسر فاذا اجيال من تلك الجيرة
في رجال كالصريم واقبال كجثث الاديم يدخذ من فاحي الركضة جندن واسند
الى زاخر النهر ظهره ورام ان يمنع السلطان عبوره ويشغل عن اقتحام الغمر
جمهوره حتى اذا انتحل لليل بقايا من في ذمة استرق من ورمروان على حماره
فلما علم السلطان ذلك من قصده وراى استعداده واحتشاده اصلح امر
بالاطواف فهيئت للعبور واهاب الى عدة من غلمانه بالركوب فامتثل الامر ثمانية
منهم يتدرون العدوة القصوى ويلتزمون كلمة التقوى فلما راى بروجيبال
استقلال الماء بهم رماهم بخمسة من فيلته المجفجفة وفوج من رجاله المصففة
فاراد الله ان يحقق قول نبيه الامي الامين ورسوله المؤيد بالمكين حيث قال صلى الله
عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي
لي منها فالهم تلك العدة ان استوقفوها على ما بهم خرن الاطراف هاتك
الاخفاف بالنبال وعزرا لهما في وجنات ولبك لضلال مجمع لم يسمع بمثلها
قبلها ثمانية تخوض سيلا وتدفع فيلة وخيلا وبدر من لفظ السلطان عند عيان

ثمانية خبر مبتدا محذوف اي هي يعني المخبر ثمانية
ويمكن ان تكون بدلا من الجار والمجرور وهو قوله بمثلها

ذلك البرهان ان قال من قدر على السباحة فليتبع اليوم للراحة واما الخاصة
ومعظم عامته خائضين في لصعب الماء رائضين فتارة يسبحون بالاطراف واخرى
يستريحون الى الاعراف حتى لفظهم النهر سالمين لم تشجب لهم جنية ولم تعطب حربية
ولم يذهب بحمد الله سبيبة وحمل السلطان بهم وقد دنوا الى الطهور جملة
توزعتهم بين عقبى سلوان من عقار الجدود واستجران من اسر القدود
وطريد خاف تبع القواضب وقتيل بمرأى النجوم الثواقب وصار ما حصل في الوقعة
من عدد الفيلة مائتين وسبعين ثقال الاجسام كثقال الغمام فطار الكافر
هربا مما لا يملك عنهما ولا يقلب زماجرا ونفثا بما وقد كان السلطان قبل ان
لقى الكافر وليس جيوشه الدروع والمغافر اخر فالا من كتاب الله عز وجل
يهتديه عاقبة ما ينويه فخرج قوله تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض فينظر كيف تعملون فلما حقق الله وعده ونصر بفضله جنده ضمن
على نفسه ان يفي بواجب عمله عدلا ابرى به الانام وعزوا ايوبد به الاسلام وشكر العبد
الانعام لاجرم ان الله حافظه وحاميه ومصيب به اغراض آماله وامانيه
والذي يدخر له من ثواب المعاد اربح متاجر وارجح مكاسب ومعايير

ذكر الاستاذ ابى بكر محمد بن اسحاق بن محمشاذ والقاضي ابى العلاء صاعد
بن محمد وما انتهى اليه امرهما بنيسابور قد كان ابو بكر مرموقا بعين النباهة
في صدر دهلة الدولة لمكان ابيه من الزهادة وضمه الاطراف على العباد
واقتفائه نهج ابيه فيما كان ينتحله وينتحيه وكان الامير ناصر الدين سبكتكين
يرى في عصابته من الزهد والتعفف والترهب والتقشف ما لم يجد
مثله في كثير من فقهاء الدين واعيان المتعبدين فخلا ذلك في قلبه حلى بعينه
والمجاهد في الله محبوب فقد يكرم اهل الشفاعات من له ذنوب واسم

السلطان بعده على وتيرته في ملاحظتهم بعين الاحترام وايثار طوائف الكرامية
بالاكرام حتى قال ابو الفتح البستي فيما شاهد من نفاق اسواقهم فيه

الفقه فقه ابى حنيفة وحده ۞ والدين دين محمد بن كرام
ان الذين اراهم لم يؤمنوا ۞ بمحمد بن كرام غير كرام

وانضاف الى هذه الوسيلة القوية والذريعة الالهية انه لما تورد جيوش
الخانية خراسان عند غزو السلطان ناحية الملتان فتضوا نيسابور على
ابى بكر احتياطا لانفسهم من تبعته واحتراسا عن غامض مكيدته ونقلوه في جملتهم
حين طلعت رايات السلطان من مغاربها ومضت سيوف الحق عن مضاربها
الى ان وجد فيهم فرصة الافلات والسلامة على مس تلك الآفات فاعتد
السلطان ذلك له في سائر مواتاته واوجب له حقا يلحظه بعين مراعاته
ونبغت من ارباب البدع الباطنية على ما تناست به البلاغات والله اعلم بما تجنه
الضماير والنيات قيام وافق تصلبا من السلطان في استيصالهم وتعصبا
لدين الله تعالى في احتيال كلنا لهم فحشروا من اطراف البلاد وصلبوا عبرة للعباد
وكان ابو بكر احد اعيان السلطان على رايه حشرا اليه وتصويبا للراي عليه
فصار البرى كالسقيم من عدوا وعاد الملاذ في عارض الخطب شورى ورأى الناس
ان ريقته السم القاتل وهمته السيف القاصل فبخعوا له بالطاعة وفرشوا له
خدود الضراعة وانعقدت له الرياسة في لابسة الصوف وحظته الخاصة
والعامة بعين المرجو والمخوف ووجدت خاصته سوقا للاطماع بعلة الابتداع
فاستنبوا الناس واستفتحوا الاكياس فمن لطمهم بكاس نمى بفساد معتقده
او يعطى الجزية عن يده وعبرت على هذه الجملة سنون لا مطمع لاحد في تبديل شكلها
وتحويل قادح الحال عن اهلها ولابان الزمان بتغيير الاحوال ضمين بالخلاف

على صورة المعتاد ربعين ومن صبر على الايام راى الرفيع وضيعا والضليع ضريعا
وشاهد عن سموم القيظ صرا كالحا وصقيعا واتفق للقاضي ابي العلا صاعد بن
محمد ان حج بيت الله الحرام سنة اثنتين واربع مايه وهو الامام الموموق والزاهد
الموثوق والفاضل الجزل والبازل الفحل قضى لكه عمره على الحظ النفيس
من نزل التدريس تتطفل عليه الاعمال فيا باها وتنصب اليه الاغراض فيرى
الخيار فيما عداها ومن جاز شرف العلم ليشترى به ثمنا قليلا ولم يعدل به حظا وان
كان جليلا فلما حصل بدار السلام وانهى الى القادر بالله خبره في حج بيت الله
الحرام قوبل بمقتضى حقه في الاسلام من واجب الاثرة والاكرام وظاهر التوقير
والاعظام وعضد بالكتاب الى السلطان فيما يغيره من حاله في مهاب واجب الاحتياط
شرحها على لسان مقاله فلما عاد من وجهه شخص الى حضرة السلطان بغزنه بعرض
ما صحبه وقرر ما حمله فادى من حق الامانه ما التزمه ونما ابو بكر محمد بن اسحق
محمشاذ في مجلسه ذلك الكرامية واطلاقهم القول بالتجسيم وتعريض الله تعالى بما لا يليق
بذاته الكريم فانف السلطان لهذه الشنعا من مقالهم والعوار من فحوى جدالهم ودعا
ابا بكر سايلا عنه وباحثا صورة الحال منه فانكر اعتقاد ما نسب اليه واظهر البراة
عما اجيل به عليه فسلم مع الانكار عن مس العتب والانكار واما الباقون فان الكتب
نفذت الى العمال في تقدم الاستقصا عليهم فمن اظهر البراه عن قوله الشنيع واعتقاده
الموجب للتبديع ترك وشانه من عقب المجالس للتدريس وتشرف المنابر للتذكير
ومن اصر على دعواه ولم يخير لنفسه سواه جعل مغناه عليه حصيرا ورد لسانه
دون الفضول قصيرا وخلع السلطان على القاضي خلعة لاقت بجلالة
قدره ورجاحة حجره ورعاية امير المومنين لحقه وابانه بمهبط امره ومهب
كلامهما عن جملة الايناس والتفخيم على اعين الناس ولم تزل غصة القول بالتجسيم

ناشبة في صدر ابي بكر يتصانع الايام عن نهزة المكافاة بها الى ان استتب له الامر
في عقد محضر على انتحاله مذهب الاعتزال وتنجز خطوط قوم من الاعيان سلكوا
فيه طريق المساعدة او تنفسوا به عن وغرة المنافسة فغيظ ما لا يطاق دا
دخيل وهم على نار النفوس نزيل واختيل في عرض المحضر على السلطان استفسادا
لصورته لديه فوقع التدبير موقعه من الاحفاظ عليه وراى ان يبحث عن صورة
المرفوع في احقاق من صوب وابطال من زور فانهض قاضي قضاته واجد
ثقاته ابا محمد الناصحي من لم يشرك احد في اصطناعه والجذب الى العلا بباعه
فانه استخصه على طراة شبابه لخلتين قلما توجدان في قرح الاسنان فضلا عن احداث
الغلمان والشبان وهما العلم والورع اخوان دونهما الدر بالياقوت والصحة
بكفاف القوت واقعده بغزنة دار الملك للتدريس والفتوى واصبح
الناس من ساطع نوره في التقوى حتى اذا بهر كماله وطمح بالفضل مكانه ولاه
القضا على القضاة في عامة ديار مما لكه ثقة بقوته وامانته وورعه ونزاهته
فتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة ونقا وروضة الحزن ديمتها السما عشا نعم
وامره بان يستحضر القاضي ابا العلا صاعدا وابا بكر الاستاذ في وجوه الرتوت
واعيان الشهود ويطالب باقامة الشهادة على الدعوى المذكورة على روس
الملا من غير محاشاة او جنوح الى مداهنة ومحاباة فقابل بالامتثال وتجافى عن
حرمة العلم لحشمة الملك وهيبة الجلال وسال ارباب الخطوط عما عندهم من
قضية الحال وجلية المقال فاما ابو بكر فانه اراد ان يتلافى بازغ الخطب فزعم
ان الاشتراك في رتبة العلم احدث بينهما منافسة تنازعا معها مذهبي التجسيم
والاعتزال فلا صح ما نسب اليه ولا تقرر ما ادعيه عليه واما الاخرون فجاروا
على حكم المساعدة في المحاباة والمهاودة ومن جاد بلثام الاجسام في التصريح

مر بالراء المهملة وعليه بيت الحراحات
اذا احتدر الخصم اللثام تقنعا

واطلاق الدعوى باللفظ الفصيح مكاشفة عدت الشهادة الى التعصب
وجاوزت حد المعلوم غير انه اغتبط في شبابه فعاد كما بدا وكل امرىء بما بداه الى الردى
وكان يصحب ابا نصر احمد بن ميكال لقرابة وأواصر مستجابة فنشا في حمل النشأة
المقبل وخرج خروج القدح قدح بن مقبل احدث له شكرا لنعمة حشمة
وصقل الخدمة ادبا وهمة فلما مضى ابو نصر لسبيله انهى الى السلطان حاله في كيسه
وذكائه وفطنته ولباقته فاستحضره ليخبره فوافق اولي النظرة قبولا وطرفا
بمورد الاعجاب ملحوظا وازداد على طول الخبرة وفاقا وعلى سوق الخدمة نفاقا
فنما نمو الاشياء اصلحهما التدبير ولقحهما التابير والما النمير حتى سمت به المراتب
وتوجهت اليه الرغبات والرغائب وقابلت حشمته حشمة ارباب الجنود وسادات
الاعلام والجدود وكان غرض السلطان في عقد الرياسة له ان يقمع به من
انعقدت له بدالة التاله والتعبد وسابقة الزهد في الزهد فقد ران
الذي حظي به معقود بالدين فلا سبيل الى حله ولا مجاز ابدا لمشتمله ويرجع
به الى ما يوجبه حكم التقية من رفض المراتب العلية والمطامع الدنيا
وية فلما وردها ساس اهلها سياسة لو عاش لينها زياد لعاد على سياسته
بعين سنن ادبه فخفت عليه حتى صرير الجنادب وسكن حتى دبيب العقارب
وهدأ حتى شغب المراتب وسكت حتى دوي المذاهب فكأنما اقبل به شفيف
الشتا فلكل سامة او هامة في الوجار انجحار وبالمغار استتار شعر
وقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه
ها ان هيبة السلطان هي التي حطمت للهاميم وختمت الاقاليم فلو وكل
بعض همه برواسي الجبال لاصبحت منسوفة او بطوامي البحار لعادت
منزوفة فما خطب يخطبه تنبيها على البشر انى الله ان نحمد على وجه المرير
[illegible] في حسن تحنياله بعين عون

الى النصب وسمى لذلك وجوه اهل الرأي حتى كادت تثور فتنة لولا ان هيبة السلطان
احرت الالسن بطوال وضربت على النفوس التطامن ولا انخزال وتلطف قاضي القضاة
لعرض الحال وتقرير صورة المجال واتفق ان تحين الامير ابو المظفر نصر ناصر الدين في مجلس
السلطان فرصة القول في باب القاضي ابي العلا فنبه على سمته وسيماه وانبا عن ورعه
وتقواه والتمس على سبيل التلطف ان يقع تلافي للغضاضة به وتدارك للمهانة الطارئة
عليه بعزل من تعدى لمكاشفته وتعرض لاستفساد مكانته وثقته من السلطان فيما قال
وحدس ان صاعدا اجل من ان يعتقد الاعتزال وامر باشخاص من انتدب لمراغمته
ومقابلته بما اقتضاه حكم وقاحته واستجلس القاضي تارة بنيته فلم يكن بين الا الفرض
يقضيه او علم يمليه تحتسبا بالله عن غيره ومقتنعا بما ادره عليه من خيره ورأى ان
بقية العمر اعز من ان تضاع على القيل والقال وخدمة فضول الامال ومزاولة ما يهيم
قدر العلم بالابتذال واستنابه ولدين له كالفرقدين او الشعريين ابا سعيد شريكي عنان
في المروة والفتوة ورضيعي لبان في اوامر النبوة واحكام ايات الله المتلوة في قضا
الواجب واحتمال النوائب تخفي له عن حقوق الناس وتفرغ لعلم النظر والقياس
وحظي بمثل ما انبا عنه ابو الفتح البستي من حاله بقوله
قد جمع الله لي بعالي همتي عزي وحسن حالي بلاغ علم وسماع شرب رباع عيش فراغ بال
ثم واطلق تمادي الايام على ساحة ابي بكر وارتفاع مكانته واتساع حشمته ومهابته وانبساط
ايدي حاشيته في اموال واعراض اهل ناحيته واستمرار العنادية ومن اعيان الاشراف في جيرته
السن الجمهور بحضرة السلطان بما طغى من حاله وبغى من حرج خياله ادلالا بافاعيله
واعتمادا ابن عمه على ما سبق الكلام به من خلوص ضميره ورشاد سبيله تداركه الاحتمال
مدة من الزمان مديدة محافظة على الصنيعة من الانتزاع والعارفة من الارتجاع وابقا
على الحال المرموق فان الله من ان يلم به انحطاط او يتحلل له رباط حتى اذا جاوز الاحتمال
حده وامتنع المستزاد بعد ما عقد السلطان رياسة نيسابور لابي علي الحسن محمد بن العباس وقد كان جعل في

١٤٥

شهاباً ويمرح على سنى المحول وتطرف لريش حواشي المقصود وتنتزع منهم
بعض ما اخذوه رشى واحتسبوه بأوكس ثمن تعلقهم الى بعض القلاع عرم
لمن اكل بالله واظهر الزهد ثم يتوكل على الله وهم بصاحبهم فاخذ جلده
وارخى من دونه ستره ولم يتصل للسلطان قصد استيصاله ونفضه عن
فضول ماله فترك ورأى الحجاب على قدم الزهادة وغصص الفطام عن الغا
وعطف من بعد الى جماعة الاشراف العلوية ذوى الاقدار العلية
فاشعرهم ان حشمتهم بالطاعة موصولة وحرمتهم بلزوم القصد وترك
تعدي الحد مكفولة فتلقوه بالاجلال وقابلوا امره بالامتثال علماً بانه
ظل الله في ارضه فما يغني عنهم عن الانقياد والميل على الغلو للاقتصاد
واستخلف على الرياسة عند الشخوص الى الحضرة ابا نصر منصور بن رامش
وهو يضربه بقرابه الى السلطان الا قطعها عليه صيانة له من تخيير الكرام
وترتيب الرجال عند ذكر الارحام وطوع له قياد الاحرار والاشراف
الجار والذمم ان تخذوه بكرة واصيلاً وتحصنوا بطاعته جملة وتفصيلاً
فمن ورم انفه دون طاعته شن بغا كان ومشروفاً نفى عن بلده وعرى
عما تحت يده فشخصت اليه الاعناق واحدقت بفنائه الاحداق واستتب
له رياسة لا عهد لاحد بمثلها من رؤساء خراسان الا ابا عبد الله العصمي
فانه بلغ مثلها ولكن على عمر مديد وعز عتيد وباس شديد وخدم وعبيد
ومال ينادي على العفاة هل من مزيد وفرش في زمانه بساط العدل فقواعد
الاخفاش كرجالات الثروة والرياش اشتراكاً في الانصاف ونفقت
سوق الاحتساب بالدرر فوق الاكتاف فمن بدعة مرفوضة وريبة مخفوضة

وحدود على الحق مقامه وعيون دون الفضول منامه وبطلت معها
الحانات والمواخير وخرست العيدان والمزامير وركدت ألحان النائحات
والسكارى واستترت في الانجحار واللياذ بما وراء الأستار عون النساء والعذارى
فأما شوارع أسواق البلد فقد كانت منذ بنيت نيسابور رفضا لا يكنها
غطاء ولا يظلها دون السماء سماء تخرقهما الأعاصير تارة وتردغهما الأهاضيب
أخرى فأما التراب فمثارا وأما الأنداء فثلوجا وأمطارا لم يفطن أحد من
ملوك خراسان وأصحاب الجيوش بها لإلحاقهما بأخواتهما من ديار خراسان
تسقيفا لها وتنويرا وتنظيفا عن الأقذار وتطهيرا حتى ورد الرئيس أبو علي
فطالب أهلها به فلم يمض شهران حتى سمعت نحو السماك سقوفها وقامت
على ركائز الأعواد جدر وفيها من بين منقش ومزخرف ومدبج بالأصباغ
ومفوف تنفتح منها فرج بقدر ما يملي ضياء النهار على الأبصار دون ما يوقع
لدر ثور الغبار ويمكن لدرور القطار وحمى البصر استغراق قدر
العمارة مائة ألف دينار عن طيب النفوس وفضل الكيوس لم يتكلف أحد
عليها ولم يستكره دون المثال فيها بل عمتهم المباهاة وشملتهم المباراة فانفقوا
موفرين ومستبصرين لأنفسهم على العجز دون المراد متقصين بين من
تسوق تاسعا أو عاشرا ليس بأديا أو ثانيا ردا إلى الكاهل فذلك له دليل على
شغل النظر أشغاله فيما لها من سمك شاخص نحو السماك وزائد فلكا ثامنا
على الأفلاك ولما عاد الرئيس أبو علي إلى الحضرة وفر رجال ما تولاه ومن عزله
وولاه وافق هوى السلطان ورضاه فصادف توفيرا وتمكينا واحمادا واسعا
مستثنيا وسنورد شرح ما يجدد من هذه الأحوال إن أراد الله تعالى ويسره

ذكر الأمير صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين رضي الله عنه

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة لما ملك خراسان وأخلاها من
شرذمة آل سامان عرف له موالاته إياه ومحنته فيها إسمعيل بن ناصر الدين
أخاه أعطاها لحق الكبرة واعترافا بواجب الغرض فولاه نيسابور موطن أصحاب
الجيوش الأكابر على وجه الدهر الغابر سادا به مكانه من قبل إذ هو سائس
الجمهور ومدبر تلك الأمور ومن وضع أخاه موضعا قد سده قبل بنفسه
ورآه أهلا لبعض قدره فقد بالغ في البر والتوفير وخرج من عهدة التقصير
فوليها سنين عدة حميد السيرة في الخيرة كريم الفعال في سياسة الرجال وجرى على يده
من حميد الآثار في مطاردة أبي إبراهيم المنتصر عند ركضاته وكفاية ما كان
يطرأ من معرته وشذاته ما تقدم شرحه ثم رأى السلطان بعد ذلك
أن يجمع به شمله ويصل بمشاهدته حبله فاستدعاه وأهله منتجعه ومغزاه
فلم يزل يليه بعد الحال ولم يفاصله في حال التي حل وترحال وكان يراه في مقاماته
أول من يسمح بروحه في المحاماة على دين الله والمراماة من دون حق الله
وواقيا أثناءها بمهجته نفسه إن كف زحام أو عظم على جيوش حق الله استلحام
شفقة يجيش بها لحمة القربى ويحنه من الرحم الدنيا وكان ينصر مذهب
أبي حنيفة رحمه الله عليه اعتقادا ويرى الاستمساك به رشادا فأمر بمدرسة
بنيسابور بجوار القاضي صاعد بن محمد وأنفق مالا جما أثناءها وحبس حبائس
على من أواها ودارس بالمالي العلم في ذراها فبقيت تذكر عنه تغدى
بالعلم وتراح وتثنى عليه الإمساء والإصباح ولم ينقم السلطان طول أيامه
منه قولا فجالا ولفظا دون الصواب منتحالا ولا شكا أحد من الجار له جانبا
وفعلا لإشفاق الرؤس على الأتباع مجانبا وقضى الله أن حانه الشباب ولما

استوفى أمده ونفض بباقي الأمل فيه يده ولحق بالواحد الغفار إن الكرام قليلة الأعمار وكنت في مرثية رسالة سيلت أبياتها في ذكره فعلمت إذ كان تضمنها ما ينبئ بشرح حاله وتقرّ ببعض خصاله وهي

آه من سعفة بغير إياب ... آه من حسرة على الأحباب

آه من مضجع الأمير المفدى ... فوق فرش من الحصى والتراب

نصر بن الأمير ناصر دين الـ ... ـله صدر الحروب والمحراب

صاحب الجيش درّة السيف ... تاج الفخر غوث الكرام والكتّاب

نعاءِ يا ساسة الرجال يا سادة الفعال يا أعيان العلوم يا إخوان النجوم يا شيوخ الإسلام يا عيون الكرام يا أحرار الزمان يا أنصار السلطان

نعاءِ إلى كل حيّ نعاءِ فتى الكرم احتلّ ربع الفناء أتدرون أي ركن انهدم وأي جبل انثلم وأي عقد انفصم وأي سوار انقصم وأي روض ذبل وأي نجم أفل وأي بحر نضب وأي طود تحصّب وأي خطب نزل وأي نصر رحل رحل والله نصر بن الحليك ناصر الدين الأمير ابن الأمير والشهاب ابن الأثير والبحر ابن الصيّب والحبر ابن النحرير والعنبر ابن العبير مرّيخ الملك وعطارد وسور الدين أفق وركن العز أو غراره ونور المجد أو عراره غارت به نجيبة الأدب التي قد استعذبتها الشفاه وضلت قبلة العلم التي وليت شطرها الجباه وعريت دوحة الكرم التي خبطتها العفاة وجفت طينة الفضل التي خدمتها الكفاة وطلقت كريمة البر التي درس عليها التوحيد وغذي بها اليافع والوليد واجيبت عليها فواصل النهار وجليت عواطل الأشجار واقشعت سماء الدين بوارقها وخاف أحزاب الكفر والجود صواعقها فلا أنار ولا ماء ولا خوف ولا رجاء فأضحى به جيب الزمان مشقوقا وسكر الحدثان مشوقا

وبنا العز منقوضا ولواء المجد مخفوضا ودمع الدين مسفوحا وطرف الإسلام مجروحا وأقبل العلم في صوت المفجوع وبزة الخشوع يقرمط خطوه وينفث إلى أهله شكوى مغص كأنّ في صعد أنتذوب لها جوامد الدموع وتنقد عليها لواحظ الضلوع

فلو غير المنون أتاه أهوى ... إليه أخوه بالبيض البواتر

يمين الدولة الملك المرجّى ... صباح الدين مصباح المفاخر

ولكنّ القضاء له مضاء ... يذلّ العزّ مضربه المناخر

ألا يا صاحبيّ سمعكما الي إن كنتما مسعدين وجامعين لي كلتي اليدين

ألمّا على نصر وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

فيا قبر نصر أنت أول حفرة ... من الأرض خطت للسماحة مضجعا

ويا قبر نصر كيف واريت جوده ... وقد كان منه البرّ والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميّت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدّعا

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

بلى الجود لما مات نصر فلم يدع ... لعينيه لما أن بكى الجود مدمعا

ولما مضى نصر مضى الجود وانقضى ... وأصبح عرنين السماحة أجدعا

لئن جاز للموت أن يغصب الأمير نصرا لقد ساغ لي أن أغصبها معنا وأين معن من شقيق ملك الشرق وسايس جمهور الخلق والقاعد من قمة الفرقدين على الفرق سلطان الزمان يمين الدولة وأمين الملة من دانت لعزته القروم واستكانت لهيبته الترك والروم ففي بعض خصاله ألف معنى لم يرق إليه معن بهمته ولم يتفق له ذلك في ديوان نعمته نال الحظوة من سلطان زمانه باتفاق إذ الحرب قامت على ساق ودارت كؤوسها بين حاسٍ وساق وقد فضحه ابن عناء جوده وفضله بالسخاء عن موجوده

ثم لم يعترض له قط عصيانه لفعاله ولم يعترف عليه من بعد ذهابا بعز جاله
وجماله هذا ان الامير نصر ورث العز ابا فابا ولم تخدم مدى العمر الا اخاه ولم يثنه
غير فراغ الاكياس عن شغل المواهب وفلول الاسياف من قراع الكتايب وقطعة
الدنيا في صلة الرحم وعصيان الهوى في طاعة السلطان ولي النعم نشابين
القران والتفسير والايمان والتذكير والعلم بالصلاة والصيام والفرق بين الحلال
والحرام وسخر الورى بطرف العنان وسن العلى بحد السنان وقد اقسمت
ايامه شرايط السلم باسمة الثغور او الحرب طاهرة الثغور فاما المعاقل
والبواتر واما المحابر والدفاتر واما المحاضر والمنابر واما القماطر والمساطر
فيوما في جحيم الغضب ويوما في نعيم الادب ويوما بين ظلال السيوف ويوما بين
معاني الحروف رفيقه اذا احتبى زج او قبيعة ونديمه اذا احتبى حلمه او شريعة
فكم في ديار الهند له من وقايع انطقت الحديد واخرست الوليد وشكت
البنوق وفجرت العروق وغادرت بيض الرباع في قحمة الليل وخضبت
الجرن عن ثميلة الخيل وكم في نوادي الفضل له من مجالس تلثم اطرافها الكلم
وتعشى وصايتها الامم وتسجد لاعقابها الحكم وياوي الى برد ظلالها الكرم
وقد غنيت بين وب العقول عن صفو الشمول وتحلو المقال عن كعب الغزال
وبغر البراهين عن نزه الرياحين والخليل عن ذكره محشو وكان سيبويه
عن طيب نشر منشور وايمة الهدى عليه عكوف وملايك العرش حوله صفوف
فمن صحيفة للذكر منشورة واخرى باقلام العدل مسطورة لا لغو ولا تاثيم الا قيلا
صوابا وجد بينا الخالص اللبن مذ بانا فشغلة الدهر بمكانه ان الدهر غيور
وعلى عقايل الزمان حسور فصرعه كيادا للنظار واضجعه عنادا للاحرار
شاغلا عن الجود يمينه وعن السجود جبينه وعن الذكر لسانه وعن الغزو

سيفه وسنانه حتى اذا كاد يطمع في انتعاشه واستمكانه وتك بن علي معيار
الغدر باضعاف خمانه ففجعه بروحه الطاهرة ونفسه التي لم تغذ الا النعيم
الاخرة فسبحان من بعث العمر انضر ما كان غصن شباب وانطقه فصل خطاب
والرمة عود نضارة وليطه احق حوار واوثقه بالدنيا دار قرار فلم هنالك
من ستور مهتوكة ودموع مسفوكة وجيوب مشقوقة ورؤوس محلوقة وصدور
ملدومة وخدود وبنعال السبت ملطومة

رمى الجد ثان نسوة آل نصر … بمقدار سمدن لها سمودا
فرد شعورهن السود بيضا … ورد وجوههن البيض سودا

حتى اذا انشر رداء الردى عليه وقربت حمولة البلى اليه تنازعته اكتاف
الرجال كما تنازعته من قبل طماء الامال فكان الشمس غربت من حثو التراب
والارض غرقى في دموع المصاب والاذان موقورة من رفع العقائر
والابصار مخطوفة من لمع الخداير وقد غبرت الوجوه مسفوعة للنظار
والجموع محشوة للاعتبار والعيون من سجوم تجري سواقيه وجمود
لا تندى ماقيه وودت زهر النجوم لو صادفن ليلا فدعون ويلا وناحن
على المصاب خيلا خيلا فاما الليل فقد احسن فيه من قال وان ربا الانتحال

لقد بكت الليالي فقد جاها … لموت القرم مصباح الانام
فاشخاص النجوم الزهر مما … تجسم من مدامعها السجام

ويطل تجري كل باد سائر وصائر الى موقف الوداع جائر

من كان مسرورا بموت اميرنا … فليات نسوته بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه … بالصبح قبل تبلج الاسحار
تخمش حر وجوههن على فتى … عف الشمايل طيب الاخبار

قد كنت يا ناس الوجوه تسترا فاليوم حين بدون للنظار

هذا انا لله وانا اليه راجعون من شعوب تركت القلوب شعوبا
واسبحت الاكباد ثقوبا ولطمت النفوس كروبا وسفحت العيون غروبا وسحبت
الوجوه قطوبا وشرقت الاصلاب انيوبا فانيوبا وسار شخص العلى
الى فرقة البلى فن بلا وجدا لم يغن عنه جوده ولم تحد عليه جنوده ولم
تقاتل عنه قبوله ولم تناضل دونه مرده وكهوله خلا انه فاح ذكا مانه
كما فاح خيا مجامره ووهب على عرشه الرقاب كما وهب حين نقلها النعم
الرغاب

فليس نسيم المسك ريح حنوطه ولكنه ذاك الثنا المخلف
وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه اصلاب قوم تقصف

ايا ويل العفاة من بعد ما جا لهم وما فعلت بهم اما لهم لعل انقصم والله نجاله
وانقطع دون هاتيك الموات حتفهم ونجا لهم كاني بهم عادين على سنة كانت
بالابواب تلمهم وبالافواه تستلم وبعشية ركابها يتمسك والحذعة اوكانها يتمسك
قد اقفرت فلا باب ولا بواب ولا حجاب ولا حجاب يسلون اين الامير وما
فعل السرير واين الحاجب والوزير واين المنادم وما هذه الوحشة المستطالة
والغيرة المتالة والظلمة الساجية والغمة الساجية يقولون ركب الامير
يزور اباه ويحيي بالسلام محياه ويقضي فرض الاعتكاف على ثراه ويجدد من
عهده ما طال عليها مداه افمن مركب للسلام يخذل ابوابه ويعدم ويعزل حجابه
ويوحش منتابه ها انه الركوب فمتى المعاد يقولون ميعاده والله المعاد
الى يوم ... بالامس ... ودة وعروسه ... وجياده مهلوبة
وسروجه مقلوبة وايامه مجوعة وايدي ... فوق الرؤوس موضوعة هنالك
نادوا ثبورا وعلموا انه الحق فعقدوا وعقدوا دون حامه النيب مناحة

ويد نوا يعين الورى ادبا ونصاحة وكرما وسماحة وافعالا كما اسفر الصبح
وانبر زلفه الكليم مغزاه ومراحه يجثون على الجباه قد غبد وابيض الثيات
انتزع السواد وقد لذب الحداد الا ان احوج ما كنتم اليه بن عموه هل جاالغم
الرسم للوجوب ولبستم لبسة المنكوب ووقفتم وقفة الحجاب للسيد المحجوب

يا قوم ليس بياض الثوب زينتكم وقد فجعتم بمولى كله كرم
ردوا عليكم جميعا فضل لبستكم ان الحداد على المفقود ملتزم

فطفقوا يتناشدون بينهم عتبا على الزمان وبربه للفضل والاحسان سعر

يا دهر ويك ما فعلت فقد نكبت كل ما تخشى الرجال سليما
من ذا الذي يرجو فاكل بعد ما غادرت نصراء التراب رميا
ما كان اعذب شيمة وسجية والذكر مه واطيب خيما
ومن العجايب والعجايب جمه ان لا تلام وقد غدوت ظلما
يا دهر مالك طول وقتك ترتعي روض المعالي بارضا وجميا
يا دهر مالك والكرام اولي النهى ماذا يضرك لو تركت كريما

لئن سر الامير اباه بلقياه وشفى لوعة غلته وصداه فقد سا اخاه بان عدم مثواه
وافتقد مصبحه وممساه وكل من بعده الى نواهس الارض ولواحس التراب
فراه لكنه ما يصنع وسيف القضا احد وحكم السماحتم لا يرد سعر

ومن قبله ما قد اصيب نبينا ابو القاسم النور المبين بقاسم
وخبر قيس بالجليه في ابنه فلم يتغير وجه قيس بن عاصم
وقال على في التعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك الماثم
اتصبر للبلوى عزا وحسبه فتوجر ام تسلو سلو البهايم
الا در در الموت من فالح وقرن كباح ما انشب نابه الا افترس ولا الج مخلبه
الا انتشب ... للتجلد ولا اسى وتلك الغواني للبكى وللمآتم

الا انتهس سوا عليه الملك المحجب السلطان المغلب والمتوز للمستضعف والسوقة المتصف

الا تعجب هذا الموت كيف ارتقى الى حمى قصره العالي المنيع الجوانب

فمر على تلك القنابل في القنا وجاز على تلك القواضي القواضب

عجبت له والموت ليس بمعجب وفيه اذا فكرت كل العجائب

لعمري لقد جزاه حين غزا على نهايات النفوس واغتيال الكتائب

وفهمه فتح الحصون وانما سوامي المراقي ساميات المراتب

وبصره بالفتك في غزواته ورمي الرزايا وافتراض المضارب

فلن عليه شدة الليث وانتحى كطوف فحول السوجول القرانب

ومن عجيب الامور في حلم المقد وراته اخترم الماضي برد الله

حفرته ونور غرته حتف انفه على خطاره بنفسه في تقحم الحتوف

واعتراضه للشهادة بين الاسنة والسيوف كخالد بن الوليد حين

وافى اجله اذ قال ناورت الحروب منذ عقلت فما في بدني

مغرز ابرة الا وفيه جرح ضربة او وخز طعنة وها انا اموت الحمار

ان الحكم الا لله الواحد القهار او كلاما شبيهاته اما ان خالدا

يدر ان سيف الله لا يقتل بالسيف وكذلك المقتل يربو الى موت

الشباب من خصائص الحتف وان الله تعالى لما جعله الوم النفوس

منازعت فيض له احمد الامور عواقب وقد فرغ ابن الرومي من

هذا المعنى فجود وبيض وجه البرهان بما سود شعر

ان لم يكن ظفر الهيجا منيته فالكرم النبت يذوى غير مختضد

اما ترى الغرس لا تذوى كرايمه الا على سوقها في سائر الابد

لمثله السيف قوم يشرفون بها ليسوا من المجد في غاياته البعد

عن الحياة وعن الموت فاجتمعا اسى واسفى لبيت العز ذي العمد

موت السلامة للانسان نعلمه وانما القتلة الشنعا للاسد

لم تعمل السيف ظلما في ضرائبه فلم تسلط عليه كف ذي قود

ولعمري ان الرزية به قدس الله روحه لقاطرة العموم مشاطرة

بين الرجال على العموم غير ان القاضي ابا العلا وسائر شيعته والشاربين

من زلال شرعته اوفر من الاحزان اقساطا واشد على مرود الاشجان

ارتباطا فقد كان عرف الله تربته لهم ظلا ممدودا وشربا موردا

وكهفا مقصودا ولواء على نصرة الدين معقودا ولولا ان الله سد ثلمة

المصاب وخلة الاكتئاب بملك الشرق وسيد الغرب وحجة الله في

الارض سلطان الزمان يمين الدولة وامين الملة اطال الله بقاه وحفظ

على الدين والدنيا بهاه وسناه ففي بقايه عوض عن كل شاجب وخلف

من كل غارب وعازب لاتسع القول في عظم هذا النعي وفقد ذاك

الشهاب المضي والنقاب الالمعي غير ان النعمة لحمد الله فيما بقي ضافية

اللبابين نامية الغراس ناصرة الاكناف حافلة الاخلاف فلا زال فضل

الله عليه عظيما وصنعه لديه جسيما ولطفه كريما ولا اخلف عنه الزمان

تيما والهمه الله فيما عزاه راجحة الصبر وعرفه فيما غزاه فاتحة النصر

ولقاه امل الوهم ملكه ورحم الله ذلك الامير العديم النظير والجليل

الفقيد المثل البديل رحمة تبرد ضريحه وتقدس روحه وريحه

وعرف له مساعيه في الذب عن دين الله والسعي في سبيل الله والقرض

في ماله لاولياء الله وعوض الله المشايخ الشادة عما دهاهم فادهاهم ثوابا

تحفظ عليهم دينهم وتثقل في موقف العدل موازينهم وجعلنا من المعتذرين

لِيَوْمِ الدِّين   إنّ حلم الله يغري الجاهل   والخلق فيما شرع والأمر
للأوّل تبع والحمد لله على كلّ حال والصلوة على نبيّه محمّد وآله الأخيار
ذكر ما انتهى إليه أمري بعد بلوغ هذا المكان من شرح أخبار
السلطان من قصد الوزير شمس الكفاة واقتضائه حقّ الخدمة والموالاة
قد سبق في أوّل الكتاب ما سلف لي إلى الأمير ناصر الدين سبكتكين أنار الله
برهانه من خدمة وتمهّد عنده من آل وذمّة وعرست أثناء ذلك في
التقرّب إلى الوزير شمس الكفاة والتكفّل بما رآه والتجرّد لما أرضاه ما
رجوت على الأيّام إيراق ثمره وإيناع نوره وسمّو لعدان صادفت من آثار رعاية
ما لم يكن يليق الأبهة وما انتاب من كريمة المجد من ضمان ذمته فرأى عند
وصولي إليه وعرضي موضوع الكتاب مجموعه عليه أن يسمّى بالتقليد
ويسيّبني إلى كنج رستاق على التريك وعلّمها فرعون يدعى أبو الحسن
البغوي العوي سبح ظاهره نور وباطنه دَيجور ومنظره متن السيف
ومخبره ردّ الزيف أوّله مسور العاسك آخره قرن السابك فافتتح
مؤفداى عليه باسمائه لم يناسب حشمة الأمر ولا حرمة الأقلام والمحابر
يوهم من جانب أنه مبعوث ومن أخراك الحدث موروث وقد كذب أن
الزعاق من منبع الشرب محال وورائه حيات الأولاد جلال وما
علمنا أن موالاة الأبناء معاداة الآباء وأن البذاة جيج ولد ويطوي على
الداء الدفين متعلّله حتى ما يغض من رافقة أو عاهد وضرب على جوب
عقد الموالاة يده وسامني خيانة الدين بمواطاته على كثير نعلق الوثاق
ونوجب في عواقبهما العقاب حتى إذا علم أن مثلي لا يعين على الباطل ولا
يرضى باستيكال اليتامى والأرامل رام أن تعرقني في ذروه ومنهم

فأخبال وأكال وحرص على الأمر الأشبال وإلى الله لعلمه بعناده الآن ينبطه
يجيش به مكيدته ويتكسّب على غرّة من الزوّر وارتباط الغرور وتصيدته ولما أيس
عمّا رامه وأبلس دون ما جرّله اهتمامه واعتزامه عرّج على استنزال شمس
الكفاة بسحر التمويه وعرض صورتي عليه في معرض التشويه موهما إياه أني
صغوا في بعض من ناظر يوما على رتبة المقابلة أو وازنه بعيار الموالاة والممالئة
علما منه بأن حلمه لا يستخفّ الإبهاء التأويل وأن رأيه لا يستنزل الأعلى مثل هذا
التخييل حتى نفذت فيه رقيته وعملت في استعراله دخيلته فتشرى حتى
ولا الأرض من صوب العماد والكفّ من ميسم السواد والتوب من لون الحساد
وصبغ الفرصاد وعلم الله إلى لم أزل أضمر لدولة على صفاء ولو أن حسوا في
ارتقاء وانتحى مخمصا لصنيعه وطالما عيّر بشريعه غيري من نكب عن نهج
الوفاء أو مُجيب دون قرض النعما ووضح حتى المبهم المتبين وردّ الحق على وارثه
القليب ونزعني عما قلت فيه تقدّم من أهل جرجان لا يعرف الرشد من الغي
ولا الظلّ من الفيء ولا النشر من الطيّ ولا النقد من اللي ولا الإثبات من النفي
ولا جرجان من الري شوهه بوهه قد صيغ من طول القناة وزرقة القلاة
وليقه الدراة وصفاقة الصفاة وجلد بالصفي بالعنرات طال على الرحى
العثنون شما التراب وتلتتا للعصاة الحراب ونبرا على المكلس بالصور
ونجيبا للألف ينقطين من سائر الحروف وطوى نعل بين شبح للنيّة عجمية
شبعوكشبعين الموصوف بوتارة الصوف مستنجيا كلّ صرّاف وإسكاف وعطار
وبيطار على سعر صفقته إلا ولى إذ السلعة قائمة والجلد واله والسبحة مطوية
والتحلة مأبون وعيّر زمانا على هذه الحملة في لو تاحه والوقاحة ثم أصبح حوا
سنان بضاعة المزجاة فوافق على النظر الحد فأقبلوا ولست من عز العطا

عن وجوا فلما تعقبها الشامت علم ان عرق الانتقاد ضيع المال واورث الوبال
فاهمل محكا وغودر في نوب رسعره مرذولا الى ان غر شمس الكمال عن نفسه
فاختار على وتعذعه مليذه البغوي الغوي في فقعتقت من المكروه
في البروج دون ساير الممنوح بما لولا مكان الامير الاجل ابي سعيد مسعود بن
يمين الدولة وفضل احسانه واستنقاذه اياي من فجوات اشداقها
باحد غلمانه لترافي الخطب الى ما يعز تلافيه ولغلق رهن الحيوة بما فيه ولو كنت
علمت من سيرة البغوي قبل ما عرفته بعد لاستعفيت من جواره ولحترزت
من مساقط احجاره لكن السر ابن عبد الله لا يكشفها الا الاختبار و
والظلم من خلق النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
وقد كتبت الى جماعة الافاضل في ذكر المذكور وشكواه ولقو بر سجاياه ما هذه
نسخته بسم الله الرحمن الرحيم لجماعة ارباب الصناعة
وعصابة اعلام الاصابة من مبادي الاشراق الى اقاصي العراق من محمد
بن عبد الجبار المعروف بابي النضر العتبي رسالة تخص كل حاضر
موجود وتعم كل لاحق مولود ما سمع للحي اذان واطلق على الكون عنان وشيم
في سبيل الله حسام واقيم على كتاب الله نقط واعجام سلام عليكم ما ذر
شارق مغضوب واراق بارق سكوب ودر على الاناسي حلوب وكر
في حومة الباس فارح يعبوب سلاما يمتد في نجاب السحر قضبانه ويتم
على فتات المسك والعنبر اردانه اما بعد فان الله تعالى جده باز انعمه
التي تبلج للسارين صباحها وتتبرج للناظرين وشاحها معل له العدود
موردة الخدود مضفرة القرون متونة الشوون مغلقة العوارض
مدنجة المعارف مخضبة الاطراف معطوفة الارداف والاعطاف شامخة

على عبادة ابتك يقتضيه حلم لربه او ابتلا لاثارهم في جنب نعمه نقما قائدها
شوم الخذلان وسايقها لوم الكنود والكفران تخالط ابناها مشوهة المطالع
منفشة الفنازع مرروقة المحاسر مقلصة المشافر مغولة المعارى والجا
تصرفهم بين اخلاق مذمومة واخطار مثلومة واعراض مكلومة وافعال
بعاجل العار واجل النار مختومة وقد تستحيل النعم باعيانها نقما
منكورة كما تستحيل المحن على اربابها منحا مشكورة تطبعا على خلق الحان
وتبرعا على عادة المقصود بالاحسان كالجيب يعطر من نوافح
الندود المعطر والجويد فر من روايح الحشوش المقبرة المزبل
تسقط على عرصة الروض فتوليه طيها ونضارة وتهبط على فروة
كلب فتعديه نجاسة وقذارة والماء القراح يسقى عروق الشجر
فيقضي عليها باختلاف الثمر يقبل كل منهما على ما كتب له من مرارة
وحلاوة ومرارة وحرافة وكثافة ولطافة نسقى بما واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل قدره من لدن الاول الابدي الموجود
في الازل ان شر خلق الله نفسا وشيمة واخبثهم قدرا وقيمة من نضيقه
صنع الله رباني من ماء الطلاقة لشوان من صهبا اللباقة فبان
من علل السجاحة ميسان حلك الراحة حتى اذا حط رحله
وخالط بالبشر الخصيب نعله تراه من بؤس الخصال وعبوس
الملال وضنة الاستبدال ومضرة الابتدال ما يطبيه واقعه
ويهيج وادعه وينشر وذوده ويعقد عليه ولوده فيرحل في سواد
الحداد شاكيا سوء الجوار وخفرة الذمار وذلة المقدار وغلظة
الاحما والاصهار ثانيا على ثنية الوداع صليفه متمثلا بقول القابل

نعم الله لا ينافي ولكن ربما استقبحت على اقوام
لا يليق الغنى بوجه ابن يعلى ولا نور بهجة الاسلام
وسخ الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام
ولولا ان العقاب تبع للخطاب وان التامر على الاعراض مجهول
في حكم الاعتبار ونص الكتاب وان نجار الشر اغبر حقاب الكتاب
لادعيت غضب الله على نعمه حين ابتلاها بمجاورة الانذال وزواها من
مظان الاستحقاق من كرم الرجال غير ان المقصود فيها بالكرامة
وقد قابلها بالاستخفاف وكابر عقله في جوارها بغير الانصاف اولى
بان يغمره عاجل الغضب ويصمه اجل اللهب فكم من وارد ما اشرقه نميره
وقادح زند احرقه سعيره وشاحذ حد قطع به وريده وراكب جواد قصم
عليه جيده وقد تختلف مواقع النعم من اربابها على شيئين من صارت لديه
ونيلها ممن مالت بسوء اختياره وقبح اثاره عليه فالاحداث فيها احسن
حالا واهون خصالا من الكهول الطاعنين في الاسنان والشيوخ الحالبين
اشطر الزمان فليس من قرح وحنك وسبك وسبك واخذ على وجه
استبصار وترك كالغر لم تلفحه هواجر الامور والغمر لم تردعه زواجر
الدهور والغفل لم تدربه الحادثات باحوالها والمهر لم تروضه الرجال
باكفالها وقد تعذر الناس في طول الجهالة بالشباب الذي هو طليعة
الحياة وشريعة الشهوات واللذات وان سائس العقل لم يضرب عليه
عقاله وصيقل التجريب لم تحكم على متنيه صقالة وان الراي برعومة
لا يفتقها الا كر الجديدين بعد رديد وروشمس تطلع ثم تغور وموسم
زمان يتفق فيه النور والنور وان للشباب شعبة من الجنون وان قلم
يتفتق

التكليف مرفوع عن المجنون والحدث الغر كالعجماء جرحها جبار وعجمتها
دون جنايتهما اعتذار فما بال من خلع لباس الحداثة ووضع جلباب
الطراءة واجتلى نهار المشيب عيانا وافنى ثلث عمائم الوانا
سوداء داجية وسحق مفوف واجد لونا بعد ذلك هجانا
وحان له ان يصحو عن قهوة البطالة وينزل عن صهوة الاستطالة
ويبكي لضحك المشيب براسه وتصول الانتقاص عن قرطاسه وتمشي
الوهن في عظامه وقعود القوى به عند قيامه واصباحه على خمار
ندمه وافتضاحه بعثار قدمه ونداء ابن ها ان الله عليه باتساع محنته
وانقطاع حجته واتلاع النار اعناقها لالتقاطه واختطافه بها وبا عن
صراطه يستجيز العمى عن سبيل الله والصمم دون حق الله خبطا في
ليل الخبال وحطبا في حبل الضلال ورجوعا في حافرة الخسار وولوعا
بفاجرة الاثار وخلاعة شطن العتو والغلو واباء على النفس الامارة بالسوء
فلا درر الشيب مشوبا بدنس الجيب ولا نورت فاجي القذال الا على مكارم
فاقبح ما اجتلاه الطرف يوما ضياء الشيب في حلك الخصال
نعوذ بالله من غضب الرحمن وختمه العمر بطابع الخذلان وتحريضه
المشيب لما يهتك من استار ويكشف من اوزار ويمحق من نواره ويحرق
من نوره بناره وعصم اقمار الكرام واحرارهم لا نام عن مصرع الغوي ابي الحسين
الغوي دلة الاحتيال وسلة الافتعال وجراب المخاريق وجحر دراب
التخاليط وعقرب التضريب ويلمع الاكاذيب وشبه التدليس وزر
التمويه ومرآة القريب ومقراض المغيب وافة الجود وخرافة الموعود
وحرباء الالحاد وكيمياء الفساد ويربوع النفاق ويعسوب الشقاق

وضبة العقوق وفارة الفسوق وثعلب الخداع وحية بن القصاع وكلب

الهنات واسود الترات وحرضة الاثاك فرضة ... وسلس

الاوحام وبين الدم الحرام ولعل بعض من يتصفح هذه الالفاظ منسوقه

والاسجاع مجموعه ومفرقه يظن بها ركوب البهت في حلبة الاقتدار وعصيان

القصد في طاعة الاهجار اذ لا ابتضاض لبلاغة واعمال المقراض

السفاهة بالفصاحة وجد واعلى غرار الشعر في استعمال المجاز واعفال

التحفظ والاحتراز انكار الا لتفاهة المساوي لسوى في شخص قد شرب

على تصاريف الزمان وجرب واكل على طمي احواله وشرب ولم يعلم ان

الله جل جلاله اذا خذل من شا من عباده لم يبق منه الا حما مسنونا وجلدا على اخلاط

الفساد معطوفا وعلى شك خاصرة الشك عن واضحة اليقين بالافصاح عما

ابهم والاصباح على ما اظلم تحذيرا لغفلة الايام وتبشيرا لشاكلة الاستعصام

وتنبيها على منزلة الاغترار بظواهر النعم والانخداع بزواهر الاحاظي والقسم

فكم من صفيح يروق العيون لونه ويروع النفوس مشهوره قد قطف

عنا قيد رؤس واراق بارق عروق وفر المنايا عن عضل من الانياب

زرق ومن شهاب كما خط بالابريز كاتب وحل عن معقود اللوا راكب

يستوقف الابصار ضيا ممدودا وبها باقي السما معقودا قد رمى من طار بطوارم

وهما من رام التحيز في جوار ولذلك الدفلى يغر الناظر مجرده وتفتر

عن عقيق الورد زبرجده ثم هو الدا المجلوب لمن خبر والسم المشوب

لمن فكر واعتبر ولولا ان قصد الشريعة ان تسيح لخيرها على العموم وتجافي

بين الكافة في فضلها المعلوم اباحة للحكمة التي هي قيد العلوم وصيد

الحكم المبثوثة في الرقوم لقلت لله در رياسة العجم ورفعه اقدار الرواة

والقلم حين عسوها دون ذوي الاستحقاق وخدروها الا على الكرام العتاق

لله در انوشروان من رجل ما كان اعرفه بالدون والسفل

نهاهم ان يمسوا بعده قلما وان يذل بنو الاحرار بالعمل

١٥٤

فما كل حجر لها كفاة في مناكحة الاداب وملاة في متاجرة الكتاب

ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء ولا كل خدر يصلح للعين جلاء واضيع

شي عقد في نحر خنزير وحد بكف ضرير وخطو لجنب قتير ونفس

على بنان فاجر شرير ها ان المذكور معيدي الاحرار خراسان دناة

همة وقماة قيمة وخساسة مفعول وخصاصة معقول نشا في بيت

الفضل والنعمة ونمى على فرش اللين والنعمة فرفرف عليه نعيم النشب

وعبق به نسيم الادب فاصبح مخيلا لصوب الصواب في افعاله جديرا

بحكم الانجاب في امثاله يظن به وبعض الظن اثم ان الفرع الى الاصل

نازع والعبث للغنيم مضارع ولا علم يقضي بان النار تخفو عن رماد

ماتث والخمر تطفو على عكر سافل حتى اذا ايفع وابيع حملته نذالة

الطباع وخباثة السنخ تحت يد الطباع على عقوق ابيه سعاية به

الى السلطان فيما يحويه وابتياعا له باملاكه واملاك ذويه فامتلك

عليه قبل الاستحقاق ماله وقصم محاله واحال حاله وفجع به امه

وكانت عياله ولم يجن دون ما اقتناه على كبر سنه وضعف اساسه

واشتعال المشيب براسه ورسوب قذى العمر اخر كاسه فطفق

يمري الشؤون دموعا ويقتضي اجل الكتاب مخمصة وجوعا ويزجي

مطايا الاستجار بين برد الياس وحر الانفاس بدعوات لم ترجع

مجانبتها الا بقاصمة الظهور وحالقة الدين لا حالقة الشعور

وعطف بعد على من طلعت عليه شمس ولايته ورفّت عليه اغصان
فوايده فنجبهم بحبل السلم وقرضهم قرض الحلم وعركهم عرك الاديم
وقشرهم قشر القلم فعادوا اعرى من المخ معصورا والسيف مشهورا
والغصن مخبوطا والدجاج على السفود مربوطا كل ذلك بين
يديه ونصب عينيه حتى اضمرته الارض بما للزفرات لطيما بالحسرات
غرقا في العبرات شرقا بماء الحياة وعقد على مال خطته بلخ رستاق
عقدا اشترى به اهلها واخذ مطيعهم بما بين ايديهم من سداد السيرة ورعاية
حق الجيرة ذريعة الى استيكالهم واستيصالهم دون خراتيهم واموالهم وساعد
هذا من شيوخ نشائهم ببعض طرزهم استماله لهم على بؤسا مغرورين وضعفا
مضرورين وسامهم بعد الاحتكام عليهم في التراضي بزعامته والتواصي
بطاعته عقد الوثائق عليهم بتصحيح مال في ضمانه ينكسر وجبران حق
من عنده ينجبر حتى اذا استتب له ما اراد واستوفى عليهم الحق وزاد وضع
عليهم يد الاستصفا بعلة حاصل وباق وخاير وناق فاخذ ما وجد من صامت
وناطق وصاهل وناهق حتى اذا ارب كل من ذي يديه وبار غير اطلال
الضياع والرباع عليه رام استنزالهم عنها طواعية اوكراهية فمن اهتبل
منهم فرصة الخلاص على التظلم مما دهاه فاوهاه او عراه فعراه سبقه
بمحضر العصبة القايمة بالافك في خفارة التوفير وكفارة التزوير فارتدّ
على عقبيه خزيان قد سال به السيل واستوى طال به الويل وناح
عليه النهار والليل فاما ان يئول على كرب وقلق واما ان يبول على غيظ
وحنق حتى استخلص الضاحية والضامنة واعتصر البادية والكامنة
وغادر الضياع حشيشا وشرد عنها الزراع عزين واخرس الثغا والرغا

وارطق الهام والاصداء وطم المنابع والمشارع وحمى المراعي والمراتع فلو
ملك عصافير الهوا او يعافير البيدا لاستلزمهما عن طعوم القوانص وحقوق
الملاجي والمفاحص قد تحاماه للاطماع ولا مداخل الكهوف ومفاتح الولائج
كالجوب لا ترويه شي يلهمه يصبح ظمان وفي البحر فمه
ومابه التجرب لولا اجتياح الممالك بجوعه واستحلال حرام الملك
بربوعه كانما عقد على الدهر حلفا لا يخونه واتخذ عنده عهدا يصونه
ويحاماه من دونه مثويه وهيهات انها مظالم حلبت بنات الشقاير
ومصايد طالما اخنقت فخاخها وضربت عليها الشاهمات باخاخها
ومطاعم ظاهرها الاري وباطنها الشري وان مما ينبت الربيع ما يقتل
حبطا او يلم نعم واقام سوق الفسوق خاصة وعامة واباح حمى الفجور رطانة
وحامة ملء ماسمه الشطارة ومستمطر ابقية الحجارة ومضاهيا تيوس
المجوس في خبث الالحاد وصلة الاخوات والاولاد بلا غامته ثقات خدمه
واذنه على وجه الركاب جيران حرمه وربما ارادوا له في السر ملاما
وراموا من تحذير حدود الله وتخويفه عقاب الله مراما فما يزيدهم
على ظاهر تمن عاهر بعين كحدق الجراد مالها اجفان توازيها ولا اهداب تغطيها
صلفا بركوب الاثام وتكلفا لمحظور الحرام وانما اثبت لفظ التكلف قطعا
على ما سمعته بعض مشايخ الادب يحكي عمن سال ابا حاتم السجستاني عن قول النبي عليه السلم
قول رسول الله صلى الله عليه ابغض الاشيا الى الله شيخ زان وعايل مستكبر
وفقير فخور وزعم ان القياس يقتضي كون الشاب الشديد الفتلة القوي
المنة ابغض اليه من الشيخ المضعوف والمقتصر المنزوف فقال هوينا على قوله
عليه السلام ابغض الاشيا الى الله التكلف فابغض الشيخ لان فعله تكلف وتقادمه

استكراه الطبع وهو تخلف كذلك هذا الخرف المتكلف والشره المتوزه قد
فهي شبيبته على اقتراف المحارم واختراف المآثم حتى اذا وضح القتير وزاح
المسير ولخلّ المريرُ وافرغ ماء الصبر رابت عادة السوان تنحيه
من عقالها وتعريه عن سربالها وتصحيه عن نصالها وتربه الاعلى
شعب الاداران ونصالها لا تعوّدا باخي عادة تحوي ها ضربا من الشين
فعادة السو اذا استحكمت شرٌّ على المرء من الدَّيْن وسخم وجهه
وحممه ورداه الخزي وعممه حتى قطع على رؤس الاشهاد رحمه دقتل
في الشايع المستفيض ولده وكان لحمه ودمه فلو كان كاحلا لاولاد السوقه
ذي اخلاق لم يزن لجنه والخلوقة لكنه الخمر ما الجهاد والزبد بذوب
الشهاد واللثم برشف الرضاب والملك بشرخ الشباب والامن بطعم
الوصال والحلو بطيب الحلال والعفو ببشرى النوال والعيش بموت العذال
وشمس الجنوب بروح الشمال عشق الادب قبل ان عقبت عنه تمايمه
وزينته دون الاحتضان روايعه فحاكا القدح هدّيٌ اوله النصل المطار
وحل اسفله الريش الظهار وناهز عشر سنين من سنيه يرى الخليل
في جنب فضله خليلا وسيبويه كليلا وعبد الحميد رذيلا وابن العميد
عميلا ان خط نقش الخيد على ايدي الكواعب الخيد وان لفظ فعقود
الزود منظومه واقاحي البطاح مرقومه ولولا ان اباه اعتبطه دون
مداه لخلف من اثار بنانه وخلد من انوار ابداعه واحسانه ما يفضح ما
الورد في تصعيده وعصير الخمر عن عناقيده لكنه لم يغن الا قليلا ما لحته
العيون حتى اختطفته المنون فقامت نواعي المجد يندبنه جميعا وبكينه
نجيعا فظللت من بينهم صريعا انشدهم والها اتقلب وجيعا شعر

قد كان في رايه وذكايه اشراط صدق ان يموت سريعا

ولقد ضمني واياه مجلس بعض من كان الدولة اليمينية واتفقنا ثاني اثنين
من بين الحضور على تنافث الهموم وتذاكر العلوم وتناشد ابيات الكرم
واللوم فما كان الا ان حمي المجلس بناره وعقر الشرب بعقاره حتى
انحلّ عليه عقال اختياره وانفتحت له اقفال اسراره نذرّت في نحر
الدموع عينه والقى لي ما دار بين ابيه وبينه يقرّر ما نشا عليه من
خدمة الادب والاستغنا بحصام النفس عن عظام النسب على طاعة
من ولده في حجره والبرور على حكمي امره وزجره وانه حين ملك امره
وعرف من خله خمره وانفرد بتدبير معاشه وتوفير نعمته ورياشه
ناهض باملة معونة ابيه ببعض ما يستحقه برّه الابنا على الابا فلم يرده
على ان الجمه في ارثه عن امه وحال بينه وبين ما كتب الله له من حقه مطاوعه
لرتين اعتقله فذاق عسيلته واذاقه ذبيلته فجلاه عنهما تدبير دانيته
ورقاصيته وولاه ترتيب حاشيته وغاشيته وحكمه في عرض ولده وساير
ما تحت يده فانجحر ذلك الفاضل دون نعمته واقعد دون الاستماع
بلحمته وجعل كل من يعتزي اليه منقوما ومقروعا ومن يعتري به ملطوما
ومصفوعا حتى اضطره صرائح الياس ولجاج الافلاس الى قصد الوزير شمس
الكفاة لاستماحته وانتجاع ندى راحته فحين علم ابوه المعتوه بخيمه
على شاطي الاقبال واستقلاله الى موطي الامال ندب الفكر لاغتياله
واسهر الليل في اقتناصه باحدى حبائله وحباله فدس اليه على ما
شاع وذاع وشحن المسامع والبقاع من ذعف له نقيعا غادره
على فراش المنون صريعا وانتقل غير بخيل الى جوار الله ودار كرامته

مُشَبِّكاً يديه فوق هامته ومستصرخاً الى العدل ومالك الخلق على ظلا
ومختصماً حول العرش الى يوم قيامته وحدّث عن قهرمان بيته وقد عاد
الى ابيه السفيه بما كان استفضله عن رواتب نفقاته واقتطعه دون
عوارض حاجاته استظهاراً به على حوادث النوب واستنفاقاً على معالي
الرتب انه ولجأ من رفقائه انفقا رحلة المال قدر ما قطعا به المسافة اليه
ووضعاه في اكياسه مختومها بين يديه فكان جزاؤه مما منه ان وضح الدهق
عليهما حتى استغرق ملكيهما واشرف صليب العظام حتى جنبهما ثم قصدهما
في دورهما اشفاقاً على صورة الحال ومستورة المال من هتكة الاذاعة وفضيحة
الكشف والاشاعة لولا انه اعتصم بالاستتار دون صاحبه من عدا عما لحاه
ومتبرقاً باستتار ما واراه ولم يرض بالاحرب وقد جاز دون مستحقيه من
قراباته وذويه حتى قطع سياط المطالبة على كلائه ومواليه وهلم جراً الى شقيق له
معجزة في الحجاب عنسة دون الخطاب خلافاً للنسيم في حكمه واجتراءاً عليه
في فرض الاسلام وختمه واستحقاقاً لولوغ الالسن في دينه المجروح وعرضه المفتوح
وعقله المخلول وسره المجهول بالغلول فعجز اهم ذكراناً واناثاً عما اليسوم من بال
وجديد وطارف وتليد اعتلالاً عليهم ببقايا الخرجة المتوفي على ضياعه ومن
تحت استغلاله وفي ضمان مزارعيه وعماله ولم يستبق من جملة الدخلين
كانوا اليه رحمة الله عليه لتسليمه غير موسوم بجريمة ومكدوم بعضيمة
ومنفوض عن خيره وكرمه ومغلوب على مثواه من تبعة او تيمة فزارته
المقصورة المهجورة تشكو اليه بلابلها خضوعاً وتري عليه كما حلها دموعاً
ضيقاً بما دهاها من اضاقة واحوجها على مس التسبيب من فاقة وتسأله
سؤال المضطر ان يملك عليها ما ملكه ارثاً وتحوي ما حوته عتقاً وحدثاً مصانعة

له دون ما اطلقه عليها من ايدي الجنود واخياف الترك والهنود تمدداً في وجهها
ضجراً بما تشوفته من نظره وتلففاً لما خصفته عليها من ورق الصيانة
عن شجره وجعل من بينها في جوار التلطف والتألف باجلد من مولّهة القراع
واشد من ململمة القلاع فعل من الكفه حرمه واكنفه رحمة ولا يرق عليه
راحة ولا تحف اليه في ذات الله مخافة ولا تثنيه عن وجوه الناس حياً
في دره نذال وعرة تنالها الايدي الطوال فلما ايسها الاعراض اخرجها
الامتعاض والتحلفه مضبوع لئن لم يثنه عما لم يقصد عنله والذات
خدر وكربه وراستر ليهتكن الحجاب ولتطرحن الجلباب ولتحثين على فرقها
التراب منطلقة الى حضرة السلطان في ايضاح ما وارته الجدر منه وطرحته
المجاملة عنه وكتمته ضمائر الاشفاق فيه وطمسته ذيول الهوادة
دونه فقال المجنون لاخيه وهو معه في ناديه اغلق على هذه القحبة
الوزها فقد ابطرتها الفضول وانطقتها دالة الاحتمال فما تدري ما
تقول هذه والله حمية الابطال في حماية الذمار ورعاية حقوق الحرم
الابكار ورحم الله ابا الفتح البستي حيث يقول

لي جارة فيه خيرم عرسه ... تلعن ايره خلى الله اله الناس للغير غيرم

ولما فرغ هذا الفاضل عن هلاك ولده ووراثة ما كان تحت يده واعتصار
المظلومة عن بلالة حالها وعلالة ما لها انتدب لاخاها لصلبه وهو عجزة
اولاده ومن يرجوه مثله لمعاشه ومعاده للتقبل على ملاك تركته
احتيالاً عليه في الحاقه باخيه واقتطاعه دون كفاف يتصرف فيه
فتلطف واعتذر واعترف بالعجز ما قدر حتى اذا اعياه التلطف ولم
يقنعه الا التصرف مدرقته لربقة التقليل ولبرسعاً على طار

الملك والتليد وما زال يجبي كل ولود ونزور ويمري كل بكي وثرور حتى نضب
المال الا قليلا وعصب ريقه الا بليلا فطفق يعتريه لعجزه وتضجيعه
ويبكته على خرقه وتضييعه وامر فجمع عليه ما لم تثبته سمع ولا بصر
ولم ينبته نجم ولا شجر ولم تطلع عليه شمس ولا قمر وسبب عليه الاعلاج
الهنود وعلاظ اكبادهم السود مالا اذ هي متن طاقته واتى من وراء فاقته
وحرشهم عليه بتطميع في عاجل موزون وترغيب في آجل مضمون حتى اوهنوه
شدا وايثاقا والحنوه ضربا وارهاقا ووضعوا عليه في بعض لياليه دهقا
استمر به الى الصباح النائر حتى اذا لم يسمع منه غير ناقر الطائر علموا انه
مظلوم وان الالحاح عليه في حرثهم المدخول وشركهم المخذول محرم ولوم فنفضوا
ايديهم منه لا عن ترك اياه ومن انصحه ورباه والطمعة بحبل الله وسقاه وما
ظن الافاضل الكرام بمن يوفي رحمة الكافر الفاجر على قساوته وطبع
قلبه وغشاوته بمن يزعم انه والد يحنو على ولده ذبحته فلذة من كبده وبضعة
من روحه وجسده كل ذلك طمعا في استزادة مال واستضافة حال لتصار اهاؤها
الى تمحق وزوال فلا رحم الله كل جان في العقيدة خان في المكيدة قاسي الفؤاد حالب
دما الولد ولا جاوان للآبا فروضا على الابنا وللابنا حقوقا على الابا فان يكن
من فرض الوالد ان لا يقتص منه في قتل ولده وقطع يده فمن حق الولد
ان طاع في صلة رحمه وتوقي الاقدام على روحه ودمه نعم ولما ان حقن
عن البائس كربه وانجلى عنه وصبه اسرى الى جانب الامير ارسلان
الحاجب فتى السلطان عين الدولة في زحفه السهم المارق والرجم المقذوف
على المارد السارق متشبثا به عارض البائس مستبقيا رجاء معلقة بخيط
البائس فآواه وقبله ونشر عليه جناحه رحمة له وكتب الى اركان الدولة

في بابه بما اطل عليه سحابة ابيه وغل دونه نكاية فصل وتجنيه وحاذر
الفاسق المارق افتضاحه باخر ولد كما افتضح بمن قبله اذوى الله صداه
وفجع اباه فلم يزل يلقاه بشعوذة المخاريق وبرقشة التزاويق حتى اقرضه مالا
سد به منخر باسه وزدمه عدوى امتعاضه وشماسه كابن المقفع
حين استعرض السجان واستوجب الحزن والامان فلو نقب عن منافس فوقه ومنافخ
جلده وعروقه لانتخبت حيلا تعجز كل صباغ وصواغ وثعلب من الوحوش
رواغ وما زال هذا المذكور يختلف به المرج والكور الى ان قدم شمس الكفاة
وزير السلطان عين الدولة مرو الروذ سنة ثلاث عشرة واربعمائه مستوفيا
على العمال بقايا الارتفاعات والاموال فخنج اليه لانه يكفه وعائله البواقيه
الكرام وراقبه الايام بشرفه مقترا حاله في الظلم الذي ضرسه بجريرة
ومعسه بخس الملحاج غارب بحيره وموطيا لسانه فراش التقية طاعة
لله في لزوم الاحترام وصيانة للعرض من شؤم المدام الى ان حشر
مطالبة السلطان اياه الى مثواه من باب ولي نعمته ومولاه فكم ضرع اليه
فما نفع وخشع فما نجع وتلطف فما اقصر واستعطف فما سمع ولا ابصر
حتى اذا عارضه الرد بحجابه وكلمه الياس من ورا نقابه باح على شمس
الكفاة ببعض تلك المخاريق وصب له جرعا من الوان تلك الاباريق واشعر
ان ضيعته لا تنجم منه الا جاحدا لاياديه مخافتا بمساويه مواليا لعاديه
مخالفا لكريمه للحفاظ في مواليه براهين كما سطع الصباح السافر او متع النهار
الجاشر مقرطة بصحاح الاقوال مشنفة بفضائح الافعال فلولا كرم غلب
عليه بانه [illegible] على مسكة وبانه لبرجه رجم العفريت وضربه بالنفط
والكبريت لكنه راى ان يضم عليه طرفي بساطه ويستبقي مختوم سره برخرخه ورباطه

تعد ما الشفاعة المشيب وتفويضاً الى ما رآه من الاجل القريب واثنا عالمن
سمع اونظر وروى اوخبر بما تناهبه الآفاق من ذكر شيخ معايبه احلاف
ولومه مكتسب وفضله ميراث ولما تسامع اهل عمله بما ركدم من ريحه وظهر
من رغوه صريحه بادروا الى مفصل الظلامات صارخين كما تشق في الجو
بنات الاعداد وجور في الشيخ جميع البلاد واختلفوا في المظالم من قايل
هتكت حرمته واخر انتهكت نعمته وثالث انتهبت ثلثه ورابع طلقت عليه
طلته وخامس قتل على التعصب اخوه وابوه وسادس جرد على الجرف
بشرته ونض فوه فمنهم من وصل فسجل بالانصاف ومنهم من حز فشقي
على ياس الانصراف وراى شمس الكفاة ان يسلك به شعب المجاملة فطم
بصرفه على نبابث مساويه وصد عن مسامع السلطان خبايث افعاله
ودواهيه واصم نبا التظلم عن شريف ناديه نعاد المذكور وراه
مخذولا ومغلولا واراد الله ان يقضي فيه امرا كان مفعولا ولما راى ان قد
ضجت عليه افعاله وضحكت منه حيله وادغاله وان الالسن قد مضغته
حين اطاع عبدا مملوكا في معصية خالقه ووصل شهوة الفجور في قطيعة
ولده وعمر اطلال ضياعه بخراب اخرته وثبت به ذنوب الثاير الموتور
والجاش المسعور بنجح ما جلاه على الفسوق ووقاه من نمز الاسل اخذ بسلعة
ذلك السوق ويرى ان صنيعه ذلك تحميه همة اللائمة وتقيه نبال الالسن
اللائمة فاسترد ما نحله من صداق وحجج عليه بقيمة ما اشربه من مجاجة
اشداق وعدا عما اعطاه بعدما عراه واقتطاه وبطحه للبساط بعد
ان بطحه لوط اللواط مستدلا منه حرده طالما امتصها بثغريه وكنسها
بعارضيه وذلك بها بنفسه وابويه وذفن عليها الجد ولديه هل والله

الجود لا ما بنى عن حاتم العرب وروى عن سادات بني عبد المطلب فلجا
الله من رضي بها لنفسه سيرة وخباها على نناسخ الاحقاب كنزا وذخيرة
انه وذات الدستار يبطن مكه لا ادل من والغ في جيفه مقلوب واذل
من طامع في شريطة مصلوب ان كان ما اتاه اتقا ما فهلا ذلك
والولد حي في البدن يملك الخيار شي الان وقد سبق السيف العذل وقد فعل
القضا ما فعل اوردا اذ قد نضب الما وشما وقد اصحت السما وغبره وقد
سقط الجدار وسترة وقد طمر الشوار هيهات هيهات لطن جايل
وراى فايل وظل زايل ورجم ما سايك ايتها النفس اجملي جزعا
ان الذي تحذرين قد وقعا واحتال مغتر شر لذته ومعتصر شهوته
للانقطاع الى بعض كبر الامر اقبله واواه وانترعه من قبضة مولاه
مراغمة كونه بنار اضغانه وشوته على حرارة غمومه واشجانه فلا الحميم
ولا قريب ولا دني ولا حبيب ولا والد ولا مولود ولا عابد ولا معبود فاما
الشرع وطريقه والدين وتحقيقه فجهلا به ان في وضوح هذه الخلال على
شوه احكامها وسفه احلامها الغنية دون شرح الحال وتشريحها وتبليغ
لسان المقال وتفصيحها غير ان التقرب الى الرسول المصطفى الابطحي المجتبى صلى الله عليه وعلى آله في قوله
الله عليه بقوله اذكروا الفاسق بما فيه يقتضي التنبيه على مخازيه وتلخيص الخفايا
بكره وخباياه وتشكيلا لاضلاع خبثه ورزاياه ليعلم الاناضل اني
جاورته على البريد قريبا من سنتين فلا والله ان تصفقت لي حلاق به
في المسجد الجامع للفرض الا يوما واحدا كبيضة العقر او كقضية البكر فما ادري
اخطات به خطاه ام الجاه عذر تخوف عقباه وتجاذبنا حديث الصلاة
فقال ما زحا وما صدقت تلك المخارج اذ سكر ان قام بعضهم وهو ليسي نوم

الجمعة للفرض وقد نودي للصلاة فقال له صاحبه كأنك لم تر أربعة من
… السوق لحر … من عمل السوق وقد كان من طريق الفجور مساغ
للتأول على وجه التملح ولكن من هذا القبيل وترك العبادات سبيله فلا
عبد تنسك ولا فرض كما تقتضيه العقل … غير اليقين بالالحاد وتلقي أوامر
الشرع بالعناد وأظرف قول الغلام الواصف مولاه أنه ليغرب في الشتم واللحن
في الإعراب ويصلي من قعود ويكثر من قيام … على صورة حاله ويأوي
إلى المقصورة خبثه وضلاله … أحواله عيوب … أفعاله ذنوب
يصلي فيخفف أركانه ويمشي فينصب … يخاطب بالكاف إخوانه
ويشتم بالزاي غلمانه ويكشف للشر أكمامه ويسحب للآثام أردانه
ومن نادرة البلد اعتقاده الاعتزال على عمى رأيه ثم لا يتقي محظورا
ومحورا ولا يستبقي عملا موزورا ومنكرا من القول وزورا هو طريح
بمشهد في مال … كان انقطع إليه منذ زمان بأمان فأغرى به
ربيبا له … كان بأمه إذ هو رضيع
وعلى حداثة … ولقنه اشتغل الأمير الأجل أبي سعيد مسعود
ابن … الدولة … في معنى … ذلك الأمير
… والسيد الملوذعي على عامر … وباطن … فأمر
بالكتاب … في … واجتناب … والانتداب للأعداء
الشاكي على خصمه وأبقاه حكم الله في أمه فلما أحس …
… ان حدسه … استعمال وسعيه الى … قد مال
منع شهود الزور ان يصدعوا بالحق فيما أبلوا من خطوطهم ترغيبا
وترهيبا ان … القول وادعوا على مسلمهم … المزور للزور

إلى التوسط عن أرش المستباح دمها على ما تبيح … ثمنها خمسة دنانير
فلم أدر أنه يحله وقعت بأن ديات لا تمهات على هذين العقدين
فما في الإسلام له ذكر معلوم ولا في الفقه باب مرقوم ولا عند أهل
الكتاب أمر مختوم ولا في ديار الشرك رسم مرسوم ولا في فطر النفوس
أن تنزل عن أمها بمقتوله … الوكس والثمن البخس ولا الخنانيص
أو القرود لو نطقت ترضى عن أوضاعها بمثله وكم قد قلت وأقول
إنها ليست دية تودية أو وذمة بل هي دية نسمة مسلمة قد حقن
الله دمها الا بأحلامه ثلث نصا عن رسول رب العالمين صلى الله
عليه وعلى آله الطاهرين فصل لم يجز الترخص في هذه الأحكام
إلا المستخف بدين الإسلام أما أن المحكوم عليه لم يلتزمها إلا بقوة
… ماية وعشرة فقال المجنوع المخدوع تالله لا رضيت بهذا
الغبن ولا شربت الدم الحرام باللبن وهم بالرحيل في أمر القتيل
فأغتيل فلم أكلته النار أم شربه الماء أو التقطته الأرض أو اختطفه
السماء فلله هما من دمين ذهبا … نحرا
هذا والله الدين السليم والعقل الحكيم والأمر القويم والسمت المستقيم
والمآل بما وراءه الجحيم ومما يزيد أدام الله عز الشيخ نضوحا
ويفيد هذه المقدمات وضوحا ما كانت الأخبار تتشاهد به من استطالة عبد
الإشفاق … على سلطان زمانه ورعايا عمله وسكانه حتى
نسب إليه من ضياع وعقار ورباع ودار … الأسماع ويتقاصر
دونه الأطماع … واستقام على … المراد … ندم
على ما … وفصل الفسخ كل الجمل فكان هذا البلاغ يقرب

تارةً من الامكان وببعد اخرى حتى اغنى شخص العيان عن الخبر وناب
شمس البيان عن القمر وذلك حين بعث السلطان يمين الدولة قاضي
قضاته ابا محمد الناصحي الى ديار خراسان لتدارك امور الاوقاف وانتزاع
ما اقتسمته ايدي التسلط والاختطاف فرفع اليه خليفته وانا حاضر
والحقائق ما يرد وبصدد ناظر ما تقرر عنده من احتجانه ما يقارب
مائة الف دينار عن اوقاف وضع عليها سمة التملك وسومة التغلب والتحجن
كانما نبها افواه اربابها دون التظلم بوعد دونه رقراق السراب ووعيد
عنده فراق الرقاب حتى درج عليها قرن بعد قرن آيسين عن الانتصاف
وخلف من بعدهم خلف قانعين من دونه بالكفاف فادى اليه بانعام
الاستقصا على حلم امانة القضا فقام فيه وقعد وابرق وارعد وانتزع
مالاً عظيماً من تحت اضراسه وحذّره الانتضاح ان تعرّض لمراسه وكان
قصاراه ان سكن وسكت وخشي اسوة امثاله العنت واحضر الرجال
طواغيت الشهود وعفاريت الفسوق والمرود وعقد بمشهدهم وعلى شهاداتهم
وثائق بوقفه كل ما ملك واطلاقه على وجه الله جميع ما امسكت يمناه بما نعلان
المتشح بما تحت يده من قليل وكثير وزهيد وغفير براءً عن الطمع في مال
لغيره موقوف وعرض لي وجوه القربات مصروف فلم يتراخ الامد على هذا
العقد الوثيق والخذلان المشبه بالتوفيق حتى قال لي وهو يشكو الوزير شمس الكفاة
وسماعه اباطيل السعاة ما هو الا ان احل عقوداً املاكي هذه على طفرة
الى العراق سالياً خراسان واهلها وقالياً ترابة الميلاد ومباءة الطارف
والتلاد فقلت انا لله وانا اليه راجعون من شيخ هذه بقيته وما لفظ
به على وجه الاستحلال وغيظ العجز عن املاك الرجال بغيته هذا ومن فضل

سماحته واساحته فيض راحته ان كل من ساكنه في محلته على عمل يليه او مال
يجبيه كاله ما شاء جزافاً ووزنه تبذيراً واسرافاً استحقاقاً لشهاداتهم
له بجوده وتخرقه على الكرام بموجوده حتى اذا تقضى الوطر منهم وطالت
بسطة الاستغنا عنهم تتبع عليهم صبابات القدور وخلالات الثغور وثمامات
الاطراف وصولجانات الاصواف وحصل المطعوم في زنة الذهب المصون والمشروب
في قيمة الجوهر المخزون والدرهم الواحد قنطاراً وحبة ثاني دوادين
الشرق مطاراً اسعاره فرخصت رومته ورست على حد منه اللوم جرثومته
فيصدر عنه العامل او المجاور الآمل مغبوناً مدة مقامه موضوعاً في شرابه
وطعامه مفجوعاً بما اقتناه غابر ايامه مخدوعاً عن شهادة ختمت
صحيفة اثامه تدخصف على فرحته بكلتي يديه يباري في عدوة السليك
وينادي لبيك اللهم لبيك وليست هذه من آثاره باعجب من كمون اخباره
وسدول الاستار دون اسراره وتصور بك الانتقام من معقل ازراره
غير ان لكل شيء امداً ويأبى الله ان يفلح الظالم ابداً الا ان المال يحرب
لما تحقن الدماء وتجمع الاهوا ويدفع القضا ويستر العوار والعور اوبعد
بالغ ابو الفتح البستي في النصح حيث يقول

اشفق على الدرهم والعين ... تسلم من العينة والدين
فقوة العين بانسانها ... وقوة الانسان بالعين

غير ان المال متى سلب الجمال واورث القيل والقال وبال ولاه الدين مطلوبا
والذنب مكتوبا والانف مجدوعا والبنان مقطوعا فقبح الله الاعراض متى
دنست لاعراض والاموال متى لطخت السربال والاملاك متى اعرقت
الاوراك والجراب متى ابدت المعايب فاما موائده ومطاعمه فخذوها

البكم باسناد كما انفتحت الاصابع واتسعت الكعوب الفوارع انه يقلد
مع صغير العصافير على اطعمة برتوغلها كما حشا الدقيق جرابا واثقل رصاص
كعابا فما هو الا ان يذر ورش الشمس على صلايات الجدران حتى كان
اولاد البقر تلحس فواده وكان الظليم يدعى فيه ميلاده فيتغذى
بالفول سنة وعادة وبما يجانسه من عمل السوق شهوة وارادة حتى
اذا طفح كالدلو لمن متح كف وقبض الكف على ترم لا يطير داجنه ولا ينثني
دون الجذب مجاجنه فاذا انتصف النهار او كاد والتحف الحرباء الاجلاد
دعا بطعام اليوم وهو المتكلف وما يقيم رسمه الصلف فاحتشى من كل
حلو وحامض وامتلا من كل بكر وفارض حتى يخشى عليه في الصفاق من الانشقاق
وفي العروق من الشوق فيظل باقي النهار يشكو امعاء معاوية وخلاء خابية خاوية
حتى اذا اجنحت للاصيل وهم الطفل على الليل بالتطفيل اعيد عليه الطباخ
والغرف وحشر اليه القراطف والقروف ثم يوتى لمبيته لفايف كالاضابير
مطوية والطوامير مختومة ومسجية وربما نام بعض ساعات الليل فينادي بالجوع
الدبقوع ويلاقي الظهاة بالقنوع فيحاش عليه مجالة الوقت من مشدودات
السنابق ومطجنات الطيور والغرانيق فيجهز عليها من غير تمام وتسحر
منها بغير صيام طعام لا يشركه فيه غير الملائكة حاضرة والكواكب من محاجر
الظلماء ناظرة فما الارض هي الغاية في الالتقام والالتهام ولا الدعص
وهو النهاية في الاستفاف والارتشاف بابلغ منه لولا اقتار زاده ولا
باجرع لولا انقضاء نفاده ومن نادر امره في المعاذير انه يكتب ضمنا في التنقل
من الصبوح الى الغبوق والتردد بين الفجور والفسوق فان نشط للتنزه تبوا
من تجمعات الاكتاف كما تعود مقاعد كالاحقاف يتهادى براشح رضا في جلدة

شيطان وجيفة في صورة انسان قد نجم بينهما نوخ الفحل للرماك بل
صنيع اللاعبين بالضحاك وربما بقي في التمارض سنة او اكثر شفقا من تكلف
الخدمة لولي النعمة وتجشم المسير الى باب الوزير فيرشو على التعالل مالا
وتخلو وجوم الاطباء واصحاب الانهار فيها خفافا ويبدو اثقالا ولبس
هذا الاحتيال باغرب من اكتنابه بالزمانة على امتناع الطباع
وشماس النفوس وزال الاصغاء اليها فضلا عن القرار عليها فسبحان
من خلق النفوس اطوارا وجعل الهم انجادا واغوارا اهذه من اعيان
مساوي هذا الفاضل العاطل ولو سردت امثالها لطال الكلام
وعال الابرام ووراها من دقائق الظلم المذموم والدغل المكتوم وثقل
الجيزوم والذل المبلول بلعاب اللوم ما يربي على حد قابل الابراج والاجزاء
جواهر الامشاج والصغائر على الاصرار كبائر كما ان غب الشعور على
الايام غدائر ولقد احسن ابن المعتز حيث قال
خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصا
ومما انتهى التنبيه على معاير المذكور ومعايبه والفلي عن شمط عقاربه
وذوائبه مقابلته صنائع لي عنده ايام الرسا سان وبعدها في حق تضيته
وعمل رغيبته وعيب طويته وستر خفيته وشغل كفيته وبر اوليته بان
كاشفني لمودة جمعتني ودولة المغتبط ابا المظفر رحمه الله بعداوة
لم يرج لعظيم سيلها صفا ولا لبهيم ليلها انقضا وذلك ان شمس الكفاة
بلغني لمجاورته وتقمن لي خير المعاشرته مكافاة على خدمتي حضرة السلطان
يمين الدولة بالكتاب اليميني في شرح اخباره ومدح مقاماته في عدله وانصاره
فما زال يسري اليه عني نميمة كقطار ديمه ووقيعة كسراب بقيعة على

غفلتي ومن ما ينصبه لي من شرك ويهججه من معترك تموهًا له إن الحقه
كافر وعن فرض محبته نافر والى حرمه معين الكفاة في استحقاق
صدر الوزارة مائل وفي شعب الاختصاص به والانقطاع اليه سائل الكذوبه
لم يخلق الله لها راسا ولا ذنبا ولم يضرب لها وتدا ولا طنبا ودمنة لم
تهتد دمنة لتسور جوانبها ومصفوف كلاها وإباهرها حتى هاجه على
كالليث موتورا والنمر محرجا ومصرورا فلم يكد حتى استنزلته
عن جرانه وشماسه وجهدت حتى نحوت راسا براس وطفقت انشد وقد فارقته سالما

إذا نجّ أبناسالم من بأنفس كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

واغرى به الملك ابن شمسه يمن الدوله في عظمه لولا ان الهمه الله
واشعره الحصاة فنقر ونقب واستشف اعطاف البلاغ فيلمن حرب
وحرب لثارت عليّ منه داهية لا تبقي ولا تذر واستطارت عباقيه
يفي عليها الشعر والبشر فمن الله تعالى بان فضح الفاضح فيما زوره
وكسف وجهه وكوره واهواه فيما حفره وخنقه بقوى ما ضفره
وسخم وجهه بنور الافتعال وكشف عورته لفحول الرجال وجعله عبرة
للغابرين يشرح هذه الاحوال فمن قرا هذه الفصول فليحمد الله تعالى على
السلامة من مثلها والبراة من فواحج الوزارة وقوارح النار بها
وليعلم ان الاساة تعقب على الايام عتبا ثقيلا وغبا وبيلا وخطبا جليلا
وليسانا كالحسام صقيلا وقبح الله من نقص عمره على زيادة الاثام ومساءة
الانام وحيازة الملام ورحم الله عبدا قال امينا

وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين واصحابه
الاخيار المنتجبين وسلم تسليما دائما ما ادى للكوكب قاعدا وقائما

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني اسالك [illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عظم محمدًا بنصب لوائه ورفع كلمته وجزم حكمه في ملكه ومملكته وكسر عدوه وشوكته
وخفض من يعادي لهل طاعته وجر منفعته الى من اصلحت سريرته بسريرته وطويته بطويته
في الدنيا باعلاء ذكره واظهار دعوته وفي الاخرة بتشفيعه في امته واجزال اجره ومثوبته
وابدا فضله للاولين والاخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين الشهود اللهم
لا تشمت بنا عدونا ولا تسؤ بنا صديقنا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا اكبر
همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ولا تسلط علينا من لا يخشاك اللهم انت
اعلم بالسرائر واقدر على التغيير فغير ما ترى الى خير اللهم انا نسالك خير الصباح
وخير المسا وخير القضا وخير القدر ونعوذ بك من شر الصباح وشر المسا وشر
القضا وشر القدر اللهم انا نسالك باسمك الطاهر الطيب المبارك الاحب اليك الذي
اذا دعيت به اجبت واذا سئلت به اعطيت واذا استرحمت به رحمت واذا استفرجت
به فرجت وباسمائك الحسنى كلها الحميده الكريمة التي اذا وضعت على شي ذل لها واذا
طلب بها الحسنات ادركت واذا ادري بها السيئات صرفت ان تصلي على محمد وعلى ال
محمد منتهى الاعداد ومبلغ الامداد صلوة زائدة على صلوات الخلائق كلها في المعهود من
ازل الازال الى ابد الاباد راجعة ببركتها ونورها وامنها وامانها الى صاحبها على
نعت الصحة والسداد والازدياد

عدد اوراق صد و سجاه و نه [illegible]

بد اهی ورکی رخوادش کردیست   دسها بخشیم بر قربانی دس منکر

أتى العيد في هذا الزمان   تهنيك التمتع بالاماني

قدوم عید آن آفتاب خسرو داد   همه دولت و تا ابد حق مبارک باد
جهان ز نتایج و بدخواه [illegible]   حسود او [illegible] در دل شاد
همیشه تا که عید [illegible] جهان [illegible]   بغر دولت تو عید را ابد [illegible] باد
دادست فلک [illegible] سرح [illegible]   بر خلق جهان در سخا [illegible]
عید است و همی عید [illegible]   ای شاه جهان عید مبارک بادت
عید تو نه که هست عید عرب   موسم عشرت است و جای طرب
هر که عیدی برد برد ادب   سهل [illegible]

سادس شهر صفر سنة ثمان عشر وستمائة أن عسكر
كفار الخزر ولشهر خوارزم وقتلوا جميع سكانها
وخربوها واحرقوها هـ.

[illegible]

هون عليك فما نفس بباقية   وهذه الدار ليست لامرئ دارا
والموت كالحية الصماء [illegible]   فما لتلقم اجلالا واعظاما [illegible]
بينا ترى الانسان [illegible]   [illegible]
[illegible]   [illegible]
[illegible] اذا انقرضوا [illegible]   [illegible] اذا انهارا
عن طيب الزاد والوشي النفيس [illegible]   [illegible] واطمارا
غادرت شهوة الدنيا نفوسهم   حتى طوتهم يمين الموت [illegible]